

مقدمة

هذه رسالة يبعث موضوعها في حقبة من أقدم الحب في أدبنا العربي ، ولم يكن في نيتي أن يكون موضوع رسالتي في تلك الفترة ، ولا في الفترات القربية منها ، لأنني صاحب قصة ، ومن الحمى على أن لا يكون بحثي ، مجال عملي ، إلا فنيا يصل بهذه القضية . كان أمني أن أبحث في موضوع يصل بفلسطين - وطني - إلا أن نظام الدراسة في قسم للماستير بكلية الآداب بجامعة بغداد حال بيني وبين تحقيق رغبتي أن ذاك ، حين حظرت على دراسة الأدب الحديث المعاصر ، وعموما كنت أنوي بحجمه . ولما اقترح على أستاذي الدكتور جميل سعيد هذا الموضوع - الذي أخدمه بين يدي القارئ - وجدت أكثر من دافع دفعني إلى قبوله . من هذه الدوافع ، أن الموضوع له ماس - من قريب وبمسيد - بما يدور في نفس من عواطف واتصالات نحو وطني المقتضب ، مثلا ذلك في الجانبين ، ومنها - أيضا - الرغبة في أن أجعل هذا الموضوع مترابلا ومتسلا منذ أقدم عصور الأدب العربي ، إلى يومنا هذا ، فأكون حينئذ حقيقا ما صوبت إليه بدقة وتفصيل . ومنها ليط ذلك طراقة الموضوع وجدته . إذ أنه لم يقع بين يدي كتاب قديم أو حديث ، يبعث الموضوع بشكل مفصل ومستقل ، اللهم إلا تلك الإشارات التي سيورد ذكرها خلال الرسالة .

وقد اشتملت الرسالة على تمهيد وأربعة فصول :

أما التمهيد ، فقد تحدثت فيه عن مفهوم الوطن عند غير العرب ، بينت منهجه خدم منذ أقدم العهود ، وتطور هذا المفهوم بتطور الحياة في مختلف جوارقها . ثم التفت إلى الحديث عن مفهوم عند العرب ، في أقدم معجماتهم التي وصلتنا . وتطور هذا المفهوم ، من عصر لآخر ، من يومنا هذا . ولا بد لنا أن نلاحظ والوطن ، ولادة في الأدب العربي ، وفي أقدم تصوره ، وأن هناك تواريا شديدا بين لفظة والوطن ، والحب ، .

ثم تحدثنا عن صلة الإنسان بوطنه . وكيف أن الإنسان مرتبط ببلده التي

ورأى من سبقونا من القدماء والمحدثين . قلنا ذلك ، ولم ننقل ما في شعر الأحنف من عوامل التقليد ، واقتصرنا ذكر الأحنف بالحديثة في أحيان كثيرة . وخرجننا من ذلك ، إلى أن شعر الأحنف عند البدو — في الأغلب الأعم — هو حنين إلى الوطن ، وهو عند الحضر تقايد للقدماء والسابقين .

تلا ذلك تحليل لقصائد الحنين إلى الوطن عند شعراء البدو ، في العصرين الجاهلي والإسلامي . وقد دوعى في الحديث عن الشعر امرؤ القيس في الشعر ، التسلسل الزمني وشعرهم .

وأما الفصل الثاني فكان عن الحنين إلى الوطن في شعر الحضر ، وتحليل جمهوره من قصائد الحنين عندهم . ولا حظنا فيه قلة شعر الحنين عند الحضر ، إذا ما قورن بشعر البدو في الحقيقة ذاتها التي درسناها . وكان مرد ذلك يعود إلى استقرار حياة الحضرة عن حياة البادية ، إضافة إلى إيماننا انحر الأحنف الأحنف عنددهم .

أما فصل الحنين إلى الوطن في شعر المرأة وهو الفصل الثالث ، فقد بدى بالحديث عن المرأة والشاعرية . لم نحل فيه أن المرأة تتأثر بروفة الشعر ، وروفاة الحضر . وشدة المحافظة ، والمدة والفجر — وإنها في هذه العناصر أكثر تدققاً من الرجل . وأن هذه العناصر قد انعكست في أشعارها . فكان شعرها يصطبغ بلون واحد هو لون الحزن والرتابة والحنين ، وكان هذا سبباً في قلة شعرها . أو بتعبير أدق ، في قلة ما وصلنا من شعرها .

وفي تحليل عدد من قصائد الحنين إلى الوطن عندها ، لاحظنا أن المرأة أحنف شعوراً بالحنين إلى الوطن من الرجل . وأن شعرها خال من شعر الأحنف ، الذي كثيراً ما ورد عند الرجل ، ولم يكن بحث شعرها على المنهج ذاته الذي كان عند الرجل . بتقسيم الشعر إلى بادية وحاضرة ، وذلك لأن مهتم الشعر من البادية . وقيل ممن من الحاضرة . ولم نهجهم على أساس التسلسل الزمني ، لأن المصادر تشرح بأساليب كثيرة يمتنع ولا يتأخج وفائهم .

ثم أخصنا الحديث عن الشعر بالحديث عن الشعر في الفصل الرابع . والتعبير بالحنين عن عدداً دون التعبير بالشعر عندهم .

وفصل الحنين إلى الوطن في الشعر الشريف ، بدى بالحديث عن الشعر الشريف وظهوره . وعن الإيجاز فيه في الحقيقة الجاهلية وما بعدها .

ثم تلا هذا الحديث عن الحنين إلى الوطن في القرآن الكريم والحديث الشريف .

يمتد فيها رينشا . تؤثر فيه ، ويأثر بها ، في سلوكه وتفكيره وما به وما كاه ومسكه . لذلك يكون انتماءها بها ، وجهه لها ، وحنينه إليها . فيما إذا ابتعد عنها . ودلنا على أثر البيئة على الإنسان بعدة أمثلة عند أكبر من أمة من الأمم المتميزة في بيتها ، وطرفها الطبيعية ، التي أثرت تأثيراً كبيراً على سكانها ، في مختلف جوانب حياتهم .

ثم تحدثنا عن الحنين إلى الوطن في الأدب الإسلامي ، فظاهرة الحنين إلى الوطن ، إنسانية عامة ، نراها عند كل الأمم ، وفي كل المصور . ودلنا على هذا بنماذج مختلفة من الأدب . قديمها وحديثها . ثم أخذنا بتفصيل الحديث عن هذا في أدبنا العربي .

كما تعرضنا في حديث قصير إلى العرب والشعر وقد تبين فيه أن العرب أمة عاطفية ، وأن أشعارها جاءت متأثرة بهذه الدوا عاطف . وأن هذه الأشعار لم تنحل من الحنين إلى الوطن ، وهذا الحنين سخط لنا في ديوان العرب ، شأنه شأن ما ابتغى به العربي في أشعاره الجاهلية ، التي دلت على مشاعر القرم وأحاسيسهم ، نحو ما كانوا يحبون ويحفظون . ثم تحدثنا عن العرب والوطن . وكيف أن العربي يحب وطنه — لوطنه حان — إليه إذا ما خرج عنه ، وقد أسرى كذلك إلى وطن البدو وتربيته وتخليده ، وإلى وطن الحضر وتربيته وتخليده .

ووجدنا من القيد عدم غنى الطريف عن ظاهرة الهجرة من الوطن ، والدعوة إليها ، عند قسم من الأدباء والشعراء ، فوجدنا دوراً فيها والطريف التي أدت إليها .

وأما الفصل الأول فكان عن الحنين إلى الوطن في شعر البدو . وقد ذكرت فيه الجاهلية وظهر فيه العرب فيها ، وتأثيرها فيها . فهي حرة ، تعرض على ساكنها الترحال والانتقال ، وراه الماء والمصيب . وتعرض على صاحبها الدور بدياره التي سكن فيها ، وتقتضي شرطاً من حياتها بين جنباتها ، فإذا هي أطلال بالية . وإذا هو يقف عليها حين يمر بها ، أو يترج عليها يركب ريشكي على أياها السائلة . من هنا كان شعر الأحنف كثيراً في الشعر العربي البدوي الجاهلي . وكان يحصل اتصال مباشر بوضوئنا : والوطن ، والحنين إليه . . فهو حنين إلى الوطن في رأينا ،

١ - ماذا نعني بالوطن

لعل من نافذة القول ، أن نقول ، ما لإيضاح مفهوم الوطن ، عند غير العرب ، ثم عند العرب ، من أهمية بالغة ، وقيمة عظيمة لإبراسنا . حيث أنه سيكون الفتح لمفهومه منذ أقدم العصور . ونعل أنه هو المفهوم الحديث . المتعارف عليه ، في أيامنا هذه ، أم أن هناك اختلافاً في الأمر ؟ .

ص [١] عند غير العرب :

إذا فقلنا في المعجمات الإنجليزية (١) — مثلاً — عن لفظة (Home) ، فإننا نجد أنها تعني ، في اللغة الإنجليزية القديمة والعصور الوسطى . قرية ، أو مدينة ، أو مجموعة مساكن ، أو قرية بأكوأخها . وهي بهذا — فها نرى — أشبه ما تكون بالحي الذي كانت تقع فيه القبيلة العربية ، أو الحي . ثم تطور المعنى ، فأصبح يعني : مكان سكنى الإنسان ، وعمل تربيته . وهو المكان أو الإقليم ، أو الدولة التي يعود إليها الإنسان بصورة حقيقية ، حيث يتركز حيزه إليها ، أو حيث يجد الرضى والراحة فيها . وهو مسقط الرأس . وقد استعمله البريطانيون وهم خارج بلادهم حيث هاجروا وسكنوا المستعمرات البريطانية . وقبلهم استعمله البريطانيون . الذين هم من أصل بريطاني من سكان أمريكا ، للإشارة بذلك إلى بريطانيا العظمى (Great Britain) ، أو إلى الوطن الأم (The Mother Country) أو إلى الوطن القديم (The Old Country) . وهذا — فها نرى — هو المفهوم الحقيقي للوطن الذي تمت اصطلاحه ، وأكد مناه ، أو لشك الذين نزحوا عن الوطن ،

(١) Webster's New International Dict. & The Oxford English Dict.

ولو حظ فيه أن الله سبحانه وتعالى ، حب في كثير من آياته كتابه العزيز على التسلك بالوطن . والحفاظ عليه ، والدفاع عنه .

ولو حظ فيه الحنين إلى الوطن عند الرسول الأعظم ﷺ وقد كان حنينه إلى مكة شديداً حين هاجر عنها . ثم عند الصحابة والتابعين . وقد ظهر حنينهم ودعوتهم إلى التسلك بالوطن في مظان كثيرة من آثارهم .

وظهر الحنين في الأمثال والقصص ، وفي الرسائل والمكاتبات . وقد زخرت هذه بالحنين إلى الوطن ، وخاصة وقت الشيق والشدّة في الغربة .

تلا ذلك الحديث عن التأليف في الحنين إلى الوطن . وقد ذكرت فيه السكب أو قصولا منها ألفت في الحنين إلى الوطن .

واختتمنا الرسالة — بعد هذا بذكر ما توصلنا إليه من النتائج من خلال البحث والدراسة .

وبعد : فهذا ما استخلصنا الوصول إليه ، من خلال الدراسة والبحث . ونحن لا ندعي الشك في العمل . ونرجو أن تكون قد وفقتا بما فيها فيه ، وأن ينفع غيرنا بفعلنا .

ولذا أودعك أن أضع القلم جانباً ، بعد جهد كبير ، وقبض مضطرب ، وستين عجايف قضيتها متنافسة بين العلم والعمل — لا يسعني إلا أن أتوجه إلى الانتاذ الكبير الدكتور جميل سميد . الذي كان له من التوجيه والإرشاد ، والدعابة والنجبة ، خير دافع وشجيع ، لكي تكون هذه الرسالة بالصورة التي تجعلها . أقول : أتوجه إليه بالشكر الجزيل ، وحفظ الجليل ، الذي لا أنساه ما حييت ، كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذين الفاضلين ، الدكتور باقر عبد النبي والدكتور صادق غزوان حصوي لحصة اللقطة لما أبدياه من ملاحظات قيمة ساعدت على تقديم الرسالة . وإلى كل من قدم إلى عوناً أو ملاحظة أو توجيهاً وأخص بالذكر الأخوة الدكتور أنس داود وشادي حسن حمودي .

والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

محمد إبراهيم حوز

وتغربوا عنه ، وذاقوا لوعة الحنين ومرارة الحرمان من أوطانهم ، على الرغم من ظروف العيش ، التي كلها رخاء ونعيم — فيما نحسب — والتي لا قودها في مستعمراتهم الجديدة . نقول — على الرغم من ذلك فالوطن عندهم هو ، بريطانيا العظمى ، وبريطانيا الأم .

ومن لفظة (Home) جاء لفظ (Homeland) ويعني الوطن أيضاً . و (Homeless) وتعني الذي ليس له وطن ، أو المشرّد عن الوطن و (Homesick) وتعني للصاب بدم الحنين إلى الوطن .

و (Homesickness) وتعني السكابة الذهنية والبدنية ، التي يسببها الحنين إلى الوطن أثناء الغياب عنه . والتي تسمى في الاصطلاح الطبي (Nostalgia) (١) . وهي لفظة يونانية ، مؤلفة من كلمتين ، الأولى : (Nostos) وتعني العودة إلى الوطن . والثانية : (Algos) وتعني الألم ، أو حالة مرضية .

وبهذا نصل إلى أن الوطن عند الأجانب ، يختلف في معناه في العصور القديمة ، عما هو في العصور المتأخرة . وذلك نظراً لتطور الحياة ، التي بطبيعة الحال ، يكون التطور في مفاهيمها ، وفي دلالاتها على الأشياء . ونخرج منه . إلى أن مفهوم الوطن مرتبط بحبه ، وبالحنين إليه . فعندم الوطن ، وحسب الوطن ، والحنين إلى الوطن . بل ومرض الحنين إلى الوطن ، عند أولئك الذين نأوا عنه ، وغلبهم الشوق إليه .

[ب] عند العرب :

وعند العرب نلاحظ أن لفظة الوطن بتطور مفهومها أو مدلولها على الزمن أيضاً . تقدم لنا المعجمات اللغوية معنى كلمة ، وطن ، وتطوره تطوراً تستطيع أن تزيه ترتيباً تاريخياً ، نخرج منه إلى الإجابة عن التساؤل الذي طرحناه في نتيج حديثنا .

(١) Stedman's Medical Dict. P. 1095 & Webster's New International Dict.

ففي المعجمات الأولى (١) ، نلاحظ أن الوطن هو مريض الإبل والغنم . ومنه تطور إلى شغل الإنسان به ، حين يتخذ منزلاً ينزل ، أو يعيش فيه ، ونلاحظ أن اللغويين وأهل المعجمات ، لم يشترطوا في الوطن ، أن يكون مسقط رأس الإنسان . وذلك لأن هذا الإنسان العربي ، الذي يولد في الصحارى ، في شبه الجزيرة العربية ، ليس له مكان معين بعد مسقط رأسه . وطبيعة تنظيم حياتهم الاجتماعية ، كانت تفرض عليهم هذا المفهوم ، الذي حدد في عبارة ابن سيده : الوطن : حيث أقمت من بلد أو دار (٢) . وعلى ذلك ينسحب هذا المزدى ، إلى كل مكان ينزل الإنسان ، ويسكن فيه ، ويعدّه مستقراً له ومقاماً . بل إن هذا المفهوم ، قد اتسع بصورة كبيرة بعد الإسلام . فقد كل مكان يقف فيه الإنسان وقفة زمنية موطناً ، ومنه جاء ومواطن مكة . وقد نفت ابن منظور إلى هذه الناحية المهمة فقال : ومواطن مكة : موافقها ، وهو من ذلك ، وطن بالمسكان وأوطن : أقام (٣) . إن هذه الإقامة ، لم يشترط فيها الأقدمون مدة من الزمن ، ولا حقيقة من الحقبات ولا أي شيء آخر . وفي هذه النقطة بالذات ، يقول ابن منظور : أما المواطن : فكل مقام أقام به الإنسان لأمر ، فهو موطن له (٤) . ولقد أسهم الأدب النبوي في توسيع هذا المفهوم حين نهى (ﷺ) عن إبطان المساجد (٥) . أي جعلها أوطاناً ، يمكن فيها الإنسان وقتاً أكثر عما ينبغي :

وفي المعجمات الحديثة ، لا تجد مادة جديدة ، تضاف إلى المادة القديمة . فكلم يحاول أن ينقل عن الأقدمين ، كالخوري في أفران الموارد ، وعبد الله البستاني في البستان ، وبطرس البستاني في محيط المحيط ، وإبراهيم مصطفى والزباني وزملائهما في المعجم الوسيط .

(١) انظر : جوهرة اللغة لابن دريد : ١١٩ / ٣ ، وتهذيب اللغة للأزهري : ٢٨ / ٤ ، ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس : ١٢٠ / ٦ ، والصحاح للجوهري : ٢٢١٤ / ٦ .

(٢) المخصص لابن سيده : ١١٩ / ٤ .

(٣) لسان العرب لابن منظور : ٤٥١ / ١٣ .

(٤) المصدر السابق ، الجزء والصفحة نفسها : وتاج العروس للزبيدي : ٣٦٢ / ٩ .

ومن أهميات الموضوع ، ظهرت لدينا لفظة الوطنية التي تختلف مؤداها باختلاف المذاهب والاتجاهات السياسية . لكننا - على ما فيها من خلاق - نتصل أولاً وأخيراً بالوطن ، وحب الوطن ، والإخلاص له ، باختلاف الطرائق التي تلقيناها الأفكار والتيارات الإنسانية المختلفة (١) .

من هذا يتجلى لنا ، أن المعنى يختلف اختلافاً يتسماً ، عن مفهومه في عصرنا الحاضر ، بل وحتى من عصر إلى عصر . إذ أن مفهوم الوطن في العصر الجاهلي ، يختلف عنه في العصر الإسلامي وعصر بني أمية ، وهو في هذا يختلف عنه في العصر العباسي .

ففي القديم ، كان المعنى ضيقاً ، فلم يتجاوز مفهوم الوطن ، الحى أو الحى الذى يقم فيه الإنسان مع عشيرته أو قبيلته . كأنه لم تمكن سائدة تلك الروح القومية ، التي ترتبط في عصرنا الحاضر بمفهوم الوطن . لأن الروح القبلية والنخب لها ، كان يحل محل أى ارتباط قومى أو وطنى . إلا أن هذا لا ينفي وجود الروح ، التي يمكن أن نسميها ، قومية ، وذلك حينما ينتقل للكاتب والناقد ، من قبيلة إلى أخرى ، وليسود عدة قبائل ، وذلك في أيام العرب خاصة ، فيظهر لنا تماسك القبائل ، ودفاعها عن بعضها البعض حينما تعرض إلى خطر خارجى ، يهدد أمنها وسلامتها : تقول : كان النخب القبلى هو الطاغى على كل شىء . والدعوة إلى نصرة الأخ ظالماً أو مظلوماً هى السائدة . فلم يكن - في غالب الأحيان - هناك مجال إلى أية دعوة للظهور ، أو أية فكرة للشعر ، حتى وإن كانت صحيحة ومستقيمة ، إلى أن جاء الإسلام وشرح صدور الناس ، وبين لهم الرشد من الغي ، والصواب من الخطأ ، ودعا إلى تبيذ النخب القبلى ، والتناصر العائلى . وجاء بروح جديدة ، تختلف عن سابقتها ، كما تختلف في كثير من قوانينها ، عما هو سائد في أيامنا ، من الساجسة المرتبطة بالوطنية .

فقد دعا الإسلام إلى الإخاء والمحبة والسلام إلى أن الأرض أرض الله ، بالمعنى عبيد الله . إلى أنه لا فضل لعربى على أعشى إلا بالتقوى . وإلى أن الناس

(١) أنظر بحر الإسلام للدكتور أحمد أمين : ١٠ ، وآراء وأحاديث في الوطنية للإستاذ باطع الحصري : ١٠

سواسية كأسنان المشط . ومع ذلك ، فقد دعا الإسلام في مواضع كثيرة من القرآن الكريم إلى التمسك بالوطن . وبين قيمته وأهميته بالنسبة لساكنيه . ونهى عن الهجرة عنه . وهذا ما سنبيته بفصلا في مكان آخر من البحث - إن شاء الله .

أما عن ورود لفظة ، الوطن ، في الشعر العربى - وهو أقدم النصوص الأدبية التي وصلتنا من الأدب العربى - فهي قديمة قدم الشعر العربى نفسه . منذ العصر الجاهلى ، بل ومنذ أقدم شعراء العصر الجاهلى . قال امرؤ القيس (٢) :

يذكرها أوطانها تل ماسح
منازلها من بربعيس وميسر (٣)

وقال عنزة (٤) :

أحرقنى نار الجوى والبعاد
بعد فقد الأوطان والأولاد

وقال طرفة (٥) :

على موطن ينشئ للفنى عنده الردى

متى تتحرك فيه الفرائض ترعد (٥)

ثم نكرر ذكرها في الشعر الإسلامى والأدب الإسلامى ، وما تلاه من عصور . قال ابنى صلى الله عليه وسلم : حب الوطن من الإيمان (٦) وقال عمر بن أبى ربيعة (٧) :

قد هاج قلبك بعد السلاوة الوطن
والشوق يحدته للنازح الشجن

(١) ديوان امرئ القيس : ٢١٦ .

(٢) بربعيس وميسر : موضحان .

(٣) ديوان عنزة : ٦٧ .

(٤) ديوان طرفة : ٤٣ .

(٥) الردى : الحلاك . والفرائض : جمع غريضة ، وهي بضعة على الجنب عند مخرج الكف ، وهي أول ما يبعد من الإنسان وغيره عند الفزع .

(٦) مطالع الديورى في منازل السروور لعلاء الدين القزولى : ٢ / ٢٩٢ .

(٧) ابن عمر بن أبى ربيعة : ٤٣٥ .

و قال جميل بن ميمر (١) :

أنا جميل والحجاز وطني فيه هوى نفسى وفيه شجنى

فلنظرة الوطن عند امرئ القيس تمنى أوطان الابل وديارها . وعند عترة تمنى
دياره وأوطانه . وعند طرفة تمنى موضعها .

وبين لفظة الوطن والحنين ، تقارب شديد ، وارتباط وثيق . فقد نص
الدويون على أن حنين الابل يعنى نزوعها إلى أوطانها وأولادها (٢) وكذلك الانسان .

٢ - صلة الإنسان بوطنه

يرتبط الإنسان ببيئته ارتباطاً وثيقاً . لأن الإنسان مكل بيئته ، وهي مكلة له ،
في نشأته وتطوره . ومن هنا كان للإقليم الذى يعيش فيه الإنسان وبنياناً أثر كبير في
أخلاقه . وتكوينه النفسى ، واستعداداته الفكرى . وإبداعه العقى . وهذه القابليات
تختلف من إنسان لآخر ، تبعاً لاختلاف الأقاليم ، واختلاف الظروف الطبيعية
والمناخية فيها . ومن هنا ، كان أهل البادية — على ما قالوا — أصنى ذهناً من سكان
المدن ، لصفاء أجواء البوادي عن أجواء المدن . وأهل البلاد الباردة ، أسرع حركة
نشاطاً من أهل البلاد الحارة . وفي البلد الواحد ، يفضل أهل الجبال أهل السهول
نشاطاً وصفاء ذهن . ولهذا كان تمسك الإنسان ببيئته ، والتزامه لها ، ورفقه البعد
عنها ، أو الرحيل منها . لماله من أثر على طبيعته النفسية ، ونشأته الطبيعية ، التي
— وبما — تخرج عليه الكثير من المتاعب ، بل والأمراض . لأن في اختلاف الظروف
الطبيعية والمناخية ، من أقاليم لآخر ، من الحرارة إلى البرودة ، أو من البادية إلى
الريف . أو من الريف إلى المدينة ، أو من السهول إلى الجبال . كل هذا يؤثر تأثيراً
واضحاً على الإنسان . وغنى عن البيان ، ما كان يعاني منه المسجون ، في أيام فترحاتهم
الاولى ، في بلاد المشرق والمغرب ، من صنوف المرض والحى ، لانتقالهم من بيئة

(١) ديوان جميل : ٢٠٦ .

(٢) جمهرة اللغة : ١/٦٤ ، وتهذيب اللغة : ٣/٤٨ .

إلى أخرى ، تختلف عن الاول في المناخ وظروف المعيشة ، والعادات والتقاليد ،
بل واللغة ، وهي أسلوب التفاهم الوحيد للإنسان . هذا من جهة . ومن جهة أخرى ،
فإن مكوث الإنسان في بيئته ، منذ المولد والنشأة ، بين أهله وعشيرته ولتعوده على
ظروف معينة ، وعادات وتقاليد خاصة ، يجد من الصعوبة بمكان تغييرها ، أو تقبل
ما يختلف عنها . يضاف إلى ذلك ، تلك العلاقات الاجتماعية ، التي انشئت بسبب
معية من ذلك المحيط الذى نشأ عليه الإنسان في بيئته .

إن هذه العوامل مجتمعة . كانت الحافز الاول والرئيسى ، في أن يقوم ذلك الترابط
الحكم ، بين الإنسان وبيئته . وأن تكون صلته بها ، وبما تحمله من عادات وتقاليد ،
أوثق وأشد رسوخاً في كيانه من أى شىء آخر .

وقد التفت الباحثون في الأجناس البشرية (١) ، إلى أثر البيئة ، وصلة الإنسان
بها . فقالوا : إن صلة الإنسان ببيئته وأرضه ، أكثر ارتباطاً وتعقيداً من صلة
الحيوان والنبات بالبيئة والأرض . ويقولون : إنك لا تستطيع أن تقول : أن ابن
الصحراء ، يمكنه أن يعيش في القطب ، وأن ابن القطب يمكنه أن يعيش في الصحراء
إلا إذا استطعت أن تقول : إن الجمل — وهو ابن الصحراء — يستطيع أن يعيش
في القطب ، وأن دبة القطب ، في استطاعتها أن تعيش في الصحراء .

ولاحظ داروين (Darwin) أن العلاقة بين الكائن الحى والبيئة ، هي علاقة
ملاءمة وتكيف . فكل الكائنات الحية ، أن تتلاءم مع البيئة ، وتتكيف مع
ضرورتها . وأن هذه الملاءمة ، عملية مادية حتمية ، لا يملك الكائن الحى إزاءها
شئاً . بل إن البيئة ، تختار الأفراد الذين تتلاءم صفاتهم مع ظروفها ، اختياراً
طبيعياً ، وتترك غيرهم للفناء . وأن البقاء للأصلح وملاءمة ، مع البيئة (٢) .

(١) اعتمدنا في حديثنا هذا — اعتماداً كبيراً — على الفصل الذى عقده
أستاذنا الدكتور جميل سعيد على البيئة ، في كتابه ، الوصف في شعر المراق .

(٢) البيئة والمجتمع للدكتور محمد السيد غلاب : ٢٠ .

ولاحظ ، كارتر ، (Carl Ritter) أن المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ، يغل فيه في كل عضو من أعضائه . ولاحظ أن عبور التران إنما كانت صغيرة طويلاوية ، قد أحبطت بحسن عظيم متفتح ، نتيجة لذلك البيئة الصحراوية التي يسكنها هؤلاء ، ونتيجة لأثر تلك البيئة في هذا العضو الحام الحساس .

ولاحظ ، ستانوب سميث ، (Stanhop Smith) أن ارتفاع الأكثاف ، وقصر الاعناق ، عند تتر منغوليا ، إنما جاء نتيجة لمعادتهم في رفع أكثافهم وفعلاً مستمر ، يقون به أعناقهم عادة تلك الريح الباردة ، التي تهب عليهم ، فيجأرون في مواجهتها وتترك الفرد منهم ، وهو أبدأ يرفع كفيه ، ويقاخص عنقه ، حتى كأنه يريد أن يدخل رأسه في جسده ليقيه بذلك عادة الريح . ولاحظ أن عبورهم الصغيرة ، التي يكثرون فيها الحول ، وسواجهم النائية ، ووجوههم العريضة ، التي برز عظم الوجبة فيها . — لاحظ أن هذا كله ، إنما كان نتيجة لكثرة عبور الرياح الباردة الباردة عليهم ، ونتيجة لشدة برق الثلوج ، واللافتة لآلة " تهر العين ، وتأخذ البحر — — وقد تبادى في كلامه هذا ، حتى قال : إن البرد بقا ليه ، يشوه كل سحنة ، ويظلمها بطابع الشدة والصرامة .

وقد لاحظ تين (Taine) القادة الفرنسي ، إن الإنجليزي ، إنما وحب هذه القدم العريضة الضخمة ، نتيجة لحيته في تلك الأرض الرخوة اللينة . ولستطيع أن نقول : إن صحراء العرب ، قد فعلت في قدم العربي مثل ذلك ، وربما كان هذا الأمر في غاية الوضوح ، إذا نظرنا إلى خف الجل — وهو ابن الصحراء — لقد وحب هذا الخف ، ليعاذه على السير في الرمال ، وأثلا تغطي قدمه فيها وتغور ، إذا أسرع .

والبيئة ، كما أثرت في خلقة الإنسان وحيته ، أثرت كذلك في لياحه ولونه . فحي التي كسبت أهل المناطق الـ رائية الحارة ، لونهم الأسود البراق . وكسبت جسم العربي هذه السمرة النحاسية ، وكسبت أهل البلاد الباردة لوناً الأبيض (١) .

(١) الوصف في شعر العراقي : ٩٢ — ٩٣ .

وتحدث ابن خلدون عن هذا في مقدمته ، ورد على المسعودي وعلى القصاصين والشهابين العرب ، الذين زعموا أن الزنج ، إنما أسود لونهم ، لدعوة نوح علي علي ابنه حام . وأن هذا الإبر ، إنما كسى بالسواد — وهو أبيض الألوان وأبشعها عند العرب — لدعوة دعاها أبوه عليه . اقدرد ابن خلدون على هذا القول ، واجتبره خرافة وعرا ذلك إلى بيئتهم الحارة ، وإلى شمسهم الحارقة . قال في المقدمة : وفي القول بنسبة السواد إلى حام ، غفلة عن طبيعة الحر والبرد ، وأثرهما في الهواء ، وفيما يتكون فيه من الميوارات ، وذلك أن هذا اللون شمل أهل الإقليم الثاني ، من مزاج هوائهم للحرارة التضاعفة بالجنوب . فإن الشمس تسامت زهرهم مرتين في كل سنة . قريبة إحداهما من الآخرى ، ففتول المسافة جامعة الفصول ، فيكثر الضوء لاجلها . ويبلغ القيط لشدته عليهم ، وتسود جلودهم لأفراط الحر ثم يتحدث عن أهل الشمال ، وعن أثر الجو البارد في ألوانهم ، وعبورهم ، وشحورهم ، وأمزجتهم . ويرى أن سبب غلظ النساء ، إنما جاء من ظنهم . إن هذا الاختلاف إنما سببه الاختلاف في الأسباب . ولم يملوا ما الأرض من أثر في ذلك .

ويظهر أثر البيئة الطبيعية واضعاً في اللغة . أنها غنية غنى عظيماً فيما يتعلق بالبيئة من حيوان ، أو نبات ، أو رمال ، أو جبال . وهي فقيرة فيما يتعلق بالبيئة . أو يكون ضيق الصلة بها . فقبيلة الدنكا — القبيلة الإفريقية التي تسكن أعالي النيل الأبيض — قد غنيت لغتها كل الغنى بأسماء الألوان . فيها أسماء عدة تدل بها على تدرج الظل ، وتدل بها على تدرج الصبغة واللون قوة وضعفاً . ولهم في الألوان ألفاظ خاصة متباينة ، يحددون بها ألوان حيواناتهم بدقة متناهية . فمنهم ، القوقاي ، والأشهب ، والأكث ، والأحمر ، والأبيض . والمدرز ، والمرقط . . . وهكذا لهم أسماء كثيرة يدرجون بها تدرج الألوان في كل حيوان .

والصوميد (Samoyedes) الذين يقطنون شمال روسيا ، لهم اثنا عشر لفظاً ، يعبون بها عن تدرج الألوان الرصاصية . وقد جاءتهم هذه الألوان من تلوّن غرائز الرقة ، واضطراهم إلى تسميته ، وتمييز بعضها عن بعض .

وإذا نظرنا إلى العرب في هذا ، وجدنا اللغة غنية كل الغنى ، في الألوان التي

تكثر في صحرائهم ، ان للخطرة والسراد — وقد كانوا يسمون أحدهما باسم الآخر —
نحراً من أربعين اسماً . وقد غنيت لغتهم غنى عظيماً فيما يضطرب ببيتهم ، من
حيوان أو نبات . كما افترقت فيما لا يحتاجون إليه ، أو فيما هو قليل الصلة بتلك
البيئة . وفي بحر الإسلام (للمرحوم الدكتور أحمد أمين) : وأنت إذا نظرت إلى
اللغة العربية ... فألفاظ اللغة — مثلاً — في منتهى السعة والدقة ، إذا كان الشيء
الموضوع له اللفظ ، من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية ، وهي قليلة غير دقيقة ،
فما ليس كذلك . ويقارن الأستاذ أحمد أمين بك بين ما يتعلق بالسفينه . وبين
ما يتعلق بالإبل من ألفاظ . ويقول أن السفينه لم تستغرق من تخصص ابن سيده
إلا أقل من سبع صفحات ، على حين تستغرق الإبل جزءاً من سبعة عشر جزءاً
من مجموع اللغة . وتجد اللغة غنية إذا نظرت إلى ما وضعوه للعشب والصحراء
والوديان ، ولكنك تجد قسوة ، إذا قلشتها فيما يتعلق بالبحر ، وموجه
وتياراته ، وسفنه .

ونحن نستطيع أن ننظر ونرى ، عكس هذا عند الأمم التي تقطن السواحل
والجزر ، وتجرب الأنهار والبحار ، كاللغة الإنجليزية مثلاً . أننا نرى لغتهم
وافرة الألفاظ غاية الوفرة ، فيما يتعلق بالبحر ، ولكنها فقيرة غاية الفقر ، فيما يتعلق
بالصحراء .

وأثر البيئة الطبيعية واضح في تمايز سكانها . فالبيئة النهرية أو البحرية
تشترك تشبيهاً ، واستعاراتها ، وأمثالها ، مما يتعلق بالنهر ، أو البحر .
والبيئة الصحراوية ، تشترك تشبيهاً ، واستعاراتها ، وأمثالها ، مما يضطرب في
الصحراء .

وشأن البيئة كذلك ، شأنها في الخيال والذوق والأدب (١) .

وقديماً ، التفت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — إلى أثر
البيئة الطبيعية على الإنسان . فكتب إلى حكيم من حكماء عصره — حين فتح الله

(١) الوصف في شعر العراقي ، وما بعدها .

البلاد على المسلمين ، من الشام ، والعراق ، وغير ذلك من بقاع الأرض — قال :
إنما أناس عرب ، وقد فتح الله علينا البلاد ، ونريد أن نتبوأ الأرض ، ونسكن
البلاد والأمصار ، فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره التربة والأهوية
في سكانها . فكتب إليه ذلك الحكيم : اعلم — يا أمير المؤمنين — أن الله تعالى
قد قسم الأرض أقساماً ، شرقاً ، وغرباً ، وشمالاً ، وجنوباً . فما تناهى في
التشريق ، ولجج (١) في المطلاع السامع (٢) منه النور ، فهو مكروه ، لا حترافه
وناريته ، وحدته واحراقه لمن دخل فيه . وما تناهى مغرباً — أيضاً — أضر
سكانه ، لموازنة ما أوغل في التشريق . وهكذا ما تناهى في الشمال ، أضر
بيرده ، وقوته ، وثلوجه ، وآفاته إلا جسامه فأورثها الآلام . وما اتصل بالجنوب ،
وأوغل فيه ، أحرق بشاريته ما اتصل به من الحيوان ، ولذلك صار المسكون من
الأرض جزءاً يسيراً ، تناسب الاعتدال ، وأخذ بحظه من حسن القسمة . وسأصف
لك — يا أمير المؤمنين — القطع المسكونة من الأرض . . . وأما الجبال ،
فتخشن الأجسام وتغلظها ، وتبلك الأقسام وتقطعها ، وتضد الأحلام ، وتبيت
الحمم ، لما هي عليه من غلظ التربة ، ومثانة الهواء وتكاثفه ، واختلاف مهابه ،
وسوء متصرفاته .

والاخلاق والصور — يا أمير المؤمنين — تناسب البلد وتمازجه وتمازجه ، وتوافقها
وتضاهيه . وكل بلد اعتدل هواؤه ، وخف مائه ، ولطف غذاؤه ، كانت صور أهله
وخلاتهم ، تناسب البلد وتمازجه ، وتشاكل ما عليه أركانه ، وما أسس عليه بنيانه .
وكل بلد يزول عن الاعتدال ، انقلب أهله إلى سوء الحال (٣) .

هذه هي البيئة إذن — التي هي الوطن — ، قوة عارمة طاغية . وهذا هو أثرها
على الإنسان — بل وعلى كل كائن حي — ملازمة بينها وبينه . وأثر كبير على تكوينه
في جسمه وهيكله ، في لونه ولغته ، في تعبيره وخطابه ، في ذوقه وأدبه ، في ما كله

(١) لجئ القوم . إذا وقعوا في اللجة . ولجة القوم ، أصواتهم . واللجة واللجة :
اختلاط الأصوات .

(٢) السامع : ما أنك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك .

(٣) مروج الذهب للبغدادي : ٢ / ٦١ ، ٦٢ .

أميرة ولي العهد ، ستورمت الأول ، وورده الخبر بموت الملك ، ومنهات ، فترك الجيش ، وهرّب مسرعاً إلى الشام ، وهناك استقبل استقبالاً حاراً ، من قبل ملككم . وأتيحت له فرص إظهار بطولته وكيانه الاجتماعي ، واستطاع أن يمدح سبعياً في في ربوع الشام . لكنه سرعان ما حن إلى وطنه ، فترك كل شيء ، وعاد مسرعاً إلى مصر ، لأنه كأي إنسان آخر لا يستطيع أن يدفن ، إلا في البلد الذي ولد فيه . يقول سنو هيت :

كنت فاراً هروب في وقته
والآن يكذب التقرير عني في مقر الملك
وكنت فتيلاً يضامل بسبب الجسوع
والآن أقدم الخبز إلى جاري
وكنت رجلاً ترك بلاده بسبب العري
والآن أرتدى الملابس البيضاء والسكتان
وكنت رجلاً أسرع الخطى لهدم من أرسل
والآن أمالك المبيد بكثرة
بني جميل ، ومحمل لإقامتي رحب
وإني أذكر في القصر الملكي

وأنت — يا أيها الإله — أيما كنت ، الذي أمرت بهذا الحبيب ، كين رجلاً ، وأعدني ثانية إلى مقر الملك ، وربما تسمح لي أن أرى المكان الذي يسكن فيه قلبي ، والأمر الذي هو أهم من ذلك ، أن تدفن جسدي في الأرض التي ولدت فيها (١) .

وفي الدوق إلى منف ، يقدم لنا الأدب الفرعوني قطعة زخارة بالمواطف ، التي يدكيها الحنين إلى الأوطان ، وفيها : تأمل ! إن قلبي قد ذهب خلسة ، وإنه يسرع إلى مكان يعرفه ، وأنه يسبح منتحراً مع التيار ليرى منف ، — ولكن اجلس هنا منتظراً وسدولاً ، ليخبرني عن حال ومنف ، ولم تطلق أية رسالة .

(١) الأدب المصري القديم أو أدب الزراعة لسليم حنين : ١/٤٠ .

وملبسه ، في عاداته وتقاليده ، في نشاطه وخموله ، في حله وترساله ، وفي كل ما يمت له بعلة في حياته . فبل لنا أن نقول : أن الحنين إلى تلك البيئته — التي هي الوطن — جزء لا يتجزأ ، من كيان الإنسان ووجوده ، بعد الذي لحظناه (١) .

نقول ذلك ، إذا تذكرونا ما قلناه . وإذا تذكرونا — أيضاً — أنه قلما ذكر الشعراء ، والحكماء ، والملوك ، والقواد — أهلهم وأسرهم في حنينهم في حين أن ما ذكره وردده ، في حنينهم إلى بيئاتهم وأوطانهم ، كان أغلب وأعم .

٣ — الحنين إلى الوطن في الأدب الإنساني

الإنسان يحب لبيته ووطنه ، وهو متمسك بهذا الوطن ، يحن إليه ، ويدافع عنه ، وينقل في سبيله كل غال ودقيق ، للذود عن حياضه . وهذا الحب ، لم يكن مقصوراً على قوم دون آخرين ، أو مجموعة من البشر دون أخرى ، إنما كان عاماً مطلقاً — فلم يحل منه أي أدب حتى ، في تاريخ الفكر الإنساني .

والحنين إلى الوطن ، ظاهرة إنسانية عامة ، لا يستطيع المرو التخلي عنها ، مهما بلغ رقيه الحضاري ، وتطوره المادي ، وسموه الروحي ، اللهم إلا في حالات شاذة نادرة سيكون لها مكانها من هذا البحث — إن شاء الله . ومنذ وجد الإنسان ذاته في وطن ، بين أهل وأصحاب ، آباء وأبناء ، شعر بقوة الرابطة التي تربطهم ، وبهذه البلاد التي شهدت خلقه وحياته ، وكانت مسرحاً لتطورهاته النفسية والفكرية . ونحن نجد هذا ، في أقدم ما وصلنا من أدب الأمم (١) .

في الأدب الفرعوني (١) ، نلص هذا في قصة سنو هيت ، التي ألفت حوالي سنة ٢٠٠٠ ق م . يروي سنو هيت عن نفسه وأنه يفتن بكأن يقاتل اللوبيين ، ونحت

(١) الأداة الفرعونية أداة عظيمة ، لها حجارة عميقة وآثار خالدة ، وتأريخ مجيد . شهدت عجائب الدنيا السبع — أمهرامات الجيزة ، وخلدت أبا الهول وشجرة من الظل ، وتخللت أدياً وفيماً رقيقاً ، ولم يحل هذا الأدب من الحنين إلى الوطن .

ولذلك يخفق قلبي في مكانه . تعال إلى يا بناتج ، لتأخذني إلى منف . ودعني أنظر إليك على جبل (١) .

وفي الأدب اليوناني (٢) : نجد في نصوص الإلياذة ذكراً للأوطان في أكثر من موضع ، ويبدو أن شخصيات الإلياذة القوية ، كانت تستمد قوتها من حنينها إلى وطنها ، وتعلقها به . فهذا أخيل (٣) وهو من شخصيات الإلياذة الحكيمة المتفكرة ، يظهر حنينه إلى وطنه ، كعامل نفسي قوى ، يدفعه إلى ترك الحرب ، والقفول إلى منزله ، وهو يعلم جيداً ، أنه أن غادر الحرب ، سيخسر وأغامنون ، هذه الحرب . يقول أخيل — كما ترجم البستاني :

سأقلع راجعاً ولدتى خبير أعاود موطنى وأحل داري (٤)

أنها الروح التي تملك الانسان في حالة غربته ، فيتعلق بأوهى سبب يشفي غليله ، ويعود به إلى الوطن .

ونجد في الأوديسا (٥) هوميروس — أيضاً — حنيناً إلى الوطن ، قوياً مؤثراً ، يسلب لب القارىء ، ويشغف فؤاده . ففي مقطوعة من مقطوعات الأوديسا ، تحاول إحدى حوريات هذه الأسطورة ، أن تقري وأوديسيوس (٦)

(١) المصدر السابق : ٣٦٧/١

(٢) والأمة اليونانية ، كأمة متحضرة ، بلغت الحضارة عندها درجة سامقة ، استطاعت أن تنقل إلتئارأيها في الحنين إلى الوطن ، مصوراً ذلك على ألسنة فلاسفتها وشعرائها ، ولا نفي أن سرور طروادة قد وقعت بين وطنين من هذه الأوطان وكانت تذكيها العصبية الوطنية ، تلك هي نصوص الإلياذة التي خلدها هوميروس ، تدفعنا إلى تقرير ذلك .

(٣) أخيل ، وأخيل (Achilles) قيل في معناه حداد الجيش . وهو زعيم المريدون .

(٤) الإلياذة هوميروس . ترجمة سليمان البستاني : ص ٢١٨ .

(٥) الملخمة الثانية لهوميروس وهي كلها منامرات وغناطرات .

(٦) بطل من أبطال الأوديسا وأشهر أبطال الإغريق الصناديد كما كان يسمى الألفاركة لأنه كان يفوقهم في الصيت وبعد الشهرة .

بالبقاء إلى جانبها ، وعدم الرحيل إلى وطنه . لكنه يأتي ذلك ، ويرفض حتى الخلود والشباب الأبدى ، الذي تمنيه بهما تلك الحورية . تقول الأوديسا في الحديث عن أوديسيوس : وبعد أيام ، قذفته الأمواج إلى ساحل أوجوجيا (١) ، جزيرة كالوبسو (٢) ، فاستقبلته الحورية بكل ترحاب ، ثم دامت به وأبقته معها مدة تزيد على سبع سنوات ، ثم اشتاق إلى وطنه ، وكانت تنفسه السفينة والملاحون . فحاولت أن تمنيه عن عزمه ، بأن وعدته الخلود والشباب الأبدى ، إن بقي معها ، ولم يجد ذلك فيللا . وأخيراً تشفت له أثينا (٣) عند زوس (٤) . فأرسل هيرميس (٥) ، يأمر كالوبسو بمساعدته في الرحيل ، فاشتريت معه في بناء زورق سطحي ، وأمدته بالمؤن اللازمة للرحلة — — — (٦) .

ذاك وأخيل ، في الإلياذة ، وهذا وأوديسيوس ، في الأوديسا ، وكلاهما من مجنبيه أساطير اليونان ، واتسلاوا بألهمهم ، ودخلوا في صراع عنيف مع القوى المسيطرة على السكون وانتصروا فيها . هؤلاء العظماء الذين مجدهم الأدب اليوناني ، يقفون إلى صف العظماء اليونانيين ، الذين مجدهم تاريخ اليونان ، كالاسكندر المقدوني . يقفون إلى جانبهم في صف واحد ، يلتهب في قلوبهم الحنين إلى الوطن . ويعيدون الوطن حياتهم ، مبدأهم ومعادهم .

ويروون أن الاسكندر المقدوني ، على عظمته ، وقوة بأسه ، وشدة بطشه ، كان وامتاً لوطنه ، وقد رسم لمن بعده من العظماء طريقاً . مؤداه أن الوطن هو الأول والأخير في حياة الإنسان . فيه يعيش ، وعلى ترابه يتعرع ، ومن أجله

(١) أوجوجيا : مدينة بجزيرة كالوبسو .

(٢) وكالوبسو : عروس البحر (قصة الأدب في العالم ١/١٤٨) .

(٣) أثينا : الحورية التي عشقته .

(٤) زوس : إله من آلهمهم .

(٥) هيرميس : رسول الآلهة .

(٦) الأوديسا لهوميروس . ترجمة أمين سلامة : ١/٦٨ — ١٩ : وقصة

الأدب في العالم للدكتور أحمد أمين وزكي نجيب محمود : ١/١٤٨ .

والذين المختصة في ملوك الأمم^(١).

وفي الأدب اليوناني، شعور داقيق، وحس عظيم للوطن، وشوق وحنين إليه.

يظهر هذا لنا بوضوح عند الشاعر الروماني سولون^(٢)، حينما يمتلئ جزء من بلاده - جزيرة سالامينا - فيجن جنونه، ويطلب بالذئاع عنها، ويحجز يربها من الخطين، ويعمل به الجند، إلى أنه يمتلئ لو يستطيع تغيير وطنه: والانتساب إلى نظيره.

وكذلك لما أصابه من الذل والخم، ولكن انتهى له ذلك! ودخل له من وطنه فكك!

وهو الشوق به، المضطرب من أجله، انداعى لتخليصه من الخطين الدخلاء^(٣). قال:

و بالتي كنت أستطيع تغيير وطني، والانتساب إلى مدينة، فوليبيدوس، أو

إلى مدينة، سيكنوس، لاقي لا أحصل أن يظهر إلى الناس قاطن: هـ هذا هو

أحد الأثينيين الذين تقلوا عن سالامينا. وأن تفضل هذه الحجة من قم إلى قم، ثم

يحتم قسيدة بهذه العبارة المتهمة: وإلى الامام، إلى سالامينا، لتقاتل من أجل تلك

الجزيرة الثابتة، ولتطرد المار بعيداً عنها^(٤). أراءيت إذن، كيف يكون القتال

والفضيحة والنداء من أجل الوطن، والذئاع منه، والدعوة إلى ريوطة، جو أهل

الشاعر وما يدعو إليه؟!

أما الهنود والفرس، فيكفينا أن نشير، إلى بعض ما وراء قداماء العرب عن

تعلقهم في أوطانهم. قالوا: هـ قالت الحكمة: حزين الرجل إلى وطنه، من علامات

الرجوع^(٥). فلهذا من علامة الرشد عند الرجل، حذنه إلى وطنه.

(١) رسائل الجاحظ: ٢/ ٤٠٩.

(٢) نورد أن نورد بأن هناك بعض الاختلاف في رواية أخبارك الحكام

والشاعر كما نلاحظه، أو تغيير في أخرى، إلا أن المتن واحد، وقد اجتمعنا

في تجميع النص هنا على أقدم النسخين في هذا المجال، وفيما سأل من خصوص

(٣) ولد سولون في أثينا في بلاد الرومان حوالي سنة ٦٠٠ ق.م. وهو أحد

الحكام السبعة فيها.

(٤) الأدب اللاتيني لككتور محمد غلاب: ٦٠٢.

(٥) ديوان المائي: ١٨٧/٣.

يقاتل ويحارب، وفي تراثه يجب أن يورثه. لذلك نراه يوصي حين تضره

الوفاة، أن يحمل في تابوت ذهب إلى بلاده، حباً في وطنه^(١).

ويروون عن أفلاطون قوله: هـ غذاء الطبيعة من أجمع أدويتها^(٢). وقال:

يبدأ كل طفل بمغافرة أرضه، فإن الطبيعة تتطلع لحوائها، وتخرج إلى غذائها^(٣).

هي الطبيعة إذن، وطن الإنسان، يولد فيها، وفيها يجد لشقاءه ليلته،

وموتها لآلامه.

ويروون عن جالينوس قوله: هـ يبروح الدليل بنفسه أرضه، كما تلقت الحبة ببل

الذئاع^(٤). فالجائوس إذن، في حكمه هذه، يربط الإنسان بوطنه وأهله، الذين

هم دواؤه وملبأه. فكان الإنسان بين أهله ووطنه، كالحبة التي لا تستغي أبداً

عن الطر.

ولاستخرج أن نرى كيف في العذبة القصير، في الحنين إلى الوطن عند العرب.

باروز وألج حديث نقلوه لنا عن فلاسفة، إذ جعلوا حب الوطن، يدخل في صميم

تركيب جنة الإنسان. نقل الجاحظ والراغب الأصفهاني، قول بعض الفلاسفة:

هـ فطر الرجل معجزة يجب أن يحب الوطن^(٥). وقد علق الجاحظ على هذه الصورة

المتواترة، عن عطاء الفوتان وفلاسفتهم، ومدى تعلقهم بديارهم وأوطانهم، فأكبر

فيهم هذا الحنين، وحسب تعلقهم بوطنهم، إلى أن العيون إلى الوطن، عاتلة

جبانة، لا تغف أبداً أنه عاتلة أخرى: قال: هـ فلولاه المترك الحباروة، الذين لم

يشفقوا في انشراحهم نصف، ولا غادوا في انشراحهم شهوة، احتروا إلى أوطانهم،

ولم يتركوا على قلوبهم، ومساكينهم، شيئاً من الأقاليم المستغاة بالتناوي.

(١) رسائل الجاحظ: ٢/ ٤٠٩. ومطالع البدر: ٢/ ٢٩٢.

(٢) ديوان المائي لأبي خلال العسكري: ٣٨٧/٣.

(٣) رسائل الجاحظ: ٢/ ٣٨٧. والنجاشي والأجداد للجاحظ: ٩٣.

(٤) النجاشي والمناوي، البيهقي: ٢/ ٣٣٦. وديوان المائي العسكري: ١٨٨/٢.

(٥) رسائل الجاحظ: ٢/ ٣٨٧. ومناظرات الأدباء للأعبي الأصفهاني: ٦٢.

وقتل ملك الحبشة التقلب كان على اليمن (كندا) أقام بها عاملاً لاثو شروان ، فبنى
سحران اليمن ، وهي أحسن مدن الثغور ، فلما أمدكه الوفاة ، أوصى ابنه شيرزاد
أن يحصل إلى أخطى نارس (١) أبيه ففعل به بعد ذلك (٢) .

وقال أحد الحكماء : — من الهدوء أو القوس : ، الخروج من الوطن أحسن .
والسباين ، والجلاد أحد التلحين (٣) ، . وقديماً قالت الهند : وحرمة بلدك عليك ،
مثلاً حرمة أبيك . لأن غداك منهما ، وغداً حمائم (٤) ، فالوطن هو الوطن والآخر
في حياة الإنسان ، والوطن حرمة يجب أن تصان ، أنها مثل حرمة الأيوين . وما
الأيوين . وما الأيوين إلا بعض إنتاج الوطن . وقال حكيم آخر : من هو لا
الحكماء ، وهو يظلم الحبش إلى الوطن في قول وقيل ، وأسلوب رائع : والحبش من
رقعة القلب ، ورقعة القلب من الرعاية ، والرعاية من الرحمة ، والرحمة من كرم النظرة
وكرم القصد . من طاعة الزوراء ، وطاعة الرغبة من كرم الحد (٥) ، لأنها طيبة
الإيمان ، الطيبة الجيدة ، أن يحج الإنسان إلى وطنه ، لأن الحبش إلى الوطن من
كرم الحد . وحصل آخر الدار مهدياً ، والوطن طراً حين قال : هو أروض الرجل طاعة ،
وشاره مهدياً (٦) .

وقالت المصنف : و من علامة الشدة أن تكون النفس إلى من أهدا مشتاقه ، وإلى
مستقر أسما تواقه (٧) ، فالحبش إلى الوطن على هذا ، حين لا يضرأ من حذارك
الإيمان ورشدته . وقال حكيم آخر : استظك بلداً ورشدك (٨) غداً ، وارح مني

- (١) فارس ، مدفن أو قبر ، فارسى معرب .
- (٢) رسائل الجاحظ : ٢/٤٠٩ .
- (٣) ديوان المصنف : ٢/١٨٧ .
- (٤) : رسائل الجاحظ : ٢/٣٨٥ ، وديوان المصنف : ٢/١٨٨ .
- (٥) المحدث : الأصل : هو كرم الخند ، وهو كرام الخاند .
- (٦) رسائل الجاحظ : ٢/٢٨٦ .
- (٧) ديوان المصنف : ١٨٨ .
- (٨) رسائل الجاحظ : ٢/٣٨٥ ، ومخاضرات الأدباء : ٤/١٢٠ :
الشيخ الأندلسي والشمسية .

وروا عن حكيمهم بزر جسر (١) قوله : و من أمارات النازل ، بده ياخوار ،
وحذته إلى أوطانه (٢) . ليجل الحبش إلى الوطن ، أماره من أمارات النخل عند
الرجل ، وقالوا لما غزا المشنديار (٣) بلاد الخور ، اعتل بها ، فقبل له : ما تشتهي ؟
قال : شربة من ماء دجلة ، وشعياً من تراب اصطخر . فأتى بعد أيام بماء وقبضة من
تراب ، وغيل له : هذا من ماء دجلة ، ومن تراب أرضك . فشرب واشتم بالوم ،
فقه من علته (٤) : هكذا هي الحياة إذن . الموت في المحيرة عن الدار والوطن ،
والحياة الحرة المكربة في طراياها وفوق ترابها ، ويروي لنا الجاحظ ، أن سابور (٥)
لما أسرى بلاد الروم ، قالت له بذت الملك — وكان قد مرض وعشقه — : ما تشتهي ؟
قال : شربة ماء من دجلة ، وشعياً من تراب اصطخر ، فحمل إليه فبراً (٦) . وكذلك
يروى الجاحظ رواية ثانية عن الشنق استنديار إلى وطنه ، وأنه اعتل ببلاد الخور ،
فطلب شربة من تراب بلخ ، وشربة من ماء وادها . قال : ورحى الموبذ (٧) أنه قرأ
في مسيرة استنديار بن يسطاف بن خراسف ، بالفارسية ، أنه لما غزا بلاد الخور ،
لستندف أخته من الأسر ، اعتل بها . فقبل له : ما تشتهي ؟ قال : شربة من بلخ ،
وشربة من ماء وادها (٨) .

وكان يروى الأندلسيون عن الاسكندر المقدوني ، أنه أوصى بأن يحصل جده إلى
بلاد ، كذلك روى أن وهرز (٩) بن شيرزاد قد نقل جده إلى وطنه ، بناء على
وصيته لابنه شيرزاد ، قالوا : ولا اقتح وهرز بن شيرزاد بن بهرام جور النين ،

- (١) حكيم من حكام الفرس ، وهو بزر جهور بن البختگان كان وزير آل بريد .
- (٢) ديوان المصنف : ٢/١٨٧ .
- (٣) قائم من قواد الفرس .
- (٤) مخاضرات الأدباء : ٢/٦٢١ .
- (٥) هو التاسع من ملوك الساسانية ، وهو سابور بن هرم بن زرمي ابن بهرام .
- (٦) رسائل الجاحظ : ٢/٨٠٤ .
- (٧) فاضل الفرس ، ورئيس الكعبة ، فارسى معرب .
- (٨) رسائل الجاحظ : ٢/٤٠٨ .
- (٩) وهرز قائم فارسى أرسله كسرى أنوشروان مع سنان بن كخي بن بزن
الشمسية منبذاً له على الحياة .

أكثر من غيره ، وأولى البلد أن يحباها إليه ، بلد وضعت مائة ، وطهرت منها (١) .
فهذا أمر حكيم من حكيم ! خير الدنيا ، ورأى أن البلد يجب أن يحبان ، وأن الوطن
يجب أن يحفظ ، لأنه السبب في وجود الإنسان ، ونشأته وترعرعته .

والأدب السرياني يقدم يقدم لنا نماذج من الحنين إلى الوطن ، خاصة ملحمة
« أنشودة الروح » (٢) ، من شعر ابن ديسان .

في هذه الملحمة ، يتحدثنا ابن ديسان عن ابن الملك الذي رحل إلى مصر
بحثاً عن الزلوة ، وما كان يقاسيه هناك ، من شرد وغربة ، رغم أنه كان
يحاول استخلاص الزلوة أرسله أبوه للحصول عليها ، لكنه لم يستطع أن ينسجم
مع الجو المصري رغم أنه قد تزوجاً بى المصريين ، وحاول جاهداً أن يتصرف مثلهم ،
لكنه انتهى له ذلك ،

وفي أسطورة « أفرديم » (٣) ، يتجلى — أيضاً — هذا الشعور الذى دفع بهذا
الرجل إلى ترك مدينته ، شوقاً إلى الرها ووطنه الأصلي ، حيث عاد إليه ليحرق فيه سنة
٢٧٣ م بعد أن طالبت إقامته بمصر ، باعتباره أسقفاً مسيحياً .

وكثير من هذه القصائد يتحدثها في أساطير العظماء التى تروى عنهم .
أما العرب ، وروحهم من الحنين إلى الوطن . فقد بينا رسالنا هذه عليه .
وبوقتئذ على الحديث عن الحنين إلى الوطن . في فترة من فترات تاريخهم . وماذا
إلا لكثرة ما وجدناه في أدبهم عاين على هذه العاطفة الجليلة . على أنها قد وردت في هذه
التقارير ، من مختلف عصور الأدب العربي ، القديم والحديث ، تمهيداً لتلك القصود ،
وتبييناً لمواقف العرب من الأوطان ، والحنين إليها .

فالاثنى تحدثنا أحاديث طويلة عن واقع السرياني بوطنه ، وتعلقه به . يقول :

- (١) رسائل الجاحظ : ٢ / ٣ ، والخطيب والاختصاص الجاحظ : ٩٣ .
(٢) تاريخ الأدب السرياني للدكتور مراد كامل : ٦٤ — ٦٥ .
(٣) المصدر السابق ، ٧١ / ٧٢ .

ودخلت البادية ، فزوات على بعض الأعراب . فقلت : أفدى . فقال : إذا شئت أن
تعرف وفاء الرجل ، وحسن عهده ، وكرم أخلاقه ، وطهارة مولده ، فانظر إلى
حنينه إلى أوطانه ، وأشوقه إلى أخوانه (١) .

والقرآن الكريم . يصور ظاهرة حب الوطن . والتعلق به ، تصويراً رائعاً حين
يحمل الخروج من النار كقتل النفس . قال الله تعالى : (ولو آتاكم كتابنا عليهم أن
أقتلوا أنفسهم ، أو آخر جوارحهم ، ما فعلوه إلا قليل منهم) (٢) .

وانطلاقاً من تعاليم النبلاء ، وأئمة الأئمة ، عليهم السلام ، يحنون إلى الوطن .
حدثنا الخزولي ، أن يوسف عليه السلام ، لما حضرته الوفاة ، أوصى أن يحمل إلى
مقابر آبائه ، فنعى أهل مصر أوليائه . فلما بعث الله موسى عليه السلام ، وأهلك
فرعون ، حمله إلى مقابرهم (٣) .

وكذلك كان موقفه بتقريب عليه السلام . يتحدثنا الجاحظ فيقول : « مات بمصر ،
فحملت رثته إلى ألبيا . وقرية بيت المقدس » (٤) .

ويذكر الجاحظ أن بعضاً من بني إسرائيل كانوا يتمسكون بوطنتهم في
حياتهم ، وبعد مماتهم ، يقول : « ومن تمسك من بني إسرائيل — دأبه السلام —
بحب الأوطان خاصة ، ولد حارون ، وآل داود ، لم يمت بميت ميت في
إقليم بابل . في أي البلدان مات ، ألا تنشأ قبره بعد حرك ، وجلت رثته
إلى موضع يدعى الحصاة بالسام ، فيودع هناك حولا ، فإذا حال الحول ، نقلت
إلى بيت المقدس » (٥) .

والرسول الأعظم ، عليه الصلاة والسلام ، كان كغير الحنين إلى مكة — وطنه — .

- (١) مطالع البدور : ٢ / ٢٩٧ .
(٢) سورة النساء : ٤١ .
(٣) مطالع البدور : ٢ / ٢٩٢ .
(٤) رسائل الجاحظ : ٢ / ٤١٠ .
(٥) المصدر السابق : ٢ / ٤١١ .

حتى أنه تغرورق عيناه ، حين يسمع أبانثالا (١) يصف له مكة ، ويقول — حين يسأله الرسول : كيف تركت مكة ؟ — وتركتم وقد جئتموها (٢) ، وتركتم الآخر (٣) وقد أغدق (٤) ، وتركتم الثمام (٥) وقد خاض (٦) ، وله عليه الصلاة والسلام مواقف أخرى في الحنين إلى الوطن — مكة — سوف نذكرها في مكانها .

وفي الشعر الإسلامي تستمر ظاهرة الحنين إلى الوطن . وفي أمالي المرتضى :
لشاعر من نجد ، قول (٧) :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة باسناد نجد وهي خضر متونها (٨)

وهل أشربن الدهر من ماء مزنة بجرة لبلى حيث فاض معينها (٩)

بلادها كما نحل فأصبحت حلا ترعها مع آدم عينها

تقيأت فيها بالشباب وبالصبأ تيل بما أموى على غصونها

فالشاعر يعني ، أفتى ما يمتنى أن يبيت ليلة بنجد ، موطنه . وأن يشرب مشربة

(١) صحابي جليل .

(٢) نجاد عن النبي : مال عنه وعدل ، وهذا جيدوا : أي عدلوا عن السواب وتركوا الجادة .

(٣) الآخر : مات طيب الروح .

(٤) أغدق : أنصب ، والذيق : المظل الكثير .

(٥) الثمام : كتراب : أبت ، يستعملونه لإزالة البياض من العين ، واجدته بهاء ويقال : بيت مشوم : أي مغطى بالثمام . ويقال لما لا يسر تناوله : وعلى طرف الثمام ، لأنه لا يطول .

(٦) مطالع البدور : ٢٩٢/٢ .

(٧) أمالي المرتضى : ١٥١/١ .

(٨) المتون : جوارب الأرض في إشراف .

(٩) ماء مونة ، وجرادة لبلى : موشان .

ماء من ماء المطر فيها . ثم أنظر إلى هذه الحسرة التي تبعثها في نفس الفارسي عبارة : بلادها كما نحل — — — ، ثم انظر كيف يتذكرها مقرونة بأسد أوقات حياته : يتذكرها مقرونة بالشباب وبالصبأ .

وقريب من هذا ما نراه ، في قصائد جامعية وإسلامية كثيرة ، عن الوطن ، والحنين إلى الوطن ، وإلى البلاد ، ومن سكن البلاد . والديار ، وما في الديار من ذكريات الصبا والشباب .

واستمر هذا الحنين ، قوياً طاغياً ، رغم تطور الحضارة ، والحجرة الراسعة إلى الافاق والحواضر . ففي كثير من القصائد العباسية ، يتجلى الحنين إلى الوطن ، جلاء ما به غموض . وما قول أبي تمام (١) :

نقل فؤادك حيث شئت من الورى ما الطب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض بألفه القتي وحنينه أبداً لأول منزل

ألا صرخة تذكرها عوالم الحنين والشوق إلى الوطن التي نجد لها واضحة جلية في جملة الديوانين العباسية (٢) .

(١) ديوان أبي تمام : ١٥٧/٣ .

(٢) نجد هذا في قصيدة عوف بن مسلم الخزاعي حين يقول : (طبقات ابن

المعتر : ١٨٧) .

أبي كل يوم غربة ويروح أما للنوي من وثية تريح

وقصيدة أبي تواس حين يقول : (ديوان أبي تواس : ٤٧٦) :

ذكر الكرخ تازح الأوطان فصبا ضبرة ولات أوان

وقصيدة سعيد الخالدي حيث يقول : (ديوان الخالدين : ١٤٥)

أنا لترحل والاهواء أجما لديك مستوطنات ليس ترحل

وقصيدة ابن المعتز حين يقول : (ديوان ابن المعتز : ٢٦٦)

سلياً لجان بهر الكرخ من دار تركت فيها لباتي وأوطاري

ولا يفرب عن الباك ، أن العربي حين فتح الأندلس ، كان شعر الحنين عنده ،
أصدق عاطفة ، وأشد لوعة ، خاصة حين يذكر أهله ودياره في المشرق العربي ،
وببلاد الشام . حتى إذا ما طال استيطان العرب الأندلس ، وتعاقت أجيالهم فيها ،
ظهر شعر الحنين إليها ، داراً بديلة عن المشرق . وقد ذكر ابن خفاجة حين يقول (١) :

أب للجنة بالأندلس عجبلى مرأى وديا نفس

فستى صبحتها من شنب ودجى ظلمتها من لعل

فإذا ما هبت الريح صبا صحت وأشواقى إلى الأندلس

وفي شعر أبي بن عمرو بن مالك ، يسقط سبب من أسباب الحنين إلى الوطن ، ذلك
هو تذكرة هذا الوطن ، بفعل ما يشوق هذا التذكرة ، كالبرق ، والورق ، وحبوب
الغمام ، قال (٢) :

أشجلك النسيم حين يرب أم سنا البرق إذ يخب ويخبو (٣)

وقصيدة الصالح بن الأحمق حين يقول : (ديوان الصالح بن الأحمق : ٢٦٩) :

ونازح الدار أنى المشرق عبرته أمنى على بلاداً غيرها الوطن
وقصيدة أبي تمام المرسي حين يقول : (ديوان سقط الزاد : ١٤٤) :

ومن لى يأتى فى جيشاح غمامة تشبهها فى الجنج أم رمال
وقصيدة أبي بكر الأزدي حين يقول : (ديوان أبي بكر الأزدي : ١٠٩) :

أمن نحو العقيق شجلك برق كان وميضه رجيع الجفون
وقصيدة أبيات بن منقذ حين يقول : (ديوان أبيات بن منقذ : ٥٨) :

كتم الجوى القلب الفرج فأذاعه الدمع الضحوح
وغير ذلك كثير .

(١) الحلال الهندسية لشكيب أرسلان : ٢٤٣/١ .

(٢) المسمى والقصبة : سوزد يعنى شفة المرأة البيضاء ، وقيل هو سواد فى حرة .

(٣) الحلال الهندسية : ١٨٩/١ .

(٤) الملقب : النقاد : وأحب : هيجان البحر واضطرابه ، وكان البرق يبيحه .

أم هتوف على الأراك تشدو أم هتوف من الغمامة سكب ؟

كل هناك لأصباة داع أى صبّ دموعه لا تصب ؟

أنا لولا النسيم والبرق والورق قوصوب الغمام ، أكنت أصبو (١)

ذكرتني شلبا وهيات منى بعدما استحك الأمر شلب (٢)

وفي الأدب العربي الحديث ، تظهر أشعار الحنين إلى الرقاع المختلفة من الوطن
العربي ، فالشاعر العربي العراقي - مثلاً - حين يرحل إلى جزء من العالم العربي ،
تراء دائم الحنين إلى العراق ، كما فعل المكافى فى شوقه إلى العراق ، وإلى الأنبار ،
وإلى كل ديار بغداد . نستطيع أن نذكر مثلاً على هذا ، قوله (٣) :

جوى أودى بقلبك أم وجيب غداة حدا بك الحادي العاروب

بمدت عن الديار وصرت تدعو على البعد الديار ، ولا تحيب

تشدّ الرجل من بلد لأخرى وما لملك من بلد نصيب

وفى مصر أراك وأنت لاه وقلبك فى العراق جوى يذوب

وأصير للحصى بجميع قلبي كذا فليصّب للوطن الغريب

سقى الأنبار كل أجش هام وجاد السكرخ ما طره الصيب

فى هذه الأبيات ، يصور عبد الحمن المكافى بدهن بغداد ، وشوقه
إليها ، تصويراً يملك علينا أنفسنا ، وبشكك قلوبنا . ولا غرو ، لأن الحنين

(١) الوردة : السرة ، أى الأحذية فى قليل .

(٢) شلب : مدينة الشاعر .

(٣) الحنين والغربة : فى الشعر العربي الحديث للدكتور باهر حسن .

قوى : ٣٩ - ٤٠

صالح ، يمشى من قلب مكوم ، ومشاعر حزينة ، تظهر المهر في مصر ، وتذوب اشتياقاً إلى بغداد .

وفي أندلسيات شوقي ، يضطرم الحنين إلى الوطن . ولا يجب فقد تبقى عن بلده نغصير إلى الاندلس . ويضجلى أملى شعر شوقي حين يقول من قصيدة (١) :

يا ساكني مصر أنا لا نزال على عهد الوفاء وأن غيبنا مقيمينا
هلا بعثم لنا من ماء نهرهم شيئاً ، نبل به استواء صاديونا
كل المناهل بعد النيل آسنه ما أبعد النيل إلا عن أمانينا
وأبيات شوقي هذه ، وإن كانت بعض معانيها تذكرنا بما قاله الشاعر العربي القديم ، أبو التمام الأسدي (٢) :

اقرأ على الوشل السلام وقل له بكل المشارب مدهم ريت خيم

جبل يزيد على الجبال إذا بدأ بين الرباع والجنوم مقدم

سقى لظلك بالمشى وبالضحى ولبرد مائك والمياه حميم

ولو كنت أم لك منع مائك لم يذق ما في قلاتك - ما حبيبتك يوم

يقول : إن أبيات شوقي هذه ، وإن أعادت علينا بعض المعاني العربية القديمة ، إلا أنها تبرزنا ، وتهمز كل قارئ ، وتفتح العسى ، لما تحمله من العواطف الجياشة الصاعدة في شأناها .

(١) أندلسيات شوقي : المذكور ص ٢٣ : ٢٢ .

(٢) من خديثة الماء في الأدب العربي . مقال الدكتور جميل سعيد بهجة (١) .

البراني : ١٢ / ١٩١١ .

(٣) الرسل : مائة بيتي سلول بن عامر بن صعدة .

(٤) المشوم : الأكل .

(٥) الليل والليل : حب يثيب به الصفر .

ثم أن شوقي ، أنشراحاً من حذائه الطاهر إلى وطنه ، يقول قوله الخالد :

وطني لو ضللت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وأخيراً نصير إلى شعر الذين طردوا من ديارهم ، والذين يظهر شعر الحنين عذم ناراً مشتعلة ، وعاطفة جياشة ، شوقاً إلى الديار السلية ، والوطن المغيص .

نصير إلى شعراء وطني وفلسطين ، الذين ذابت قلوبهم من حرارة الشوق ، إلى حيفا وبافا والجليل . إنها اللوعة والحسرة ، والحب المكني ، والمواطف المبعثة ،

يصورها محمود الحوت حين يخاطب بافا ، وقد بخت دموعه ، وهو يتسائل عنها وعن شقيقها ، قال (١) :

بافا ، لقد بخت دمي فأتجيبت دما متى أراك وهل في العمر من أمد

كيف المشققات ، وأشواق إلهامنا كأنها قطع من جنة الخلد

ما حالها اليوم يا بافا وهل نعمت من بعد أن سلت أمسا يد أيد

وكيف من قد تبقى في مرابعها وقد تركناه فيها ترك ملحد

تعبت لسكني ما زلت في نهي أشكو إلى الله ، لا أشكو إلى أحد

وشعر المهجر قريب في تميله الشعر الإندلسي ، من حيث أن الشعراء قد جازوا من دار إلى دار ، وتركوا ذكر بلادهم وأهلهم ، واستوطنوا دياراً أخرى

باعتبارهم ، وراحتهم ، ومع ذلك غابر في شعرهم حنين إلى أوطانهم . لا نستطيع أن ننقله ، لما فيه من فن بديع ، وشاعرية أخاذة ، ودوح غالية إلى قربة الوطن ،

إلى المناقيد والدرالي ، إلى الروابي والمصاحير ، إلى الأفاخي ومشاها . يقول إيليا أبو حاضن (٢) :

لسكني أمنية ينشئ يستورها الحروب ، والحياة

(١) الحنين والعربية في الشعر العربي الحديث : ٨٧ .

(٢) ديوان إيليا : ٦٨ - ٦٩ .

وهو يسبح صورتها دون انقطاع . كذا تحيل الغسرة الاشياء في ذهن القريب ا .
وحال شجرة الجوز ديدبان الليل ، ويخلص من ذلك كله ، إلى أنه أحب وطنه حباً
ليس عليه مزبد ، ولكن ما جدوى ذلك الحسب يا أيها الوطن ١٩ .

وفي رسالة من بولونيا ، (١) يرسم الشاعر صورة أحد أجداده بالتفصيل ، وقد جث
لأنه لم يزور وطنه مرة أخرى :

وفي الظهيرة (٢) يصف حاله وحيداً في أحد ميادين المدينة القديمة ، وقد برح
به الحنين بعيداً عن وطنه ، فلا يملك إلا أن ينظر حائلاً إلى ما حوله .

ويللا ، في منزل اندكتور فلاوست (٣) يصرخ الشاعر وكفاني ما أعاني ، ا :
وتسنى أن يذهب إلى اسطنبول ساعة واحدة فقط ا .

وفي همت (٤) يتطأب وطنه ، ويتسنى أن يسمعه وطنه .

وأخيراً نحن مع درثاء شيطان ، وفيها لقاء مع أحد الأدباء ، وكيف أنه كان
يتسنى أن يكافئه ما يحتاج به قلبه ، وكان صدقه تحذره عن الشا كل الكبرى ، عن
عين الجروح والخصه ، عن الحب ، عن الاقتصاد والسياسة ، والاحتجاج لكن صدقه
خدا ولم يمان أبداً بينة الحنين إلى الوطن . . .

وناطم حكمت يصرخ : آه يا وطني ، آه حتى لو وضعوه في الجنة في عرقه
وبعده عن وطنه . الآن نحن مع مقطع من هذه المراثية الزائدة (٥)

كان يحني وقبه الكثيرة

أمام الصداقة

وكانت حريته قائمة

في أربابه وعزاله

وكان أذبه قائم

في ذيله الطويل الكثيف

وكانا تسنى أن تكافئ

(٣) الديوان : ١١٤

(٤) الديوان : ١٣٧

(١) الديوان : ٧٤

(٢) الديوان : ١٢٠

(٥) الديوان : ٥٦

فقال : يا شاعر أعجيباً قل لي إذن ما الذي تشاء

فقلت : يا رب فصل صيف في أرض لبنان أو شتاء

فأنني هاهنا غريب وليس في غربة ههنا

نحن نفسي إلى السواق إلى الأفاحي إلى الضياء

إلى الروابي توري وتكسي إلى العصفير والنباه

إلى المناقيد والدوالي والماء والنور والهواء

ولا تكاد نجد ديوان شاعر من شعرائهم ، إلا وترى الحنين إلى الوطن يطلع
عليك من كل ناحية فيه (١)

ومع مرور الأيام ، ويتطور الزمان ، نجد أن الإنسان قد تطور تطورا
ملحوظا في شتى جوانبه الروحية ، والمادية ، والفكرية ، إلا أن عواطفه وانفعالاته
قيت هي هي ، فهو يطرب للجميل ، ويستشعر الكمال ويحب ، وينزع إلى الملل الأجلي
في شتى جوانب حياته ، ونحن إلى وطنه كلما اضرب ، كما كان القسندماء ينحون إلى
أوطانهم ، وسندرس فيما يلي بعض القصائد الأجنبية الحديثة . لتري صدق هذه الحقيقة .

في الأدب التركي ، نجد ناطم حكمت يصرخ ديوانه المروفي ، وبالحياة السني من
مئة عاقبة (٢) ويكرس قصائدها الديوان الجديد عن الوطن والغربة ، وما عليه هذه
الغربة على الإنسان من معاصر الأمل والألم . فيعظم في سوكهولم وشجرة الجوز (٣)
يصف فيها شجرة في ماء اسطنبول ، التي يتأملها الناس في الليل ، دون كل أو ملل .
ويخيل أن شجرة الحور في اسطنبول قد سقطت في بندقه ، وكانت ترتعش في خافقه .

(١) أنظر ديوان الياس فرحات ، ورشيد أبوب ، ونسيب عن ريشة ، وأمير

الوجه .

(٢) شاعر ترجمان ديوان أليم حكمت ، الأولى بالسنونان المذكور ، ترجمته الدكتور
أكرم فاضل ، وهي التي اعتضدنا عليها ، والثانية من أن : أغنيات المنى ، ترجمتها محمد الجباري .

(٣) الديوان : ٧٤ .

وكان يحدثني عن المشاكل الكبرى
عن الجوع والتخمة والحب
ولسكنه لم يمان أبدأ
محبة الحنين إلى الوطن
فذلك حالة خاصة في وجهتي
لقد وضع الشاعر في الجنة
فصرخ أه يا وطني !
ومات !

ولست أريد أن أفيض في الحديث في هذه المقدمة عن الحنين إلى الوطن في
الآداب ، وأكتفي أن أقول : بأنك لا تجد أدباً لائقاً لأمة من الأمم الحديثة (١) ، بل
والقديمة ، إلا وترى عاطفة حب الوطن كقوة تضيئ فيه ، وتلبس عواطف الشعراء ،
فتتلفهم بالشعر الحار المؤثر . وتظهر روعة هذا الشعر ، وجلاله عند قراءته باللغة
التي كتب بها ، إذ أن الشعر ، أي شعر ، يفقد الكثير من تأثيره في النفس عند
ترجمته إلى لغة أخرى .

(١) في الأدب الانجليزي الحديث ، انظر قصيدة : توبياس سمولت ، التي يقول
فيها : حذاراً كاهنيا للعبسية ، حذاراً ، بكتاب قصة الأدب في العالم : ٢ / ٣٩٤ ،
وفي الأدب الفرنسي أنظر كراسة العروة الذهبية في الأدب ، لامية جيزور ، بكتاب
إيميه سيزر لبيان كينسولت ، ترجمة أنطوس حصي ص : ٩٠ .
وفي الأدب الروماني أنظر قصيدة أوجينيو موتال التي مطلعها : وقتنا جيد كانت
الأرضية الحسية ، بكتاب : قصائد مختارة من الشعر العالمي ، ترجمة بندر شاكر
السياب ص : ٤٤ .
في الأدب الإسباني : أنظر قصيدة بايلر نيرودا ، التي مطلعها : ستأرون ، أن
هي الزايق الليسكية ، بكتاب بايلر نيرودا المالك مرسيديك ، ترجمة أحمد سويد
ص : ١٥٨ .
وفي الأدب البلجيكي ، أنظر قصيدة أسيل كامبير ، التي مطلعها : أنه صوت بداية ،
بكتاب قصائد مختارة من الشعر العالمي .

٤ - العرب والشعر

إن الإنسان إذا ما شعر بالحب أو الكره ، بالاستحسان أو الاستئزاز ، نحو
أمر معين ، إنما يكون هذا ناتجاً عن العاطفة الإنسانية ، التي تتحكم في المشاعر
والأحاسيس .

والإنسان العربي ، ذو عاطفة قوية ، نظراً لما عرّف عنه من وقعة الإحساس ،
وسرعة الخاطر (١) . وكان لا بد له من التعبير عن هذه العاطفة ، ولما كانت الأمة
العربية أمة شاعرة لأنها مرهقة الحس متدفقة للعاطفة ، يضاف إلى هذا أن لغتها
لغة شاعرة (٢) ، ومن هنا كان البيان من أبرز صفات هذه الأمة (٣) ، وعلى ذلك فلم
يكن هذا الإنسان العربي إلا أن يصور عاطفته ، ويعبر عنها ، شعراً ، وذلك لأن
الشعر انفعال نفسي بنفس به المرء عن نفسه ، شأن البكاء بنفس به عن أحزانه ، وشأن
الشعر أن يعبر به عن فرحه وسروره (٤) ، لأن ، الشعر لغة الوجدان (٥) . وقد جاء
تصوير العرب لمواطنهم بأشعارهم ، رائعاً جميلاً ، وكان سجيلاً خافلاً ، حفظته لنا
أشعارهم المنظومة ، وقديماً فطن ابن رشيق إلى هذا ، فقال : « وكان الكلام كله
مشوراً ، فاحتاجت العرب إلى الفناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها ، وذكرياتها
أصالتها ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الانجاد ، وصحانها الأجواد ، لمز أنفسنا
إلى الكرم ، وتدل أبنائها على حسن النسيم فتوهجوا أعاربهم جملودهم وازين الكلام ،
فقاتم لهم وزنه ، سموه شعراً ، لأنهم شعروا به ، أي فلتوا (٦) . فهذا سبب آخر ،
يضيقه ابن رشيق ، لنظم الشعر — إضافة إلى التعبير عن العواطف والانفعالات

- (١) تنظر محاضرات أستاذنا أ.م. كنوز جميل سعيد عن العرب والشعر .
- (٢) اللغة الشاعرة لعماس محمود العقاد .
- (٣) العرب والشعر محاضرات أ.م. كنوز جميل سعيد .
- (٤) الشعر والإشهاد ل.د. كنوز جميل سعيد مجلة المجمع العلمي العراقي ١٤ / ٥٨ - ٥٩ .
- (٥) المصدر السابق عن كتاب قصة الأدب في العالم ل.د. كنوز أحمد أمين .
- والكنوز في كتييب محمود . ١٤ / ٥٨ .
- (٦) العمدة لابن رشيق : ٧ / ٨ - ٨ .

الغربية — فهو للشيء بالإنشاء، وعرفنا الإجداد، وللشعر والاعتزاز، والحدود عن مكارم الأخلاق، ولذا ذكر الأوطان الثامن والستون عليها — وقوله قال الجاحظ: «وكانت العرب في جاهليتها تتحلى في محليتها، بأن تستند في ذلك على الشعر الموزون، والكلام الملقى، وكان ذلك هو ديوانها» (١).

فالشعر إذن هو تعبير عن العواطف، والمشاعر، والأساسيس. وهو أيضاً سجل لآثار العرب وأيامهم. ولما كانت عاطفة العربي نحو وطنه، قوة طاغية وجسده له عظماً، ودفاعه عنه دفاع المستميت، وشوقه إليه كبيراً في وقت العباد والطين، فقد حفظ لنا هذا السجل أشتار العرب في حنينهم إلى أوطانهم وديارهم، إذا ما انتقلوا منها أو اضطروا إلى الهجرة عنها.

والخلاصة لهذا لا غنى عن فهم السمة الثالثة، على العصر الجاهلي، من ناحية أسلوب الحياة، ففي حياة بدوية كحسين أن يذبح، وهاتحين أو لاء، مع شعرا العربي: دراسة وتحليل، متبعين المنهج الذي رسمناه من قبل، في دراسة شعر البادية، وشعر الحاضرة. كل على حدة.

٥ — العرب والوطن

يبدأ في دراستنا الإنسان والوطن، أن يرتبط الإنسان بوطنه، وحبها له، ونحسه به، ظاهرة إنسانية، ملازمة له في مختلف الأوطان، وعلى صغر العصور، وفي كل الديارات والأوطان. وذلك لأسباب القوة الدافعة، التي توصل الإنسان بوطنه. فكان لها الأثر الكبير في تكوينه النفسي، وتفكيره النفسي، وأفعاله العقلية. وهذه الأسباب هي التي أثرت في لونه، ولغته، وجماله، وعليقه، وعاداته، وتقاليدته. ومن هنا يرتبط الإنسان بما ارتبطاً لا ينقسم ولا يفرق، لا يؤول، وحينئذ حينئذ لا ينقطع.

والإنسان العربي، وهو بشارة ذو عاطفة قوية، وإحساس مرهف، وشعور

(١) الحيوان للجاحظ: ٧٧/١.

وحيث، وشمال دافق، امتاز بحبه لوطنه، فتمسك به، واستمسك في الدفاع عنه، وحينئذ إليه، وعبر عن ذلك بنصوص أدبية رائعة مؤثرة، سيورد ذكرها فيما بعد. طالع هذا العربي، في شبه الجزيرة العربية، في ديار مع قبيلته، يستقر أينما استقرت، وينقل أينما انتقلت — وماسة الحياة في صحراء قاحلة، إلا ينتقل من مكان لآخر، وراء الذهب والكلأ واللاء. وكان جل العرب بدواً رحلاً، ينتقلون في البادية وراء عيشتهم. ومع ذلك، فإننا لا نفتقر إلى وجود من استقروا في مراكز وبتاح حضرية، كان فيها استقرار دائم وحياة ثابتة، كيثرب، ومكة، ونجران، والحيرة. وكان لسكن من هذين النجاليين، البدو في باديتهم، والحضر في حاضرتهم، وطنه الذي يعيش فيه، ويحبه، ويحن إليه.

ووطن البدو غير وطن الحضر. وفي لسان العرب: «بدأ القوم بدواً، أي خرجوا إلى باديتهم، والبداءة: الإقامة في البادية» (١). فوطن البدو هو البادية. والحضر والحاضرة: المدن والقرى والريف. والحاضر: المتعمق في المدن والقرى (٢). فالمعصر إذن، هم أهل الإقامة الدائمة في مكان ما، أقاموا فيه، أي استقروا وكونوا المدن والقرى، وعاشوا فيها حياة دائمة، لا يرحلون ديارهم، ولا ينتقلون منها، وحنى وطنهم.

وهذا الفرق بين وطن البدو ووطن الحضر، كان له أثره في طبيعة ارتباط كل منهما بوطنه، وطبيعة الأساليب التي حن إليه فيه. فالبدو قوم رحل، دائم التنقل، لا يقر لهم قرار، في مكان معين، إلا أنهم يمحرون تنقلهم في محيط محدود، لا يخرجون عن نطاقه، إلا في حالات قليلة نادرة، يوظفون طائفة قاهرة. فكان هذا الخط، هو وطنهم الكبير، الذي يكون له الحب في قلوبهم، والتمسك في قلوبهم. ولما كان البدوي رقيق العاطفة، مرهف الشعور، دقيق الاحساس، فإننا نراه يتسكك بكل بقعة حل فيها، ويحن إلى كل ديار أقام بين جناتها، ويحب ويسكن — حينئذ يمر بأخطال دياره، وديار أهل — على أيامه السالفة.

(١) لسان العرب: ١٤/١٧.

(٢) الشعر للشاعر: ٤/١٤٧.

الوطن ، وترفضها في تلك المحجرة ، فطبعي جداً ، أن ينادي العربي أرضه ، وأن
يجن إليها ، خير أنه من غير الطبيعي — أبداً — أن يهجّر العربي أرضه ، ويذهب
إلى الرحيل عنها ، ويرغب في ذلك الرحيل ، إلا أن يكون هناك دوافع قاسية قاهرة
تدفعه إلى اتخاذ ذلك المرقف .

أنها ظاهرة جديدة بالدراسة ، لماذا ينادي العربي أرضه ؟ لاشك أنه يناديها
مكرهاً ، لأن نمط حياته يتطلب ذلك . فالصحراء العربية تفرض على القبيلة العربية ،
النقل جرياً ورواء الكلاء ، والمذهب والماء . كما أن الحياة الصحراوية تفرض على
العربي ، أن يمر بدياره التي قضى شطراً من عمره فيها ، فذكر فيها أيامه وذكر بآبائه
التي خلّت ، فمثل دموعه شديداً ، ويصور ذلك في قصائده . وهذا ما نتفق به مع
سائر الباحثين . لكن الظاهرة الأخرى ، ما هي أسبابها ؟ وإذا كان الشاعر
مكروهاً على المحجرة والزوال والنقل ، فهل من المعقول أن يرضى بهذا الذي أكره
عليه ، بل أن يسخر إليه ، ويرغب فيه ؟ هذا ما يرد الرحيل إليه ، والبحث عن
أسبابه ودوافعه .

فلذلك الضليل (امرؤ القيس) يهاجر من دياره ، ويغادر وطنه ، والام
يحز في نفسه ، لكنه يتفاني ، لأن المحجرة مفروضة عليه فرضاً ، بيد أن خسرت به
قبيلته ، فيسكن صاحبه ، لمكر امرؤ القيس لا يسكن . بل ويذهب إلى أبعد
من ذلك ، حين يفسف هذه المحجرة ، ويجد لها جوارحها ، التي يجعلها متوافقة
مع حبه الشديد للوطن وتعلقه به ، ووقوفه عليه ، ويكافئ على ما جلت به من فساد
وضياع عظام ، قال (١) :

بكي صاحبي رأي الدريد وتنه وأيقن أننا لا حقان بقيصرنا
وقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ما كنا أو نموت فمعدنا
فالسبب واضح ، وأنه لسبب قاصر .
والأدنى ، حناجة للشرب ، من المشك بين بالبحر ، كبحر البحيرة والبريد .
بسبب تركية بالبحر ، لكنه بين البيرة والقيية ، كانت فتاياه محاولات ، تمسك ، فطبعه .

(١) ديوان امرؤ القيس : ٦٥

والبدو أسبق من الحضرة ، وأقدم منهم ، وقد تحدث ابن خلدون في هذا ،
حديثاً واثماً مفصلاً ، ليس فيه ، بالطلب علمي ومنطقي ، التطور الطبيعي للبشر ،
وسنة الحياة فيه ، وأن الإنسان يدور في نفسائه ، حضري في طموحه وتطوره ،
ينتقل من البداوة إلى الحضرة . وما في الحضرة من سهل الراحة والرفاهية وروحها
الحيش ، فالإنسان مدني بالطبع ، يسود دائماً نحو الأفضل — كلما سمحت له
الظروف (١) .

ولهذا فإيه من الطبيعي ، أن يكون شعراء العصر الجاهلي كلهم — أو جلهم —
من البدو ، وقالوا وبعداً شاعراً حضرياً بينهم ، ذلك لأن الحياة بدوية في أصلها ،
حضرية في فرعها وتطورها . وهذا عكس ما نراه في العصور المتأخرة عن العصر
الجاهلي ، فكلمنا تقدم بنا الزمن ، كلما كانت الغلبة في شعراء البدو ، والكثرة في شعراء
الحاضرة ، وذلك نتيجة لتطور الحياة ، وتغير البلدان ، وبناء المدن ، والاستقرار
فيها ، فبقيت البعرة في عصر صدر الإسلام . وأزدهرت فكره ونفسيته في الحياة زماناً .
وأزدهرت دمشق في العصر الأموي ، وبقيت بغداد في العصر العباسي ، وأزدهرت
الحضارة في العصر نفسه . وإذا ما ألقينا نظرة في هذا العصر ، فالتصحنات نرى فيها كل
الشعراء — أو جلهم — من الحاضرة ، وقالوا وبعداً شاعراً بدوياً ، وإن وجد
فقد تضرعوا ، إليها منه الحياة ، وسنة التطور فيها !

وقد أثرنا في دراساتنا الشعرية أن نقسمهم قسمين : البدو : شكته البادية ، والحضر :
شكته الحاضرة . وأن ندرس أشعارهم في الحيزين إلى الوطن في حضرة هذا التقسيم .

على أن هناك بعض الظواهر ، في الأدب العربي ، التي لا تنسج مع ما عرفناه ،
من حب العربي لوطنه ، وحنينه إليه — ذلك الحب ، الذي دفعه إلى اعتبار الوقوف
على الأطلال ، وذكرها ، وسفع المروج على آثارها ودمعها . وهذا ما نجد في
غالب الأحيان — في الكثير من قصائده التي ينظمها ، في أبي غررض كان ذلك
الطبع . فطلق مثل هذا الشلق ، وولع مثل هذا الولع ، والآن لم يذكر الأطلال
والأطلال ، مثل هذا القسم . وهذا أن تقر ، أن حب الوطن ، كان متغلباً
يصق في نفس العربي . على أن هذا أيضاً مع هذا كله دعوة إلى المحجرة عن

(١) تاريخ ابن خلدون : ١ / ٢١٠ وما بعدها .

وتؤرقه ، لا أنه بعيد عن وطن ، وعن ذكريات قديمة ، تربطه به وبها ، قال (١) :

ارقت وما هذا السهاد المورق وما بي من سقم وما بي معشوق

أنه مؤرق . لكنه لا يشرى لماذا . فليس جزئياً . وليس عائقاً . لكنه مع هذا أرق . وقد زعم الأوائل أن كسرى لم يعرف له سبباً . إلا أن يكون لعيماً . على أنها نظن بقوة ، أن سبب هذا الأرق ، يعود بالدرجة الأولى ، إلى كونه بعيداً عن وطنه ودياره وأهل . أنها انفعالات نفسية تظهر على السطح . دون أن يعرف الشاعر لها سبباً .

وهناك فريق من الشعراء . لم يدعوا إلى الهجرة بمرحاض . لكنهم امتدحوا أنفسهم لأنهم يحاربون الأفاق . وإذا ما شعروا بأن كراحتهم قد أهينت في وطن . شدوا رحالهم إلى وطن آخر . غير مهالين بنى . اللهم إلا تحقيق وجودهم الإنساني . قال جوير (٢) :

وإني لعم الفقير مشترك الغنى سريبع إذا لم أرض ذاري انتقالياً

وقال سويد بن أبي كاهل (٣) :

ما سريد غدير ليت خاذل قد ثدنت أرض عليه فالتجم

ولم كنا نكفى ، فلا نكفى موقف تأبط شرآ ، حين يمدح نفسه في قصيدته .

يا عيد مالك من شوق وإراق ومطيف على الأهوال طراق

بأنه جواب ألق ، لا تستقر به الأرض ، إلا ريثما يستعد لهجرة جديدة . وغزوة من غزوات الصالح (٤) :

هال ألوية شهاد أندية قوال تحكة جواب ألق

فذلك هو ونزه وباستغيت به إذا استغيت بشافي الرأي تفاق

(١) ديوان الأعشى : ٢١٧ . (٢) ديوان جوير : ١٧/٣ .

(٣) ديوان سويد : ٧٤ . (٤) المختارات : ٣٨ .

الفصل الأول

الحنين إلى الوطن في شعر البادية

انتمت شبه الجزيرة العربية ، منذ أقدم العصور ، بميزات خاصة . منها : تلك الصحاري الشاسعة والأراضي الجرداء ، ذات المطر اليسير ، والنباتات القليلة . والمحل الدائم — على الأغلب . وقد انمكست هذه الميزات . على أسلوب الحياة في هذه البلاد . وعلى سكانها . فصارت تفرض عليهم الترحال والتنقل . تبعاً لما يلائم هؤلاء السكان من توافر الماء ، والكفا ، والحطب . من مكان لآخر . فما كانوا يقيمون في مكان من شبه الجزيرة العربية ، حتى تضطرهم ظروف العيش والماء ، إلى الانتقال والترحال إلى مكان آخر ، تتوفر فيه المتطلبات الرئيسة لحياة الإنسان وبقائه . وما كان يحدث هذا الانتقال والترحال ، إلا ويترك في نفوس أهل البنى أو القبيلة ، ذكريات حسنة ، وأياماً جميلة ، بما يحفل من هذا الانتقال ، الأمل الكثير ، والعمى الشديد في نفوسهم ، أسفاً على أيام مضت ، وذكريات خللت . في هذه البقعة من الأرض ، أو تلك .

وما دام الشعر ، هو المصور الحقيقي ، لانتصالات الشاعر وعواطفه ، ولما يفتاء من حالات الحزن أو الفرح من جهة ، وما دام الشعر هو ديوان العرب ، فيه سجل لمعياتهم ، ودرج لمعياتهم الذاتية ، من جهة أخرى ، فلا غرابة أن نجد شعراً خصباً حافلاً . يروي لنا حالة البعد . منذ أقدم عصورهم ، عند مفارقتهم تلك الديار ، وحنينهم إليها . ووقوفهم عليها ، يستند أن عفت عليها الأيام ، وبانت أطلالها بادية ، تخرج بها العين ، وتبكي عليها العين ، ويدي لها التقلب ولا غرابة — أيضاً — أن يتفرد الشاعر العربي ، بهذا اللون من الشعر ، وهو شعر البكاء على الأطلال ، والدمع والديار ، ذلك لأنه انفرد من قبل بحياة خاصة ، تختلف عن حياة الشراب الآخرين — في الأهم الأخرى — حياة في

الصحر إلى الجرداء الفاسحة ، التي تفرض عليه ، عدم الاستقرار والثبات ، في مكان من هذه الأرض الواسعة .

كان يحبك الشاعر البدوي ، مع أهله وقبيلته ، حقيقة من الزمن ، ثم سرعان ما ينتقل ، أو تفرض عليه الحياة الانتقال . وكان يحس إلى تلك الأراضي والديار — التي أنعم بها ، وقضى حقيقة من حياته فيها ، وعشقه ذكر بات من الحب والوداد بين جناتها — حنيناً يتذكرها ، أو يمر بأثارها ، فيذكر ألبانها المملوءة ، وأحبابه ، وأهله ، والسكان الذين أنعم فيه ، وهو يفصل هذا المكان جزء جزءه ، في وصفه له ، ويحدده من جميع النواحي ، ويذكر عليه ، ويستذكر أصحابه ، ويدعو له بالسقيا والحصب .

كان الانتقال والترحال ، هو الطابع العام ، في حياة البدوي ، فلم يكن لديهم بيت خاص يكون فيه ولا يرحلون . إنما كان بينهم — الذي هو وطنهم — حيث أقاموا . وكانوا يفتشون إلى تلك الأوطان — التي هي الديار — التي كانوا يقسمون فيها ، بعد الانتقال منها ، والرحيل عنها .

من هنا كان أمامنا الشعر الكثير ، الذي فيه بكاء على هذه الديار بعد هجرها ، وفيه حنين وشوق إليها ، ولكثره دوران هذا الشعر على الأطلال ، سموه : شعر الأطلال . فالأطلال أو البطلال ، هي ما شغص من آثار الديار . ولكثره ما قيل في آثار الديار من الشعر ، بات شعر الأطلال ، وكأنه اصطلاح يفتق على هذا اللون من الشعر ، وكان اهتمام الشعراء به كبيراً . فلم نل في آثارنا ما وصلنا من الشعر الجاهلي ، لما وجدنا شاعراً واحداً ، لم يفتح بهذا اللون من الشعر جل قصائده . ولم نل في الشعر ما تبع الشعر الجاهلي من عصرية ، بل ما وجدنا شاعراً واحداً ، إلا والفتح بهذا اللون من الشعر ، قصائد عديدة له ، جازت إلى دياره ، أو عتقت ما سبقوه .

شعر الأطلال ، إذن ، ذو أهمية بالغة ، وذو اتصال كبير بموضوعنا ، ومن هنا ، سندخل الحديث فيه ، قبل الخوض في شرح قصائده ونظمها .

فهو في نظري — كما هو في نظر الكثيرين من قبلنا — حنين إلى الوطن في أصله . وقد أشار النقاد لشده إلى ذلك ، فهذا الأمدى يقول في مرازمة : والرب لا تقصد

الديار للوقوف عليها ، وإنما تحنان بها . فإن كانت على سنن الطريق ، قال الذي له ارب في الوقوف لصاحبه ، أو أصحابه : قب ، وقفا ، وقفا . وإن لم تكن على سنن الطريق ، قال : عوجاً ، وعرجاً وعوجوا ، وعرجوا (١) . فكانه يشير بقوله هذا إلى أن الترحل من ذكر الديار عند الانتقال بها ، والدعوة إلى الوقوف عليها ، هو الحنين إليها ، والشوق إلى أبادها الحالية ، لأنه لا غرض له إلا ذلك ، وإلا فلماذا يرب الشاعر من أطلال حالية ، وآثار بالية (٢) .

وهذا ابن رشيق يقول في عهده : « من العرب : « وكانوا أصحاب خيام ، وينقلون من موضع إلى آخر ، فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار . فذلك ديارهم (٣) » . ويقول في مكان آخر : « فطرق أهل البادية ، ذكر الرحيل والانتقال ، وتوقع البين ، والافتراق منه ، ووصفة الطول والجلول ، والتشوق بجنين الإبل (٤) » . وما حنين الإبل ولا إلى أوطانها ، لذلك كان تشوق أهل البادية إلى أوطانهم وأبائهم .

وتابع النقاد الذي ذكر في هذه الظاهرة الكتاب المحدثون . فالكثير شوقي ضيف يقول : « وما يبكاه الأطلال والديار إلا الصورة الخائبة لهذا الحنين (أي الحنين إلى الوطن) الذي تمامهم (أي العرب) على مر الزمن واختلاف المنازل والأمكنة (٥) » .

ويقول في مكان آخر عن شعر الحنين إلى الوطن : « ويختل هذا النوع عن الشعر صحتاً كبيرة في أدبنا ، فلو أن بكى الشعراء منازل الجبيلة ، وتارة يهيج الحام أشواقهم ، وقد يهيج روح الغصير أو غيرها من الرياح . وكان نزوحهم الدائم عن أوطانهم سبباً في لشعر هذا الضيق (٥) » .

وبعد ، في كتاب « الطبيعة في الشعر الجاهلي » ، عن العربي وحنينه إلى الأطلال :

- (١) المرازمة لأمدى : ٤٠٩/١ .
- (٢) المصنف لابن رشيق : ١٩٨/١ .
- (٣) المصدر السابق : ٢٢٥/١ .
- (٤) خراصات في الشعر العربي المعاصر : د . شوقي ضيف : ٢٦٢ .
- (٥) المصدر السابق : ٢٥٦ .

والخدين إلى الطلل مثل الضنين الوطني . لأن الطلل وما يحيط ، وما يكثر حوله من دمن مثل مجموعة الذكريات التي عاشت في ذهنه ، تحمل لها أجل الأوقات ، وأسعد الأيام (١)

نقد هذا ، ولا تغفل حقيقتين مهمتين ، نود أن تنوه بهما ، وهما : أن شعور الأطلال ليكثر منه ، ولشدة ما فيه من إحساس ، يمس شغاف القلوب من العرب عامة أصبح مظهر آ من مظاهر التقليد يقاد به الشعراء السابقين الشعراء الذين يلهمهم في الزمن ، والتقليد قديم عند العرب ، شعرائهم وأدباؤهم ، تراء عند امرئ القيس ، أقدم شعرائهم ، في قوله : (٢)

مخوجا على الطلل الحيل لعلنا
تلك الديار كما بكى ابن حذام
وعند زهير بن أبي سلمى ، في قوله (٣) :

ما أزلنا نقول إلا مزارا
أو مزارا من قولنا مكرورا

نقول : ظهر التقليد في شعر الأطلال ، منذ باكورة أيام الشعر العربي ، في حياة البادية ، وبقى سائدا في العصور التي ظهر فيها الاستقرار في الحاضرة على الرغم من الدعوة المصارخة والثورة الحارمة ، التي حلت في أواخرها أبو نواس ، ودعا فيها إلى هجر الأطلال في قصائد جديدة له ، فقرأ يقول : (٤)

أترك الأطلال لا تمأ بها
إنها من كل يومٍ داية
ويقول (٥) :

لست أرى خفت بوصافيا ولا طلى ردها بوصافيا

- (١) الطليعة في الشعر الجاهلي للدكتور نوري القيس : ٢٥٤ .
- (٢) ديوان امرئ القيس : ٢٤٧ .
- (٣) ديوان زهير : ٤٨ .
- (٤) ديوان أبي نواس : ٤٩٣ .
- (٥) الصدور السابق : ١٣٧ .

ويقول (١) :

إعدل عن الطلل الحيل وعن هوى

نعت الديار ووصف قدح الأزل

وغير ذلك كثير في شعره . إلا أنه مع هذه الدعوة القوية ، لم يستطع التخلص مخلصاً تماماً من شعر الأطلال ، واليكاء على الديار ، ووصف آثارها . وهذا قسم كبير من الشعراء — وخاصة شعراء الحاضرة — ذكروا الأطلال في أشعارهم ، وبكوا ، واستذكروا عليها ، وهم في واقع الأمر ، لم يروها ، ولم يكن لهم عهد بها ، في أي يوم من الأيام .

ولذا فإننا في مجملنا لقصائد شعر الأطلال ، سوف لا نقدر أن لا نقصد شعراء البدايات التي نرى أنها خلقت من التقليد . لنا كدنا من انتقال الشعراء في البدايات وترطالهم ونسجهم بأطلالهم ، وحنينهم إليها ، وبكائهم عليها . ولن نطرق إلى قصائد الأطلال عند شعراء الحاضرة ، وذلك لتفقدنا ما قدورناه في قصائد أهل البدايات .

والثانية : نحن ارتباط الدار والوطن بالمرأة أو بغير أدق بالخيوية ، فلو نظرنا إلى شعر الأطلال ، لوجدنا جلّه ، قد ارتبط فيه ذكر الطل ، والخدين إليه بذكر الحبيبة ، والشوق إليها — وهذا نراه طبيعياً ، خاصة إذا تذكرنا ما للرواة في نفس البدوي من قيمة كبيرة في عائلاتهم الأولى . وكثيراً ما كان الشاعر يحين ويتشوق إلى ديار حبيبته . والآن المكان الذي كانت تصل فيه . وقد يبدو هذا الأمر الأول أن يحين إلى ديار ليست دياره ، أو إنما هي ديار حبيبته التي تراه ، أن لا تفصل بين ديار الشاعر ، وديار حبيبته ، ولا فرق بينهما ، إلا فيما تدور . ولا فحل يعقل أن يكون الشاعر البدوي قد عشق واحدة من قبيلة غير قبيلته . ومن ديار غير دياره ، خاصة إذا تذكرنا تعصب العرب إلى قبائلهم وسرحهم الشبهاء على أعراضهم ، وحنينهم الشديد على نساءهم . وربما حدث شيء من هذا . ولكنه نادر ، ويحدود إلى أبسط مدى .

وعليه ، فإننا نقرر : أن الشاعر البدوي — في الغالب الأعم — حيث كان يحين إلى ديار محبوبته ، إنما يحين إلى دياره ، التي عاش فيها مع من يحب ويهوى .

- (١) نفسه : ٣٩ .

وبعد . فهل لنا أن نسير في تحليل قصائد شعراء البادية ، محارلين استيعاباً
مشاعراًهم ، من خلال أشعارهم ، التي أملأها عليهم بيئتهم ، وطبيعتهم ، لتبين أن الشاعر
البدوي ، وإن كان كثير الملل والترحال ، إلا أنه كان أحد طائفة ، وأرفع حصاً ،
حين تقو به الذكريات ، وهي تقو به كلما أتبع له المروء حين دياره ، ومنازل طائر له
وموطن أهله ؟

هذا ما نراه ، وما نود الحديث عنه

نظرة مغلطة في قصيدة بشر بن أبي خازم الأسدي^(٢١) ، ومطالها^(٢٢) :

تغيرت المنازل بالكثير وعنى آياتها نسج الجنوب

تظهر المأساة مبسطة من أسباب الحنين إلى الوطن ، عند الشاعر البدوي . ذلك
السبب ، هو ذكر يات المروء والفرام ، التي كان يجيها الشاعر في حاسن له من
من أوقات ، فطبيعة الحياة الجاهلية البدوية — كما هو معلوم — قائمة على أساس
الانتقال ، من مكان لآخر ، محملاً وراء أسباب الحياة ، فتغيرت المنازل والديار حين
هجرها ، وتغيرت آياتها ، ولا يسيقين منها الناسق المله ، إلا للوذي والأحبار ،
وما توكة القيمة من منقط الناح .

ويشترى كل من هذا النوع من المشاق الديني رحل أحيانهم ، فليأمر ، وتغيرت
ديارهم . فليأمر الظن هذا الشاعر وأخراجه ، بأن سببته قد تغيرت بفعل البيئة ،
فوقف حائراً بقدر المنازل التي عفت الرياح آثارها ، ونعنا الماطر عنها ما يدل على ما كتبها
أسبابه التواضع . يفت بشر ، بمائل هذه الديار ، ودعه يسيل كالغروب — على حد
تعبيره — على خديده ، حينئذ إلى وطن حبيبته ، حين كان عمره بأحضانها ، يرد عليه
الثناء ، وترتبه حاسناته . ثم يأخذ ظنه ، فيمثل أن سببته قد بلغت عنه ، ويحدث
إلى غير لغيا ، فيحاول أن يجد الذراء ، وهو الشاعر الجاهلي البدوي ، الذي تتأثر
فيه صفات الرجولة اللازمة للحياة البادية النائية في الصحراء ، فيحاول أن يفسر
ويشعر حبيبته ، فيعبر بأنه طائفة الحنين غداً . قال :

(١) توفي في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد تقريباً .

(٢) ديوانه بشر : ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

تغيرت المنازل بالكثير وعنى آياتها نسج الجنوب^(١)

منزل من سلسلي مقفورات عنها كل هلال سكوب

وقفت بها أسانيلها ودمى على الخدين في مثل التروب^(٢)

تألت سلمي وغيرها التناثي وقد بسوا الشجب عن الجيب

فإن يترك قد نأني اليوم سلمي وصدت بمد الف عن مشبي

فقد ألهوا إذا ما شدت يوماً إلى يضاء النسج لسوب

ويبدو أن هذه الظاهرة ، في شعر بشر ، أخذت متقلداً لازماً له فمعظم قصائده ،
يفتح بها أشعاره . فيصن إلى حبيبته ، فذكر آ ديوارها ، وحزبه إليها ، فخطط
لشاعر الصادقة ، بالناصر التي أختت تلوياً ، ليداء بكل القصيدة .

ففي قصيدة ، أطلال مية^(٣) ، يذكر أطلال مية هذه ، وكيف أنها هجرت ، وأختت
خلال ، لا أحد فيها ، إذ رحل أهاليها ، فدادته أشجان هذا الرحيل ، فوقف يكي
مغنياً إلى آياته السالفة ، هذه الديار وأحبابه فيها ، وقد أعاب الصب والشفاء من
رحيلهم وفرارهم ، وهو القوي الذي لا يغلب ، إلا من شدة الحنين ! قال :

أطلال مية بالانلاج فيفتب أختت خلاد كالخزان المذهب^(٤)

(١) عنى : طمس . والآي : جمع آية وهي العلامة . الجنوب : يربك ريخ
الجنوب . ونسجها : يريد أن نسج التراب بعضه على بعض ففصم آثار الدار .

(٢) التروب : جمع التروب ، وهي الدار المظلمة .

(٣) الخزان : ٢٣٠ - ٢٤٠ .

(٤) التلاج : موضع ، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض .
ومعني : موضع . والمذهب : جلد فيه خطوط ملصقة بعضها في أثر بعض ،
وأضراده : نتائج الحروف فيه .

ولم تعلم بين الحى حتى أنك به غدا في فصبح^(١١)

قلقت أكف كيف البهوات متى

ودمع العين مهور سفوح^(١٢)

ودمى يوم ذلك غرب مشى بجانب شهمة ما تستريح^(١٣)

وما قلب الصبا به مثل مشرق وقبلك ما انقضى خلق مسجح^(١٤)

وهذا الذى لاحظناه فى القصيدة السابقة ، نلاحظه فى قصيدته : وعنت أطلال مية^(١٥) . غير أنه فى هذه القصيدة ، لا يبكى ، وإنما يقتصر حزنه إليها ، على الوصف لما بهد أن هجرت ، وأخفت خلا ، فامب قبرا ، وتجر الرامسات بها ذبورها . وليس فيها إلا الرماح بين الأطلال الثلاثة ، التى تبين كوشم الرواحش بالزبور . ونلاحظ أن بشرا فى هذه القصيدة ، قد أعطانا مخططا لدار مية ، وسعى لنا خردوها . ورسما رسما دقيقا ، دفعه إليه الخليل دقما ، وتحسن حشر ته بهذه الأماكن وهو يندى بها ، وكأنه يحلو له أن يدر أسماءها على لسانه . ثم انظر لحسرة تفيض من بينه ، ووجع الرامسات بها ذبور لا . . . يريد أن أهلها هجروها من بعيد فقال :

عنت أطلال مية بالجفير ففخصير الواديين فبرق إبر^(١٦)

(١) بين الحى : أى تخلص . والغدا : أى غراب غدا فى وهو الخليل السوادى .
نسبة إلى الغدا أى الأسود .

(٢) غفلة : أى غفلة .

(٣) الغروب : الماء الذى يسيل من الداء . وهو يصفى فى الأصل وسكنست الرام للبرودة . والحق : القرية الخلق . وشبه : حقة السابقة ، أى نقطة قوية .

(٤) خلق مسجح : لين سهل .

(٥) الديوان : ٩٤ - ٩٥ .

(٦) الجفير ، وهضب الراديين ، ويرق أبر : داء أسماء واضح .

ذهب الألى كانوا بن فداكى أشجان نذهب للظلمة من نصيب^(١٧)

فأهل دمعى فى الرداء صباية إثر الخليل وكنت غير ممل^(١٨)

وظاهره الاوتحصال . كانت من المآسى التى تنقل كاهل بشر حين يظلم أحياه ، فى قصيدته ، أمن ليل ١٥٢ انظره كيف افتتح أبياته بهذا الاستفهام الاستكبارى ، أمن ليل وجارها تروح ٩١ وانظر كيف مجرد من نفسه شخصا آخر يخطبه ، وهذا الأسلوب هو الذى يلجأ إليه الشعراء عادة ، حين تخرج بهم المظلمة ، ويشد بهم الحياج . ثم انظر كيف رد على نفسه بأللوب التجريد هذا ، وفى شئ من التخييل يقول : وليس لحاجة منها مريح ! . .

ثم يستمر هذا التخييل ، الذى يخرج مخرج الحسرة ، حين يبين أنك لا تجد فى الدار إلا آثار الظلمة ، ورجع الصدى ، الذى يرد حديثك إلى نفسك ، ويرد نواحك إليك . ثم يستمر فى هذا فيبين أنه كان فى مآمن من فراقهم ، حتى أنما به للتراب الأسود ، وهو نذير الشوم عندكم . ثم يطلب الحديث على طريقة الالتفات ، كما يسبها أهل البلاغة ، ويرد إلى الحديث من نفسه بصيغة التكم ، فيقول : أنه ظل ككف عيراته ، وتصفيه عينه ، فينبأ دمعيا سترسا ، ينفوخ الماء من الفلج ، ثم يزيد فى تبيان هذا ، فيجعله كغريب الضن ، والحق حتى القرية الخلق ، وهو يحملها كذلك ليعين شدة التفاسخ الماء من خروجها الكثيرة . قال :

أمن ليلى وجارها تروح وليس لحاجة منها مريح^(١٩)

وليس مريح فى الدار إلا مبيت ظلماتى وصدى بصي^(٢٠)

(١٧) النصب : الحب والشفاء . والظلمة : جميع الظلمة ، أى المآ فى الموجد .

(٢٢) صباية : أى شوقا وحيدا . والخليل : الصديق الخليل . والمظلمة : الذى لا يظلم .

(٢٣) الديوان : ٤٨ - ٤٩ .

(٤) تروح : من الرواح ، وهو الرجوع بالمشى ، وقد تكون بمعنى تسير .

(٥) مريح : أى ظاهر الظلماتى : أى بطن بطن الخليل بطن عاب : الصدى : ذكر اليوم .

تلاصحت الرياحُ المخرجُ منها بُذِي، حُرُصٌ مَحَالٌ للبصير^(١)
 وَجَرَّ الرَّاسَاتُ بِهَا ذُبُولًا كَانَ شِمَالًا بَدَا الدُّبُورُ^(٢)
 وَمَادَ بَيْنَ آخَارِ ثَلَاثٍ كُلَّ وَثْمِ الرَّوَاهِشِ بِالنُّوْرِ^(٣)

وما أشبه هذا النفس، وهذه الروح، وهذه الوجة والالام، التي لمساتها بجلاء ووضوح في آياتها السابقة، بألمه وحذنه الخائب الفاضل، الذي يقف باليكام والحسرة. فوقف على رسم ديار قد غُضت، فيجد فيها الغزلان، والبقر الوحشي، والمطر المطال، الذي مسح عنها كل ذكريات فيها. فيشوقه هذا الحنين، فيقف على الدار يسائلها عن أحيائه، وأين راحوا، فيحن إليها من خلال حذنه لئيم. لكنهم لا تستطيع جواربا، ألا أن أهلها قد تحملوا وبدوا عنها. فيرجع الشاعر غائبا، وليس في قلبه إلا حنين محض، وألم يدفعه إلى اليكام، وهو في هذه القطرعة، التي تتذكر آياتها، يرسم صورة واضحة للديار التي شاقته، ودغمت حذنه إلى الظنور، بقوة ووضوح وجلاء. صور قوافض، مستندة بذكر البقاع، محدبة بذكر الأماكِن التي ذكرها: رامة، والتلاح، وكثبان الحفير، ولقاع، وجنب عنزة، وذوات طبع. قال^(٤):

هنا رسمُ برامةٍ قاتلٍاح
 فكثبان الحفير إلى لقاع^(٥)

(١) تلاصحت الرياح: من لصحت الرياح بالزل إذا درست، وقد حوصص باسم واد.
 (٢) الراسات: الرياح التي تثير التراب وتدفق الآحار. من الرمس: وهو التراب. والتشال: دبح التلال. والذهور: دبح مهبها من الغرب، والصبا تقابلها من الشرق.
 (٣) الأظفار: جمع ظفر، وهي الشاةقة على غير دلها، الرضة له. ويريد بها خاتما: الأثافي، وهي شجار وفقدو تشبه بالفتور، لتعطفها حول الرامد كعطف الأظفار حول الفصيل. والرواهش: حب وعروق في الدراع. والنوور: دخان الحشم يباح. الرشم ويغشى به متى حصر.

(٤) الديوان: ١٠٩.
 (٥) رامة، والحفير، ولقاع: أسماء مواضع.

بجنب عنزة قد زلت خيم^(١)
 عنها كل هلال هزيم^(٢)
 وقفت بها أسائلها طويلا وما فيها مجاورة لداعي^(٣)

تدخل أهلها منها قبائلا فابكتي منازل للرواح^(٤)
 وفي قصيدته، الاذن الخليط، (٥) يجد نفسه فيحدثنا عن حنينه إلى أحيائه ودياره، وذلك منذ أن حلت ظفوتهم أحلامهم: وخيلت الديار منهم من بعيد. أنظر إلى الصورة التي يرسمها الشاعر لجوارات الصحراء، التي أمنت في هذه الديار، وراحت تسرح وتمرح، هي وصغارها، بها الغزلان والبقر الرنوح. فظل وانفأ وحيدا، ينظر إلى بقايا ديارهم مخدوع: يستشعر الحنين، وتذكيره الملامات والطراح الناشع. ويعداه الحنين، فيسرى إلى مطيته، فإذا بها خاضعة، وكأنها تتحرك مخدوع صاحبها، لحكم القسمر ونزوله على قضائه الذي لا يرد. وفي هذه القطرعة، نفس الروح التي لمساتها في تقاطعها السابقة، من تحديد ورسم لذلك الديار فهي بشيرة. وعزيتات. قال:

ألا فاعن الخيط عدة ريموا بشيرة فالظن بها خدوع^(٥)
 أجده الدين فاحصلوا سراعا فما بالدار إذ ظنموا كيدع^(٦)

(١) عنزة، وذوات الخيم: مواضع. والرواح: جمع الزائفة، من رقت للزائفة، أكلت ما شامت. وفي البيت إقواء.
 (٢) هلال: أي سحاب يحال منه المطر. الهزيم: السحاب الذي لرحده صوت، الذي يصحب زفوع من يراه فيسره.
 (٣) يادرا: صدوا. والرواح: صفة من أد من الروح، وهو مسحة الخيال الذي يصحب زفوع من يراه فيسره.
 (٤) الديوان: ١٢٩.
 (٥) ظن: رحل. وريموا: شجروا للسكر. وشيرة: موضع. والمطى مخدوع: أي زائفة خاضعة أعناقها.

(٦) أجده الدين: بلغ مبلغ الجد. والكيد: المنفذ من الناس، وعا بالدار من كيد. أي ما يمارس أحد.

- أى المنازل بعد الحى تعرف أم ماصبا الشوق قد حكمت مطرفى^(١)
 أم ما بكاؤك فى دار عهديت بها عهداً فأخلفت أم فى آياتها تنف^(٢)
 كأنها بعد عهد العاهدين بها بين الذنوب وحزنى وأحلف صنف^(٣)
 أختت خلاه فقاراً لأبىس بها إلا الجوازى والظالمات مختلف^(٤)
 ونفت فيها قلوصى كى تجاوبنى أو يخبر الرسم عنهم أية صرفوا^(٥)
 هذا ، ولا يكاد يحلو شعر بشر ، من ذكر المنازل التى كانت هى فى الجاهلية ،
 والحياة البدوية ، ووطن القوم .
 يظهر هذا فى قصيدته ومنازل من حى خفت^(٦) ، فنزلت تنف ، بعد أن لما لمب
 فيها ردىاً من الزمن ، فلم يبق فيها إلا آثار بالية ، وأصبحت ملاذاً لحيوانات
 الصحراء ، الأبقار الوحشية ، تخرج فى ساحاتها ، وقد وجدت فيها مأمناً لها ، بعد أن
 خلت من أهلها ، منذ زمن بعيد ، فيها هى تلك فيها ، وترى أولادها بين جنباتها . قال :
 منازل من حى خفت بعد مله^(٧) ونوى حوض الجزية المتهكم^(٨)
 تظل الذجاج الذين فى عرصاتها وأولادها من بين غف وتوم^(٩)
 فى هذين البيتين يذكر الشاعر ، بأنه قد لمب آتية فى هذه الديار ، عما يدفعه إلى
 الاشتياق إليها ، والحنين لربوعها .

- (١) النسيب : جملة التفرقة والشه والفرق ، وسكنه مطرفى : أوصرت حكماً .
 ومطرفى : جديد مستحدث .
 (٢) الطوم : التهم المرفوع من الأذى . والذرية وواحد : موضعان .
 (٣) الجوازى : يقر للوحش . والنزال : جمع النظم ، وهو التكرار من العلم .
 (٤) الديوان : ١٩٣ .
 (٥) الجربة : بكسر الجيم المروعة ،
 (٦) القرد : القرد .

- كان حذوهم لما استقلوا نخل تحلم فيها ونوع^(١)
 منازل منهم يبرقبات بها النزلان والبرق الزنوع^(٢)
 تعمل أهلها منها قباوا بليل ، فالطلوع بها خشوع^(٣)
 كان خوالداً فى الدار مستغفاً بمرصتها حمامات وتروع^(٤)
 انظر إلى الصورة الرائعة فى بيته الأخير ، نتيجة لمدد المسافة والزمن الذى بين
 هذه الديار وبين أهلها ، وقد شبه الأتاني التى سوت جوانبها الدار بحمامات وقفن
 فى مساحة النار .
 ويستطيع أن يؤكد ما قورناه من أن بشراً كان يحسن إلى الإوطان ، التى قضى
 فيها ردىاً من الزمن ، من خلال خذله إلى أسبابه . فى مقطوعته التى يسائل بها
 نفسه : ما بكاؤك فى الأطلال ؟ وما وقوفه على الآثار ، التى عهد بها عهداً ، ففى ذلك
 العهد ، وأخذت خلاه ، فقاراً ، ليس فيها من أنيس ، إلا الطيور التى جعلها من قارداً
 تبيض فيها بعد أن خلت من أهلها ، فهو تأق وتروع عليها ديون أن تحشى أرحاً .
 ووقف فيها قلوصله ، كى تجاوبه الديار : وأنى لما أن تجيب ، وهى خلو من أهلها
 — أو يحبه الزعم ، عن الوجبة التى إليها انصرفوا . قال (٥) :

- (١) الجروج : جمع الجروج بكسر الجيم ، مركب من مركب الساء . واستقلوا :
 استحلوا الرحيل . ولم : نهر بالمصريين . والنوع : من نوع القرد إذا أوردك ونسج
 (٢) عريقات ، اسم واد .
 (٣) الطلوع : جمع الطلوع ، وطلع الرادى ، ناسيته . والطلع من الأرضين :
 كل حطبتين فى كل ربيع ، إذا طلعت رأيت ما فيه .
 (٤) الحرالك : الأتاني فى مواعيدها . وقيل لما غلبت ليلها بطلها يست سورس
 (الاطلال . وصفها : جمع أسفع وصفها ، من أسفط السوداء المشروقة ، ومنه قيل
 الأتاني سفح ، وهى التى أوقدت بها النار ، فسوت صفاتها إلى نلى النار ، وبقي
 حثاؤها على لونه .
 (٥) الديوان : ١٣٧ — ١٣٨ .

ونظراً لشجرة تنقل الضائل البدوية ، من مكان لآخر ، فإن بعض اللسان ،
تخطأ بالبيض الآخر ، فقف الشاعر ، يتسأل عن هذه الديار ، هل هي
ديار حبيته التي يحن إليها ، أم أنها ديار غيرها ، وقد أشبه عليه الأمر ؟
حتى يعود أخيراً إلى نفسه ، ويخرج من ولجة ، ويذكر أن هذه الديار ، هي
ديار حبيته — البيضاء المعاصم ، الخلقة المعنونة الكاشحين . ويعد الحنين في
نفسه قوياً ، وقد لبست رياح الصبا في هذه الدار ، وأزالت منها اللسان إلا بقية
نقشها للهدم . قال (١) :

لمن الديار غشيتها بالأنعم تبعد مساليتها كلون الأزعم (٢)

لعبت بهاريج الصبا فتكررت إلا ببقية نويها المهتم (٣)

دار البيضاء الأزعم في الخلقة معنونة الكاشحين بالأنعم (٤)

يشير إلى عازم ، كما لحظناه قبل قليل ، كان ذا حنين طامح ، قوي ، إلى
كل مكان ومثل قضى فيه ردياً من شبابه ، وساعات من أيام عمره . إلا أن هذا
الحنين الطامح ، كان غالباً ما يفتن بالسمع والبأس ، فلا تصيب أن تراه من آن
لآخر ، يعاتب نفسه على وقوفه في هذه الديار . ويحاول أن ينسى نفسه عن طول
هذا الوقوف فيقول (٥) :

تأهيت عن ذكر المساكين فاعلم وما طربني ذكر آلهم يستم (٦)

(١) الديوان : ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) غشيتها : أقيتها . والآنعم ، بفتح العين وضمها : اسم موضع . ومنالم الديار :

آثارها وعلاقتها . والآزعم : الحية التي في جملها نقط .

(٣) تكسرت ولم تبد مصروفة .

(٤) العواوض : جابها الفم من اللسان . والخلقة : الرخصة اللينة . والمعنونة
الضامة : والكاشح الحاصرة . وديار : ديار .

(٥) الديوان : ١٩٢ .

(٦) تأهيت : كفت وأمتنع . والمسكينة : الشقوق والخرى . وفاعلم : كنى حكايا
جافلا ، وأترك الجمل والطيش . والطارب : يكون بمنى الفرج والخرى ، وهذا معنى
الشوق ، ويحسم : مريض .

وامرؤ القيس (١) ، كان كثير التنقل ، في شبه الجزيرة العربية ، على عادة
العرب البدو ، لذا حفل شعره بالحنين إلى المنازل التي كان يظن عنها . كما تمتاز
شبابه بميزات خاصة ، باعتبارها صاحب سلطة ومثولة في قبيلته ، إذ هو ابن جعفر ،
شيخ كعدة آنذاك . مما دفعه هذا إلى تجمعه خارج الجزيرة العربية ، وزيارته لقيصر ،
ملك الريارة التي صورها تصويراً رائعاً ، في قصيدته الرائية ، بكى صاحبه . إذ صور
الحنين إلى الوطن عند البدوي أبلي تصوير . ولنا عود إلى بعض أبيات هذه القصيدة ،
نستجلي منها روح الحنين إلى الوطن .

ولعل أروع ما في شعر امرئ القيس ، ما يتصل بموضوعنا ، قصيدته الدائمة
الصيت ، ألا أبلغ بني حجر بن عمرو (٢) . فإننا نلصق فيها مجلداً ووضوح ، صدق
التسمية الشعرية ، حين يبتعد الشاعر عن أحله ومنازله ، ويملك بعيداً عنها . وليس
كل لحظة الفرح لحظة ، يمكن أن تتجلى فيها المواقف الإنسانية المماهية عن أن تكون
هذه المواقف ، مما يتصل بسبب قوى ووثيق ، فن حياة الشاعر وذكر كراته . حين
يعتبه ألم القرية ، ويشعر بالوحدة . تجاه ذلك الرعب ، الذي نسيه الزمان .

في مطلع القصيدة ، يشر إليه إنسان له مشاعره الصادقة ، التي تنفخه دفناً ،
إلى تذكر ما كان من أمره ، بين أهله وأحبائه في وطنه . كما أن يقرر ، أنه إنسان له قلب
يشعر ، وما هو بالجليد ولا الحجر . ويبدو أن أشد ما يشغله ألم الشاعر ، وليس تحت
دمعه ، أنه يحاك بأرض قوم غرباء ، بعيداً عن دياره ، وهو يحاول أن يزعج الملك ،
ملك أمية . انظر إلى اللمعة في قوله :

بأرض الروم لا تكتب قريب ولا شاف فيسند أو يعودا

وما لنا تفعل ذكر بعض الآيات ، وما نحن بها :

ألا أبلغ بني حجر بن عمرو وأبلغ ذلك الحي الحريد (٣)

(١) توفي عام ٨٠٠ م . تقريباً .

(٢) ديران امرئ القيس : ٢١٣ وما بعدها .

(٣) الحريد : الداء . مستقراً .

بأني قد بقيت بقاء نفس ولم أخلق سلاهما أو حديدا^(١)
فلو أني هلكت بدار قومي لقلت الموت حق لا خلوها
ورددت عن المعنى، في تجاهلنا مع الشاعر، إذا علمنا أنه ترك قومه، وقد خصيصة
حقا في ملك أبيه. فخرى به أن يكرمهم، ويعتق عشرتهم. إلا أنه يذكرهم، ويحبهم،
ويشعري أن يموت بين أيديهم، وبهالك في ديارهم !
فيا للحنين إلى الوطن ! من عاطفة حياشة عاصفة بكل مشاعر الغضب، التي قد
تستولي على القلب الإنساني، فيستمر الشاعر يقول :

ولكنني هلكت بأرض قوم بديل من دياركم بعيدا

نحس ونحن نقرأ هذا البيت، جلال المعنى. وصدق التجربة، خاصة في هذا
الكرار الذي يترصه الشاعر علينا فحرا، وكأنه يريد أن يلفت الانتباه إلى ما يلا
قلبه من ألم وعذاب : « بعيد من دياركم بعيدا » فكأنها الحسرة التي ينظمها المتغرب
المحتضر، وهو ينفث عنها روحه، فكان الروح، وهذا الحنين الطاغى، كائن واحد،
لا يستطيع الشاعر أن يتغلب عن أحدهما، إلا أن يتغلب عن الآخر ولو بإعادة تصوير
هذا الألم، بحوار الشاعر أن يذكرنا بأنه لم يتركنا من أهله مختارا، وعن وطنه
مغفرا، لكن الظروف هي التي ألجأته، وحل الشاعر البدوي، الأوطى وأمه وأباه

أعاج ملك قيسر كل يوم وأجسد بالنية أن تمودا

وهناك يموت الشاعر وحيدا، إذ تغلب عليه الجميع - أو هذا ما تخيله على أقل
تقدير - فلا تب قريب، ولا آس بارأه، وليس له إلا القرية والناس، الذين
لا يهتمهم، ولا يشعرون.

بأرض الروم لا نسب نسب - ولا شاف فيسند أو يمودا

هو هذا الشاعر، بأصدق صورة، وعلى أعلى ما يمكن أن تتوهم البراطيق الإنسانية
لأنه في لحظة استناره، وفي هذه اللحظة الجليلة، لا يملك الشاعر إلا أن يقول صبرا

(١) السلام : الحيازة : والواحد

حمايحي، فليثبت من حبيبي قلبه، مصورا ما هو عليه من مرود وللم، وتصويره
لحاله يمثل هذه الصورة المؤثرة، نغمة دعة حزينة، يندفها، ويثبت بها إلى حبه،
والى وطنه، الذين لا يملك عنها فكلا، مهما أراد ذلك.

ولعل الأبيات التي افتتح بها معلقته، على هذه القصيدة في الأهمية، فيها نحن بصدد
الهدوء، عنه من أمر الحنين إلى الوطن. ففي هذا المطالع المشهور، الذي قال عنه
القدماء : أنه بكى واستبكى فيه، حين دنا صاحبه إلى البكاء معه، من ذكر حبيبه
ومنازله، ما نلح فيه الحنين إلى الوطن فيقول^(١) :

فقا نيك من ذكرى حبيب ومنزل

بسطط الأوى، بين الدخول وحومل^(٢)

فتروضح فالعشرة لم يعف رمتها

لما تسجتها من جنوب وشمال^(٣)

فإنك تجد أمرا القيس : قد حدد لنا بصورة دقيقة، حدود هذه الدار، التي
وقفت فيها، وهو لم يقل هذا ليحدد الدار، ولكنه يقول : وكأنه يجد لذة في إحصاء
هذه الأماكن على لسانه - وله ابن الشاعر الشاعر الصوفي الكبير إذ يقول :

أدرى كرم من هوى ولو بعلام فإن أحاديث الحبيب مداهي^(٤)

أجل، لقد بكى امرؤ القيس واستبكى ! كيف لا؟ وهى ديار حبيبته التي
رحلت عنها، تلك الدنانير الزائفة، وبسطط الأوى : بين الدخول وحومل، وأمرؤ

(١) البرهان : وما بعدها.

(٢) السطط : منسقطع الرمال، واللوى : حيث يلتوى. ويرى الدخول وحومل

موضعا.

(٣) توضح والمقراة : موضعان. يعف : يدوس. الرزم : الاثر، الجيوب :

لربح الخيلة. والشمال : تزيح السماء إلى. تسجتها : تهاوت عليها فتحات أثارها.

(٤) ديوان ابن الفارض : ١٨٤ :

القيس لا يدرك هذه الأماكن ليعرفها الناس، ولكن يدبرها على لسانه لما يجد في نفسه من الشدة في النطق بها، ويعبئ امرؤ القيس شوطاً أبعد في ذكر حبيبت، وحينئذ إلى وطنها، إذ يرى بحر الآرام في عرصاتها كعب القنقل، أنظر إلى هذه العصرة في البيت:

تري بحر الآرام في عرساتها وقيعانها كأنه سمٌّ مُؤفَّلٌ^(١)

وانظر إلى دموع الشاعر التي تدحها في بيته القائل، وحاله كذلك الذي يتفك الحنظل، حين فراقه لأجبابه، وبعاده عنهم:

كأنني غداة البين يوم تحللوا لدى سمرات الحلى ناقفُ حنظل^(٢)

ونظرة إلى مقدمة قصيدته، والأعم صباحاً أيها الطلح البالي، (٣) وهي القصيدة التي أنشأها أبو العلاء المبري في رسالة النفران (٤). واختبرها من عبور الشعر وما يتباهى به تريناً بوضوح، أن الشاعر قد اتخذ من شعر الأطلال، مثلاً لا لآلامه؛ وفي هذه القصيدة، لاحظ الشاعر، يحاول أن يحيى دياراً لسلمى، عفاها الله، ولكنه يمود فيفسد، كيف يستطيع الطلل أن ينع؟ وهو قد أضاع خلاصه مهجوراً. فارقه أهله منذ ثلاث سنين، أو منذ ثلاثين شهراً:

الأعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينع من كان في القصص الخالي^(٥)

نعم، وكيف يصح هذا الذي أضحى من ذكر ذات الزمن، طلالاً بالياً، ترتفع فيه الآرام والوحوش؟ وكيف يستطيع أن ينع، إلا من كان غداً، قليل هوم، ما يبيت جوف، ولا يظل بوجل، وإنما فيه أن يكون مأهولاً، أي سعيداً، ترتفع فيه الحياة والأحباب، ويستقيم جميعه لكي يأنه ليتعامل:

(١) الآرام الطلل الأبيض.

(٢) السمر: شجر أم غيلان، وهي شجر الداروق. ثاقف المستخرج

حب الحنظل، والحنظل له مرارة تدفع منها الدين.

(٣) الديوان: ٢٧ وما بعدها.

(٤) رسالة النفران للمبري: ٢٢٢.

(٥) عم ينع: في معنى أضحى.

وهل ينعن إلا سعيدٌ مُخلَّدٌ قليلُ الهوم ما يبيت بأرجال^(١)

وهل ينعن من كان أخذتْ عهدُهُ ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال^(٢)

ديار لسلمى عافيات. يذى خالٍ ألح عليها كل أنعم هطال^(٣)

وفي قصيدته قصيدته الرائية الشهيرة، التي نظمها وهو في طريقه إلى قيصر، يقصص لنا الشاعر عن هذه الساطعة الجياشة، التي تأخذ على الإنسان لبه. وفيها ترى صورة الرجل البدوي، المتمر برجو لته. نراه فإذا يندمعه، تنهل وهو يغادر مراتع صباه، ويرحل إلى ديار غريبة بعيدة، لا يدري ما الذي يواجهه فيها. قال (٤):

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونته وأيقن أنا لا أحققان بهيمسرا

فقلت له: لا تملك عينك إنها تحاول مملكا أو نسوت فتصدرا

هذا هو السبب إذن، الذي دفعه إلى الغرب. فكان أمرؤ القيس، يضمن أن الوطن عزيز وغال. ولكنه مضط إلى هجرته، من أجل الملك الذي يحاول الحصول عليه أو يوت.

ويستمر الشاعر في هذه القصيدة، فيصور هذا الصراع الخالد، بين البداوة والندية، حين يظل على بعلبك، فيبعد الشاعر نفسه غرباً في رحابها. وكذلك هو في ثمرى حصص، ويضطلع إلى ما اعتاده في البداوة، فلا يجد من ذلك شيئاً، فلتستأكر خاطفته تجاه وطنه، وتغلبه عادته، فيشتم البرق أين صحابه؟ وأين رحاب الصحراء؟ وأين الألق الذي يطالبه أينما اتجه؟ لا شيء من ذلك. لأن الخاطرة، تتجلف من البداوة. وبهنا يرى في دمشق، وحصص، وبعلبك، من ضرب وب الجبال، فإنه لا يشفي قلبه إلا في حثور، التي هي البدوية، شاذة خيال:

(١) سعيد مغلد: المجلد في الدنيا. والأرجال: جمع رجل وهو الفرع.

(٢) الأنعم: الصحاب الأيضي.

(٣) الديوان: ٢٥ وما بعدها.

لقد أنكرني بملك وأهلها
ولأبني جريح في قري شخص أنكرنا^(١)
نسيم بروق الزين أن مصابه
ولا شيء يشفي منك يابنة عذرا^(٢)

وفي قصيدته : غشيت ديار الحى ، (٣) ، لا تخطئ الروح التي سبق أن رأيناها
في الآيات السابقة ، فهو يقش دياراً جديداً إنما كنا حين يقول :

غشيت ديار الحى بالسكرات فدارمة فبرقة التيرات^(٤)
فقول فجلت فنف فمخرج إلى عاقلي فالصيب ذى الأمرات^(٥)
وتختفى في مطالعة القصيدة ، فيجد امرق القيس ، قاعداً متظللاً بردائه ، يمد
بعض الأرض ، وقد خففته عبراته ، من ذكريات حياه في هذا المكان :

ظلمات وداني فوق رأسي قاعداً أعد الحصى ما تفيض عبراتي^(٦)
ونحن لا نريد أن نؤاخذ الشاعر : على هذه العاطفة ، فإن المخرق الحقيقى ، الذى
فلح بالسواد قلبه ، لم يهد يده شئ في الدنيا ، وهو يتروى واضعاً على رأسه وداود ،
يظلل من حرارة الشمس ، ويسبغ على حمل الأجران والأشجان ، وانظر إلى التصريح
في بانه هذا :

- (١) بملك وحصى : مدينتان بالاسم .
- (٢) نسيم بروق الزين : أى تنظر إليها لعل أين مصاب المطر وعصبة .
- (٣) الديوان : ٧٨ وما بعدها .
- (٤) السكرات : جميلات بطريق مكر . والبرقة : أرض ليسا سمارة ورميل .
- (٥) غول وحليت واقف وضجع : كلها مواضع : وعاقلي : جبل ، والأمرات .
- (٦) الأعلام : وأحدداً أمرة ، ونسبى الجبل الصغير .

(٦) عبراتي : دموعي .

أعنى على التهام والد كرات يمين على ذى الهم مستكرات^(١)
وكأنه يوحى لسانه به أنه ابتداء بناية جديدة . فسكانه سكت ونهته عبرته ثم
فاودته أسراؤه فماد من حيث انتهى . وانظره يعبر بصيغة الامر التي أخرجهما مخرج
الانقاس والرجاء ، يقول : يعنى على التهام ! وانظر إلى جملته والذكرات ، وكيف
يوحى إليك ، إنها فعلات بنفسه فعل التهام هذا ، ثم انظر لطول الليل ، وإلى هذه
الحسرة التي جعلته يراه ليل التهام ! قال :

ليل التهام أو وصيلن بشله متقايمة أيامها تسكرات^(٢)
وعلى هذا الدوال ، ينسج امرق القيس قصيدته ، وقفا نيك من ذكرى حبيب
وعرفان^(٣) فيها رسوم غفت ، وفيها ذكريات ، وفيها دموع وبكاء واستبكاء .
فكأننا نعالج معلقته ، أو أية قصيدة أخرى ، اللهم إلا الصورة الفنية ، التي تختلف
من قصيدة لأخرى . وهذا بطبيعة الحال ، شئ بديهي . لنقرأ معلقته ، ثم لنقرأ
هذه الآيات :

قفا نيك من حبيب وعرفان ورسم غفت آياته منذ أزمان^(٤)
أنت حبيب بعدى عليها فأصبحت

كخط زبور في مصاحف رهبان^(٥)

- (١) أعنى على التهام : أى ما عدنى على مناساة هوى ، والذكرات : ما يندكره .
- (٢) مع الآية . ومعكرات : دألمات متتابعات .
- (٣) ليل التهام : أطول الليل ، وقوله وحلى بشله . يريد وصلت الحسرة .
- (٤) والذكرات : ليل التهام في الطول . وقوله متقايمة أيامها : أى تقبست أيام هوى بليلها .
- (٥) في السدة والانتكار . وتكرات : شديديات متكرات .
- (٦) الديوان : ٨٩ وما بعدها .
- (٧) عرفان : ما عرف من علامات النار .
- (٨) الزبور : اسم الكتاب .

ذَكَرْتُ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ فَوَجَّعَتْ عَقَابِيلُ سُدَّتْهُمِ مِنْ ضَمِيرٍ وَأَشْجَانٍ^(١)
فَسَجَّتْ دُمُوعِي فِي الرَّدَاءِ كَأَنِّي

كُلِّي مِنْ شَعِيرَةٍ ذَاتِ سَحْجٍ وَتَهْتَانٍ^(٢)

والذي لاحظناه عند بشر بن أبي خازم الأسدي ، من تذكر وتساؤل ، ومحاولة لاستعادة الذكريات ، حين يشاهد طيلا من الأطلال . فنلاحظه عند امرئ القيس ، حيث أنه يشاهد طيلا فيقف عليه . وكذلك معاني شعراء البادية ، لأنها تتكرر في كل قصيدة ، وعند كل شاعر ، ولا فرق فيها بين هذه وهذه ، إلا هذه الروح العاطفية الجريئة التي تتطرح على قارئها وكشيرة .

يشاهد امرؤ القيس طيلا ، فيقف عليه ، يتساءل لمن هو ؟ حتى يتذكر هذا والرباب . وهو قد تدانى المعاني ، إلى تذكر لياليه ، حين كان الهوى يدعو فيجيئه ، ويهون أعباءه إليه رومان . فإحدى تلك الليالي وما أعنف الحزن إليها . ثم انظر إلى هذا الاستفهام الاستنكاري ، يحسه القارئ . وكان الشاعر يفكر ويهيج من شدة الوجد . قال (٣) :

لَنْ طَالَ أَنْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَقَطْ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانٍ^(٤)
دِيَارُ لَهْدٍ وَالرَّبَابِ وَفَرَّتَنِي لِيَالِيْنَا بِالْهَفِّ مِنْ بَدَلَانٍ^(٥)
لِيَالِي يَدْعُونِي الْهَوَى فَأَجِيبُهُ وَأَعِينُ مِنْ أَهْوَى إِلَى رَوَانٍ^(٦)

(١) الجميع : المجتمعون زمن مرتبهم ، والعقابيل : البقايا .

(٢) سجت : سالت وصبت . والشعير : الماردة . كسحا : رفع تكون في

أصول عراقها . وتهتان : السيل .

(٣) الديوان : ٨٥ وما بعدها .

(٤) عيب يمان : كان أهل اليمن يكتبون في صليب النخل عهودهم وصكوكهم .

(٥) الهف : ما انحصر من الجبل ، وأرتفع عن الرادى . وبدلان موضع .

(٦) رومان : دأمت النار في سكون .

وَانْظُرْ إِلَى اللَّحْمَةِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْعَاطِفَةِ الصَّادِقَةِ فِي قَوْلِهِ (١) :

أَلِمَّا عَلَى الرَّبِيعِ الْقَدِيمِ بِسَفْسَا كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أكَامُ أُخْرَسَا^(٢)

وانظر إلى لفظة « القديم » ، وكيف توحي بهجرته من بعيد . فالشاعر يستعين بصاحبه ، على الإلمام بذلك الربيع القديم . لماذا ؟ عليه يمين عن تكلم هذه الديار ، إذ هو خرسا لا ينطق ، ضياء لا تسمع ، وقد رحل أهلها عنها . فمن يجيبه ؟ ومن يقضي على هذا الاستفهام المستكن في صدره ؟ ومن الذي يستطيع أن يغمض عينه ساعة من الزمان ؟ فهو يخشى أن يعود إليه ذاؤه القديم ، فيبكي من جديد . وهو بعد ذلك كله ، يطالب ألا ينكره الناس ، وهو باق كالمو ، حين كان الحي هاهنا معرسا . ألم تسمعه يقول :

أَلِمَّا عَلَى الرَّبِيعِ الْقَدِيمِ بِسَفْسَا كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أكَامُ أُخْرَسَا^(٣)
وَجَدْتُ مُتَبَيِّلًا عِنْدَهُمْ وَمُخْرَسَا^(٤)
فَلَا تَنْكُرُونِي إِنِّي أَنَا ذَاكُم لِيَالِي حَلَّ الْحَيِّ قَوْلَا فَأَلْمَسَا^(٥)
فَإِنَّمَا تَرَبَّنِي لَا أَعُدُّ سَاعَةً مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا أَنَا كَبَّ فَأَلْمَسَا^(٦)
تَأَوَّنِي دَائِي الْقَدِيمُ فَقَلَمَسَا أَحَازِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأَنْكَسَا^(٧)

وهكذا يجرى حديث امرؤ القيس عادة عن الديار . مخاطبة لها ، وتساؤلها

(١) الديوان : ٥٠ وما بعدها .

(٢) عيس : موضع .

(٣) المتبيل : التزول في الغائبة : والمخرس : التزول في أول الليل أو في آخره للاستراحة .

(٤) غول والنس : موضحان .

(٥) الأكياب : ملازمة الشيء مع انطوائ عليه وانحناء .

(٦) تأوئني دائي : أي جامتي مع الليل . وغسأ : أي أنه لا يلا في الناس وهو

الليل . وأنكسا : كسك الشخص ، وهو الرجوع إليه بعد البرء .

عنها ، وهو لا تتدور ، وهو لا تروح ، وهو طول الزمان عليها ، ، فيصار أن ينشأ
وينشأها ، ولكن لا سبيل إلى النسيان أو توحيد الربوع التي أنفرت من أهلها ، فقد
رسخا في العداة ، أو في الدخى ، فعيد عليه الديار حديث الانحسان ، وتذكره مرة
بليلى ، وأخرى بينهما ، وثالثة بيني ثعل .

وبعد فإن العربة ألم مضى . والألم يحفر حروفه في أعين النواظف الإنسانية .
وفي القلب البشري ، الذي يندقق بالحنين إلى الوطن ، ويضرب أمراً بالقيس هذه الحقيقة ،
طريقة غير مباشرة ، حين يرى أن العربة سبب من أسباب الآثاف الروحي ، الذي
يربط بين الغريب ، وثاقه ، فيكون مدعاة لانفصاتهم . لأن كل غريب منسب للغريب
نسب أي حبيب وقريب . قال (١) :

أجارتنا أن الزاوي قريب ، وإنى مقم لها أقام عسيب (٢)

أجارتنا أنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسب (٣)

كان هنا حين أوشك لفرق القيس على الموت ، وهو بعيد عن وطنه ، غريب
عن أهله ، مشاهد لغير امرأة غريبة مثله .

ونجاذق امرؤ القيس إلى شاعر آخر ، هو طرفة بن العبد البكري (٤) .

وفي قصيدة له تطالع علينا بالروعة والألم والاحساس بالجزن الذي يلأزم
الإنسان ، حين يقف على دربع فضيحة . ثم يخار في هذا الذي شجبه . أهو الربع أم
قدمه ، أم الزماد الدارس الخم ، ويندى طرفة عن هذا التساؤل الملع ، الذي يظل
دون جواب ، وينصرف إلى وصف هذا الظلم ، وكيف هو كسطور الرق المرقش .
بعد أن لبست به السيول ، ونالت منه ريب الرمان ، وأخيراً يصور الشاعر نفسه في
هذا الريح ، ولو كانت الشاير تجري كما يشتهي لما زائله . أنها قصيدة : سائلة بالأساقى ،
والحنين فيها واضح جلي . يقول (٥) :

(١) الديوان : ٢٥٧ .

(٢) عسيب : اسم جبل .

(٣) توفى عام ٦٠ ق . م تقريباً .

(٤) الديوان : ٦٨ . وما بعدها .

أشجالك الربع أم قدمه أم رماذ دارس به (١)

كسطور الرق وقشه بالضحى مرقش يشبه (٢)

لبست بعدى السيول به وجري في رونق زهده (٣)

قال كتيب مذهب ألف فتاويه فرقتكبه (٤)

جملته جثم كلحكاها لريح ديمة تشبه (٥)

حاجبي رسم وقفت به لو أطيع النفس لم أرمه (٦)

وضمرة بن شداد (٧) ، واحد من فرسان العرب وشعرائهم ، يشعرك تلك الشاعر
التي نلها لدى الشعراء الجاهليين حباً والبدو منهم خاصة — ، خاصة ما يتعلق
بالحنين إلى الدار والديار ، والمنازل والآثار ، وما يستثيره من الذوى والأصهار ،
ومعالم الطبيعة . ولو صح شعر عترة في نسبه إليه ، لو وجدنا فيه صوراً غاية في
الوضوح والجلال ، بما يصل بموضوعنا هذا . ففي بيتين له ، تذكرنا باللوحة التي
يجابه بها الإنسان ، حين يقف وطنه وأولاده . تلك اللوحة التي أحالت شعر برأس

(١) أشجالك : أشجرك . دارس : ذهب : أرواحه .

(٢) كسطور الرق : كسطور الكتاب . وقشه : زينه وحده بالنقط .

يقشه : يقشه وزينه كالوشم في المعصم .

(٣) الرنق : هنا حسن الثياب وأوله . والرقم جمع رخم وهي مثل ضيف

كالديمة .

(٤) الكتيب : عمل ينسج . الأنف : التي لم يروع . النفاي : جمع تبة وهي

بطن يشق إليها السيل فيحتس . متكة : عزمة ومبراكة .

(٥) سم كلحكا : قصده ومعتده . كلحكا : صدرها ، أي لا تحت . تشبه :

تدقه وتكسره .

(٦) لم أرمه : لم أروع .

(٧) توفى عام ٦٠ م تقريباً .

عذرة أبليس اللون . بعد أن كان حالها كالسواد ، فكان قد التوى عند عذرة ، سلب
 مهم من أسباب الألم العفيف ، الذي يملك حتى على الأقوياء . زمام مشاعرهم ،
 فيحسرون بالحرقة ، ويمشون بالألم حتى يشيب شعرهم . وهذا متعلق مع نفسية
 عذرة لأنه عربي بدوي ، يندفع مع عاطفته بقوة ، فيخرج حين يخرج من كل قلبه ،
 ويكل مشاعره . ويتألم حين يتألم بكل قلبه ، ويكل ما يملك مشاعره من عشق وان : حتى
 ليسير معها . معها كانت مشوبة بالشرام ، قوية الآمان . قال (١) :

أحرقتنى نَارُ الجَوَى والبَهادِ بعد فقدِ الأوطانِ والأولادِ
 شابَ رأسى فصارَ أبيضَ لوناً بعد ما كانَ حالِكا بالسَّوادِ

ولا ينبغي عذرة عادة الشعراء الجاهليين في قصيدة له يهيج بها نهيمهم . لكنه
 خضوع على كل حال مشهور بالباطلة ، يعني أن يقول عنها : أنها عاطفة شاعر فارسي
 عاشق . والتي يهيم بها منها ، أنه يرسم لنا صورة جليلة الملاح ، مستبانة الشهوات ،
 لا حلال عبلة ، بين العقيق وبين بركة شيد ، تلك الأطلال التي هجرها أهلها فأضحت
 مسرحاً للأروام ، إذ ليس فيها من يروح وينتدى . وليس فيها ما يظن . نال الشوق
 من قلب الشاعر . ذلك للشوق الذي أوهى جلده ، ورحله على التجاليد حلا ، وهو
 الشاعر الذي لم يعرف إلى التصحر سبيلا ، بل التوى على بقة الحقيق ، وشاعره ، وأحراز
 انصاره . تقارن بين تلك العاطفة المشوبة بالشرية العذبة ، التي تملك على الشاعر
 نفسه . فيرى بها إلى مهاوى الردى ، وهو يرد السار عن قومه ، غير حجاب بالمرت ،
 ولا حب الحياة . وبين تلك العاطفة الأخرى ، التي تملك عليه نفسه — أيضاً —
 فصيله شخصاً حقيقياً ، لا يستطيع تحقيق أمانيه ، فيضيق جلده ، ويدين تجلده . إلا
 أنه لم يحب عاصف إلى مله . كان له فيه في يوم من الأيام . ذكرى مع عبلة . قال (٢) :

بين العقيق وبين بركة نهيم طلائع الحياة مشتمل المهي

يا مسرّح الأروام فلهذا الهوى هل فاك ذو شعبين يروح وينتدى (٣)

- (١) ديوان عذرة ٦٧ .
- (٢) الديوان : ١٣٦ .
- (٣) العقيق : بركة شيد : موضعان . (٤) الشمس : الحى والطارق .

في أيمن الملهين درس معالم أوهى بهاجلدى وبان تجلدى (١)

والآن لننظر آياتاً من مملته (٢) ، ينضح لنا في مطالعها ، أنه لم يأت بجديد ،
 سوى أن يقابل عن الشعراء ، هل غادروا من متردام ؟ . يقف عذرة على هذا
 الطلل يائل نفسه ، هل عرف الدار ، أم أنه واقف في هذه المعرفة ؟ فإذا كانت هذه
 الديار ، هي ديار عبلة ، فلتكلم والرد تحيته ، وقد وقف فيها ناذره ، لينفض حاجته
 بجدها في نفسه . ترى ما هي هذه الحاجة ؟ إنها الحنين إلى هذه الديار ، حيناً توقده
 الذكريات ، ويوقده ما بقي في هذا الطلل من بقايا ، كما توقده — أيضاً —
 وأم الهيم ، التي يتزل بها ، والتي حلت بعيداً عن هذه الدار ، فأصبح من المصير
 عليه ظلالها .

في هذه الآيات ، نجد أن الدافع الأول — والأهم — للحنين إلى هذه الديار ،
 هو الحب الذي عاينه الشاعر . حين كانت هذه الديار مأهولة بأحبابه . وبهذا يصدق
 ما سبق أن قررناه ، من أن الدوافع التي تدفع الإنسان إلى الحنين كثيرة ، ومنها ، بل
 وعلى رأسها : ذكريات الحب والشباب . قال :

هل غادرَ الشمره من متردم أم هل عرفت الدار بعد أوهى
 أمالك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأمجم
 ولقد حبست بها طويلاً نائتي أشكو إلى صفر روائك جهم
 بأدائر عبلة بالجواء تكلمى وعسى صباحاً دار عبلة واسلمى

(١) الدرس : الغناء والمقام : ما يستدل به ، وأوهى : كل وضعف . وبان : انفسد .

- (٢) الديوان : ١٤٢ . ربما يشعنا .
- (٣) متردم : من قولك : زدمت الشيء إذا أخلت .
- (٤) الصفح : الأثافي . وهي أسجار الدرق .
- (٥) الجواء : موضع في وعرى النقي .

دار لآلئها فضيضة طرفها طوع العناق لذئذة التيسم^(١)
فوقفت فيها نائقي وكأنها فدنن قضي حاجة المتلوم^(٢)
وتحمل عبلة بالجواء وأهلنا بالجزن فالصمان فالمتل^(٣)
حييت من طلل تقادّم عهدة قوي وأقفر بمدام المشم^(٤)
حلت بأرض الزائرين فأصبحت عسرا على طلابك ابنة مخرم^(٥)

وعلى هذا المنهج نفسه ، ينهج عنبرة في كثير من قصائده ، ونعني به الوقوف على المنازل ، ورسمها ، وتحديد أماكنها ، وبقاها ، والتجرد في معرفتها ، والتساؤل عنها وعن سكانها الطائفين ، الذين تركوها الأنواء ، والرامسات ، ثم تدمع عين الشاعر ، إذ يشرها بكاء حامية من أيكه ، فكأنها تثير أقوى عواطفه ، فتلطم امتلاكاً ، وتثيرة قيادة ، ويحكى ، وهو الذي لما اعتاد إلا أن يكون قوياً صديداً ، وقارياً يدفع السموح إلى عين غيره ، ولا يترك لها سبيلاً إلى عيونه ، لكنها العاطفة القوية ، مضطربة ، أقوى منه ، بحيث دفنته إلى الكاء . قال (٦) :

طال التواء على رسوم المنزل

بين الأسكيك وبين ذات الحرم^(٧)

(١) الآفة : الطيبة تؤنس شخصاً ، أي تهضمه وليس يحار على الفعل ، وإذا أبصرت شخصاً مدت عنقه وأشرأت ثمرة فباتت عاشقاً ، تعبه بها المرأة لذلك . وفضيضة ظرفاً : أي قاتر ظفراً . وطوع العناق : أي طيبة عند العناق .

(٢) الدنن : القصر ، شبهه بالثاقفة في كمال شانه .

(٣) الجزن والديان والمسلم : مواضع .

(٤) أقوى : خلا ، وأقفر : بجماع .

(٥) الزائرين : الأعداء .

(٦) الديوان : ١١٨ م . (٧) البراءة : المسك .

فوقفت في عرصاتها متحيراً أسل الديار كفضل من لم يذهل^(١)
لعبت بها الأنواء بمد أنيسها والرامسات وكل جزن مسبل^(٢)
أقمن بكاء حمامة في أيكه

ذرفت دموعك فوق ظهور المسجل^(٣)

ويبلغ أحنه ذروته ، حينما يكون بعيداً عن الدار والوطن ، ثم تحببه أشياء ، عما يذكره بذلك الوطن . فلما أخذ مثلاً قصيدته (أرض الشربة) (٤) فهو مخاطب فيها هذه الأرض ، يشعرها وواديها ، وقد رحل أهلها عنها ، ولكم عاشوا في فؤاده ، وبمدوا عنه ، وهم في قلبه وعيونه ، فإذا خفق البرق من حريم ، أرق ليلة ، وبات مسكناً ، ولوح الخوازي أثر عظيم ، في تذكره لسم عذارى ، وذات الأيادي ، ويبدو لنا أن عنبرة ، قد تسج على منوال مفار . لسائر الشعراء البدو الجاهليين ، لأنه كثيراً ما يذكر الرياح ، والسم ، والبرق الذي يخفق ، وطيب روائح ما كان في البادية ، وكان هذه الخوازي ، دافعة لعواطفه إلى الظهور ، بقوة وخشب ، وكأنها تثير في قلبه ، مكان الشوق والحنين إلى أوطانه وأحبائه . فمحب عنبرة في فروسيته ، وفي حننه اللامب ، الذي يذكره برق يلمع ، أو ربح خوازي تفرح ، أو نسيم حليل يحمر محلاً بالرائحة العطرة قمره يقول :

أرض الشربة شعب ووادي رحلت وأهلها في فؤادي

يحأون فيه وفي ناظري وأن أبعدوا في محل السواد^(٥)

(١) الأنواء : جمع نوء ، وهو النجم مال للغروب ، والعرب تخفيف الأقطار والرياح والحر والبرد إليها . والآفيس : الفاطن ، يريد أهلها الذين أسوا بها . والجزن : الأسود المشرب حرق ، يريد سبحانه متكافئاً . ومسل : منظر .

(٢) الأيكه : البحر المالح الكثير . والمسجل (كجلس) : شتان على البحر .

يحمل فيهما المديلان .

(٣) الديوان : ١١٩ م .

(٤) في محل البواد : يريد سراد البون .

ويستحق منج عترة، يتكامله، مع بيتين رائعين رائعين، يذكر فيها، أن المنزل الذي يقف عليه سرياً، قد جعل السحاب عليه بالمطر، فهو يشبهه بدموعه، فكان دموعه هي المطر. ولا غرو في ذلك، فقد قضى في (أرض الشربة) أوقافاً سبعة مع النيد الحسن، وقضى منهن أوطاره. قال (١):

يا منزل آدمي تجرى عليه إذا
ضئ السحاب على الاطلال بالمطر

أرض الشربة كم قضيت مبتجياً
فيها مع النيد والأتراب من وطر (٢)

وفي شعر الشاعر (٣) في (١)، ليدرة واحدة يشير فيها ابتعادها عن الديار التي آسها وقضى فيها أياماً سعيدة مع حبيته، يقول (٤):

أمن آل مية رايح أومفتد
عجلان ذا زاد وغير مزود

والند، ذلك الشبح الخفيف، الذي يهدهد الشاعر، بالهجر والفراق، لا مرجحاً ولا أهلاً به، لأنه سيفرض حكمه القاسي على هذا الشاعر، الذي يكاد يقضى عليه الحنين فلا يجد له مفسداً في هذه الأرض، بل أنها لتعيق به على سخطا:

زعم البوارح أن رحلتنا عن
لا مرجحاً بشي ولا أهلاً به (٥)
أفد الرحل خير أن ركابنا
لما نزل برحالبها وكان قد (٦)

(١) الديوان: ٨٥.

(٢) الوتر: الحاجة.

(٣) توفي عام ١٨ ق. ه تقريباً.

(٤) ديوان التابفة: ٢٨ — ٢٠.

(٥) عجلان: من السجدة. والزاد: ما كان من تخمة ورد سلام أو وداع.

(٦) تغليب التراب الأسود، يقال: نصب الغراب نصباً ونصباً ونصباً أو تشدداً.

(٧) أهد: قرب. وقوله: وكان قد، أي: وكان قد زال.

إذا حقق البرق من حيم
أرقت، وبث حليف السهاد (١)
وريح الخزامى يذكر أني
نسيم عناري وذات الأبدى (٢)
ويقول (٣):

إذا الريح هبت من ربي العلم السمدى
طما بردها حر الصباية والوجد (٤)

ودكرني قوماً حفظت عهدهم
فأعزوا قدرى ولا حفظوا عهدى (٥)
ويقول (٦):

أرض الشربة ترابها كالذهب
ونسيمها يسرى بمسلك أذفر (٧)
وقيامها تصوى بدوراً ظالماً
من كل فانية بطرف أخور (٨)

وفي البيت الأخيرين، سبب قوى وجديد، يشبهه عترة إلى أسباب الحنين إلى الوطن، ذلك هو ربح التراب الجميل، الذي يشبه النسيم في طبيعه. وتلك ديار عترة، تستمتع تلك الرائحة الزكية، التي تلبس بها الشاعر مثلاً، في أي مكان آخر، فلذا مارحل عنها، أو ابتعد، غلبه الشوق إليها، والحنين إلى ربوعها، وإلى ترابها الذي لا يشبه له ولا يشل (٩).

(١) الجزاء: بيت نهر أبيب الأخرار.

(٢) الديوان: ١٢٩.

(٣) الرقي: شج زينة يوف طالع ويتبع من الأرض.

(٤) الديوان: ٨٦.

(٥) أذفر: جيد إلى النافذة.

(٦) لم أكن أتصور أن التراب رائحة — بهذا الشكل — على الرغم من ذكر الشعراء لذلك، إلى أن استعرتي أناشيد الجميل الذكور جميل سيد، بأن الأرض والتراب في الجبال كنية مينة، ورائحة جيدة، إذا ما أطلت عليها السماء.

كأنه لا يصدق أنهم راكعون ، ولم يمتنع أن يظل في هذه البلاد ، ولا يجب ، فإنها بلاد حبيته التي هي عنده أعز شئ في الدنيا :

تسمُ البلاد إذا أُنيتك زائراً ، وإذا هجرتك ضائق عني مقعدى
وهنا لك جانب آخر ، من جواب الحنين إلى الوطن ، في شعر النابغة الذبياني ، ألا وهو ، جانب الاطلاع ، وفيه يصف النابغة الديار والمنازل ، ويذكر ما يتصل بها من مشاعر وأفكار ، تتلألأ عليه حين يقف فيها يسألها ، وهي لا تستطيع أن تجيبه أنها ضم . وينظر إليها ، ويطل النظر فيها ، فلا يجد إلا ثوباً وإلا بقايا من الآثار قد عفت عليها السيول ، فتضحي هذه الديار قفاراً ، إذا احتمل أهلها عنها . وحين يبلغ به اليأس مبلغه ، يمدى عنها ويتصرف عن الدار ، ويلتفت إلى نائته ، فيذكر بها يذكرك من صفاتها . قال (١) :

يا دار ميةً بالعلماء فالسند أقوت وطال علياً سالف الأمد (٢)
وقفت فيها أصيلاً لأسائدها عيت جواباً وما بالربيع من أحد (٣)
ألا أوارى لآيك ما أيدتها والنوى كالحوض بالملطومة الجبل (٤)
رذت عايه أفاصيه ولبدت ضرب الوليدة بالمسحاة في الثاد (٥)

(١) ديوان النابغة : ٢ - هـ

(٢) العلماء : مرفق الأرض . والسند : سند الجبل ، وهو ارتفاعه . أقوت : صارت في قوله وققر .

(٣) أصيلاً : هو تصنيف أصلان ، وأصلان : جمع أصل ، والواحد : أصل . وقد قيل أصل وأصال في أدنى العدد . وأصل الكثير . ويقال : أصلت فلعن موصلي ، أي : جاملت الشيء .

(٤) الأوارى : جمع آوى ، وهو محبس الدابة . والنوى : الحاجر من تراب حول الجبل . لتري : لعل . والملطومة : الأرض التي لم يكن بها أثر فاحتاج أهلها أن يحفروا فيها حوضاً لمطر أصابهم ، أو يسيل درأ عليهم فحفرها فيها . والجبل : من الأرض : التلخيط الصلب .

(٥) أفاصيه : أفاصي النوى . ضرب الوليدة : هي الامة الشابة . لبدت : طلمت . الثاد : الذي

سلك مسيل أنى كان يحسسه ورقتته إلى السجقين فالنشد (١)

أصحت قفاراً وأصحت أهلها احتملوا

أخنى عليها الذي أخنى على لبد (٢)

فمدَّ عما ترى إذ لا ارتجاع له وأنهم القشود على غير آلة أحد (٣)

ويجاء إلى رسم صور فنية أخرى ، لدار من تلك الديار ، التي يطول وقوفه عليها ، حتى يتعرف على ملامحها ، فيجرقه سيل الذكريات ، من قبل ستة أعوام أو سبعة ، وقد تعقت رسومها بفعل كر السنين والأعوام ، فلم يبق فيها إلا (رماد ككحل العين) والآوى (كعظم الجرح) . هذا كل ما تبقى من وطن عاش فيه زمناً ، وهجره زمناً آخر . ولا يستطيع أن تجاهل فنية الصورة ، التي يرسمها النابغة هذه الدار ، فهو لم ينس أن يذكر حتى آثار ذيول الرامسات ، فيصفها بضم تحته الصوانع . وإننا وإن كنا لا نلج حديقاً وأصفاً إليها ، لسكننا يمكن أن ندرجها في موضوعنا ، لما لها من موقع في النفس حين تطالعها ، باعتبارها دياراً كانت الشاعر فيها ذكريات هاجت عليه ، رغم مرور هذه السنين السبعة . وطبيعي أن الإنسان لا يترك داراً بعد مرور هذه المدة ، إلا إذا كانت في قلبه ذبالة من الحنين إليها ، يذكها بها هذه الدار وذكراته فيها . قال (٤) :

(١) مسيل : طريق . الآنى : النهر الجفوف ، والآنى : السيل من حيث كان . ورقتته : راشت بالحفر وقدمته إلى موضع السجقين ، والسجقان : ستران يكونان في مقدم البيت ، والنشد : ما تعبد من متاعهم .

(٢) أخنى عليها : أقصد عليها الشعر . لبد : شعر من شعر إقبال ، أو حشيت حسن .

(٣) عما : عما ترى : يتصرف عما ترى من تغير الديار . وأنهم : أرفع : والتشود : عيدان الرسل . والآجد : الموثقة الخلق من النوى .

(٤) ديوان النابغة : ٤٣ - ٤٤ .

أهـاجك من أسماء رستم المنازل
 أربت بها الأرواح حتى كأنها
 وكل ملث مكفهر سحابه
 إذا رجفت فيه رجا مرمجة
 هدت بها حيتا كرنا فبدلت
 غناطيل آرام الطباء المطاقل
 توى كل داني يمارض دبرها
 يرون النصى حتى يبايرون برده
 إذا الشمس مجت ديتها بالكل كل
 وفي غلط قصيدة من قصائد، تعرض لها الآن، نستطيع أن نقين بوضوح.

(١) برقة تسمى بروض الأجلول : موضعان .
 (٢) أربت : لومت وألقت فلم توج . وقوله تهادين : كان الشاه تهادى لاني
 الجنوب والجنوب إليها .
 (٣) ملث : سحاب يحل دائم . ومكفهر : مراكب غليظ . كيش الدوالي :
 ما يتلو من النطاب سريع إلى الخفيف . والرمش : المستوحى .
 (٤) رجفت : اضطربت . والرجف : الرعد . ورعا النيت : مظله . وشجابه :
 صباه . ومرمجة : تميلة كثيفة الغيم . وتجمع : أشقى . والخواقل : السحاب الكثير الماء .
 (٥) غناطيل : جماعات . الراسدة : غطلة وغطال . والمطاقل : أولاد الأطباء .
 (٦) الديال : الثور الطويل الذنب . والبروب : جماعة القفر . والرجاف :
 التي يمشك إذا طلعت . وهائل : سائل لا يتأملك .
 (٧) الكلاك : الصدور . أي بعدد رهن يبايرون برد الحصى . وجمت :
 أخرجت . وريق الشمس : لهاها تراه في الشجرة كأنه يسيل وهذا مثل .

غنا حسم من فرقتنا فالنوارع
 فخرج الأسواق عن رسومها
 توهمت آيات لها فمرفتها
 رعاد ككحل العين ما أن تدينه
 وتوى كجدم الحوض أنتم خاشع
 كان حجر الرامسات ذبولها
 وفي قصيدة أخرى، يهجو الشاعر الحج نفسه، فالتساءل ديار لم يبق إلا رسومها،
 وقد حاجت ذكريات الشاعر، ولكن أين منه تلك الديار ؟ حيث أن المطر
 الأمراء قد حملت على نفق تلك الرسم، فلم يستطع الشاعر أن يقين إلا آثار الأرام،
 وإلا الجصى النار، ورجاني الرمل، ورامسات الشصص، التي تغمر هذه الرسوم.
 كل هذا من بعد عهد لساكنها الكرام، ولذلك الحى، الذي قضى فيه فيا يبدو لنا،
 ودعنا من الزمن السعيد . قال (٦) :

(١) حسم : بلد من بلاد بني مرة . وأريك : موضع . والنارح : جارى الماء
 إلى الأودية، وهي مسايل عظام . والنوارع تدفع الماء إلى البيت . والبيت يدفع
 الماء إلى الأعمام من الوادي .
 (٢) منرج الأسواق : مسايل في الأرض صلبة . مصايق : جمع مصيف .
 ويرايح : جمع رايح، وإنما أراد مواعدهم في الصيف والربيع .
 (٣) توهمت : تفرست . وآيات : علامات .
 (٤) كجدم الحوض : أي باغية وأصله هذا جدم الحائط أي أحمده . وخاشع : لا ط
 بالأرض أطلان ونصب منحصر . وأفل : أي منكسر .
 (٥) الرامسات : الرياح الشديدة الحبوب . والرمش : الدفن . وذبولها :
 ما أخربها . وذلك أن أولها يحى . بسرة . ثم تسكن . فطبة آثار هذه الرياح في هذا
 الرسم يهبط من جريد أن أحم ترملة النوارع وتخرزه .
 (٦) الديوان : ٦٥ : ٦٦ .

أرق عواطف الحنين إلى الديار . فاننا نرى يقسم إلى عن رسم يصانده ، وقد عفت ربح الجنوب والصبا والطلل الغرير ، آياته ومعامله ، حتى لم يبق فيه إلا ما عهدناه في كل ظل حين يكون قد أكل الدهر عليه وشربه . وبعد هذه المرحلة التصويرية للديار ، يطالعنا الشاعر بوجه آخر ، ألا وهو موقفه هو ، إزاء فصل الزمن بهذا الوطني الصغير ، الحبيب إلى قلبه ، حين وقع قلبه عليه ، تناوبته الأيام والحواجز ، حتى بات في فراش من الشوك والوسج ، كيف لا ، وهو يرى الديار قد تبدلت ، فلم يبق إلا آل خيم منصوب ، وإلا ومرط أفراس ، — فيا طردة الصورة ، حين تجمع الضدين : آثار بالية عتيقة ، ليس فيها غناء العاشق — وبعد كان يرتفع فيه بالهوى والعش الغرير . غير أن النابذة ينسج على منوال الشعراء الباهلين ، لذا سرعان ما يحاول تسليان هذه العواطف الإنسانية البهيمية ، التناجاة ، فيتوجه به لنافذة وناحية ما فعل ذلك ، إذ لا صلاتا صورة فريدة ، من صور الحنين الرومانسية ، خاصة وأن مطلع القصيدة يؤكد أننا هنا ، إذ نلج فيه استرسالا فنياً ، وانفساً طويلاً :

قال (١) :

أرجحاً بعدد بدأ من صداد تخبُّب
تفت روضاً الأجداد منها تخبُّب (٢)
عفا آية ربح الجنوب مع الصبا
وأسم دان مُرَّبه مُتَّخِب (٣)
وأبدت سواراً عن وشوم كائنها
بقية الواح عليها مذهيب (٤)
فبت كان العائدات فرشتي
هراساً به يُعلَى فراشي وتخبُّب (٥)

(١) الديوان : ٧٣ — ٧٥ .

(٢) الأجداد خلافتي : تكون فيها المياه ، أو آثار عما سخرت عاد ، تخبُّب :

أرضي جديد : دارس مجدود .

(٣) آية : علايت . واسم : سحاب أسود . مزه . مطرة . والمتخوب التخل

تقريب من الأرض .

(٤) وأبدت سواراً : يعني الرمح . وقوله : سواراً ، يعني مبارزة ، عن آثار

الدار كالدخيم ، شها بالوشم والألواح الذهبية من نقشها .

(٥) فرشتي (كتاب في الديوان) وأما فرشتي لي : الهراس : من فرشتي .

فلم يبق إلا آل خيم مُنْصِب
وسم على أس ونوى مُنْصِب (١)
ومعقد أيسار على ركبايهم
ومرط أفراس وناد وملعب (٢)
عهدت بها سعدى وفي العيش غيرة
فأصبح باقي جيلها يتخبُّب (٣)
فصل الهوى واستعمل الحلم عن تمسسا
خرو ساجاجاتي تخبُّب وتخبُّب (٤)
ويبلغ الحنين أشده عند النابذة ، حين يصحى كحلا . فيقف على ديار كانت في يوم من أيام الشباب . ملاحظه ونحوال أنه . كيف لا ، وهي دار لسعدى ، وقد مرت سنون سبعة ، منذ أن فارقتها ، وفارق ديارها . فيقف عليها حين يدعو الهوى . فلا تحسب به الديار ، وكأنها لا تعرفه ، بل وكأنه لا يعرفها إذ غيشت الزمن معاليها . يقسم عن سعدى ، وليس له من حبيب ، لأن الدار تحول أين سعدى ، قال (٥) :

دعالي الهوى واستعملت لك المنازل
وكيف تصالي الرهو الشبيب مشامل (٦)

وقفت بربع الدار قد غير البي
معاليه والساريات الهوا حيل (٧)

أسائل عن سعدى وقد مر دورها
على حُجرات الدار صبيح كرامل (٨)

وتهيجه بمأخذ سعدى ، مرة أخرى . تهيجه وقد احتجبت ، فليس فيها ما يثير

الهوا طلف الظلم ما تبقى من الآثار ، ومن الذكريات ، ومن الحنين إليها . ذلك أنه

(١) الآل : عود الخيمة . والنفقة : سواد يثرب إلى الخرة . والخطب : المهدوم .

(٢) الأنادي : المجلس . أراد بذلك مجالس اللوك .

(٣) خمر : شيش : أيام الشباب . ويتخبُّب : يتقطع .

(٤) الترمس : البديلة . والخروس : التي لا تعرف ، وهو أدب غا . والتخبُّب :

تخربكها وأسمها . والحب : ضرب من السير فوق التقريب ، والمخبة الدرية .

(٥) الديوان : ١١٣ .

(٦) الساريات : الأقطار التي تسرى ليلا . أي : تطل ، وعواطف : مطرقة .

(٧) عروضا : مدما . وصحرات : وأخذها سحرة .

عهد سعدى فيها ، حين كانت غريفة عروبا تهادى مع خمرات الشيلة . فأنتم ذلك الحى
ولم تعلم تلك الأيام ، أنى يبدوا لها أن تموت . قال (١) :

أهـاجك من سمدك منى للماهد بروضة نعى فذات الاساور
(٢) تماوزها الأرواح ينسفن ربها وكل ملث ذى أهاضب راعد

بها كل ذبال وخفساء زعوى إلى كل رجاف من الزمل فارِد

عهدت بهاسمدى وسعدى غريفة عروب تهادى فى جوار خرائد

لعمري لنعم الحى صبح ميرتنا وأياتنا يوما بذات اللرايد

وتارة يأتى الشاعر ، وأحياناً يعود على ربوة . ترى لماذا يأتى ؟ ، أنه يحس
بذكرى تجد ذاك كثره ، حين كان يرى فى تهامة يلعب ، ويقتله بطيل المبدى .
وأحياناً يعود لما له ؟ فإذا به يطلب منهم أن يأملوا ، أين يقع هذا البرق ، الذى
والأجداد على ذى فورتا فالقوارخ . فلماذا يعود على هذه الديار ؟ أهى ديار ؟ أنها
ديار سعاد ، وأحبيب سعدى . من خليط مولدع . قال (٣) :

أرقت وأصغالى قبود برمود لبرق تلالا فى تهامة لامع

يعلم فيستشرى كان وميضه وميض سيوف فى أكف قواطع

(١) الديوان : ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) تماوزها : تماوزها هذه مرة ، وهذه مرة ، والملك : السحاب يكون مطره

دائماً ، وأهاضب : دقات من مطر .

(٣) كل رجاف ، رجل يصيرك لسنار .

(٤) غريفة : حدة لم تجرب الأمور . عروب : من أحيى حياءه حجة أرواحها .

وتهادى فى جوار : أى تمضى قد اكتشفتها للحرارى . وخرايد : حبيبات .

(٥) السرب : القطيع من البقر والظباء والفساء ، ذات اللرايد : موضع .

(٦) الديوان : ١٨٧ .

فحدثت له ذات المشاء فلم أتم لدى حرق من هضبة نغمة فارح
وقلت : تأمل صاح ابن مصابه أأ أجاد على ذى قوتنا فالقوارح

لترج سعاد حيث حلت بناته وأحبيب بسعدى من خليط مواع
ويشئ الشاعر منازل ، بعزبات ، وقد تماوزها صرف الدهر ، فقف بها
قلوبة مكتماً وبساتنها وقد سفت دموعه ورتبته له من شدة لونه وحزنه ، أن
الطبيعة تشارك ذلك الحزن فتبكي الحماة ، وتهمل مضجعة .

كان الشاعر انطلاقاً من هذه العاطفة القوية ، يحاول أن يطرد أحبابه عنه حين
يحاولون تعزبه . قال (١) :

غشيت منازل بعزبات فاعلى الجزع بالحق المبين

تماوزهم صرف الدهر حتى علق وكل منهم مر

وقفت بها التلوص على اكتئاب وذلك تفارط الشوق المسمى

أسألتها وقد سفت دموعى كأن مفيضهن غروب مشرق

يكاد حمامة تدعو عديلاً مفعجة على فنان تقى

ألكنى بأعينك إليك قولاً سائديه إليك ، إليك عنى

وقال الباقية (٢) :

عرجوا خيوا أنهم دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجاراً

هذا يطالع الإنسان نفسه ، ويقرأ ما فيه ، ويألف على أيامه الشخصية . يطلب
من حبيبه أن يحجز الدار ، لكثرة سرعان ما يصطدم بالحقيقة المرة : ألا وحي أن الدار
فقد التار . فلهذا تلت ، ماذا تحيون من نوى وأحجاراً ؟ . نعم . لقد أقفرت
الدار ، ولم يبق فيها إلا آثار ، قد حلت فيها الطبيعة عملها ، وأهدت إليها بساتينها

(١) الديوان : ١٩٩ - ١٩٧ .

(٢) الديوان : ٢٢٢ - ٢٢٤ .

وكيف لهم أن يحموا دنة الدار ، وصاحب الدنان يقف سراة اليوم يسألها عن آل
نعم ، فلم تخبر جوياً ، فلا عليك إلا التي ، ولينا كنه ، انك لزود منها بأخبارهم .
وكي هذا بهون ، لو كان في الدار شيء يوجب به غير النقام ، وغير موقد النار . وماذا
يقضي النقام ؟ وماذا يقضي موقد النار ، وقد بعد الأجابة ، ولا سبيل إلى القاء ؛ قال :

عوجوا فحسبوا لنعم . دمنة الدار ماذا تعيون من نوى وأحجار
أقوى وأغفر من نعم وغيره شوح الربيع بهاني الثرب موار
وقفت فيها سراة اليوم أسألها عن آل نعم أموراً غير أسفار
فلمستصمت دار نعم ما تمسكنا والدار لو كسكتنا ذات أخبار
فما وجدت بها شيئاً أعوج به ألا النمام ، والا موقد النار

وساتم الطائي (١) معروف بالكرم ووقفة العاطفة الصادقة ، التي تشده إلى الناس
لنا نراه حين يحس إلى جبال طي ، يخوض في عالم غير العالم الاعجابي ، حتى أنه ليخال
أن واقفه نحن منه - أيضاً ، لكنه يقول لها : أن الطريق أمامنا ، وإنما المكرهان
على المير فيه . قال (٢) :

حسنت إلى الأجيال أجيال طي وحسنت فلو صرنا أناساً طاهراً
فقدت لها : أن الطريق أمامنا وأنا لمجدو ربنا أن تيسر (٣)
فباركتي غلبا بحدة ناله أنما تسماناً صيماً مستبيناً وقطر (٤)

ويسيطر عليه الحنين ، وتسوقه العاطفة سوقاً فيشتكي الموت ، حين حل الحزن
أكثافي جابر ، ولا شيء في ذلك ، فإنه قد ذكر ليالي الحزن ، حين يدعه فيجيبه
حنيناً ، ولا يفتت انزعاجين . قال (٥) :

(١) توفي عام ٦٠٥ م تقريباً (٢) ديوان حاتم الطائي : ٤٧ .
(٣) عجبو ربنا : وأجوده . (٤) طياً حديدية : موضع . (٥) الديوان ٥٣ .

الآليت أن الموت كان حائماً ليالي حل العبي أكناف جابر (١)
ليالي يدعوني الهوى فأجيبه حديداً ولا أزعجني إلى قول زاجر (٢)

ويكي حاتم الطائي . ومن يبي أنه يبي من طلل قفر : هذا الطلل القفر ، يحدده
لنا الشاعر ، تحديداً كاملاً . ولا نرى دافعاً لهذا التحديد ، إلا الحنين ، وشدة
الشوق ، والرغبة العظيمة في ترداد أسماء هذه الأماكن على لسانه من جبه لها . وأنه
يمود لينامي بالفضية المعروفة ، وهي أن الموت ، لا بد أن يأتي على كل كائن شيء ،
فلا عجب إذا نالت يد القناء من هذه الدار ، ومن أهلها . قال (٣) :

بكيوت وما يبيك من كمن طلل قفر بسقف اللوى بين عمهوان فالنعم (٤)
بمخرج الفلاني بين متيرة إلى دار ذات المصعب فالهوى الجم (٥)
إلى الشعب من أعلى سبتار فترسد قبلدة مبنى سلبس لا يفتي عمرو (٦)
وما أفعل طود مكفهر حصونه

من الموت الأمثل من حل بالصعبر (٧)

ويطوح حاتم الطائي في بعض قصائده ، بتساخين يقف على طلل ، بعيد إلى
ذهبه ملامح من الماضي ، ملامح مقبلة بالقسبان ، والطلل قد تهدم ، حتى أضى
كالكتاب النشم ، فليس فيه إلا الدمار والخراب والفتنة ، ولا ما خيرة الأيام من
معاله ، التي غيرتها الأيام ، في حقة من الزمن عاشها الشاعر ، كانت له فيها ساعات

(١) أكثافي : جواف ، جابر : موضع .
(٢) حشياً : سرباً ، أزعجني : أضغى .
(٣) الديوان : ٤٥ .
(٤) سقف اللوى . وعمهوان . والنسر . وسبرج . الفلان ، وشيرة . ودان
ذات المصعب ، والهورق الخمر . والشعب ، وسبتار . وترسد . وبلدة مبنى سلبس : كلها
أبناء مواضع :
(٥) الطلوة : الجبل .

مشهورة. تغيرت الديار بفعل الزمن، الذي يعني ولا يرتسم الكائنات، فتتال منها الأمطار والرياح، وتخرج الأنواء، قال (١):

أعرف أطلالاً ونوياً مهتماً
كخطك في رقي كتاباً منمنماً
أذاعت به الأرواح بعد أنيسها
شهوراً وأياماً وحولاً منمنماً (٢)
دورج قد غرت ظاهراً ثمرة
وغيرها طول التقدم والي
تهادى عليها كائنها ذات بهجة
وكسحاً كل السارية أفضها (٣)
وذهب من ألسني (٤) طلاء وقب على الريح، والمدن، والديار، وهو يتسامل لمن هي ديار قد أغرت وأقوت، ولعبت بها الرياح وغيرها للردو الغل. قال (٥):

لمن الديار بشنة الصجر
أخوين من حجاج ومن دهر (٦)
لعب الريح بها وغيرها
بندى سواني للور والقطر (٧)
فقرأ بعندفع العذائت من
صفوى أولات الضال والسدر (٨)

- (١) الديوان: ٧٩٠.
- (٢) النوى: الحفرة حول الخيمة يمنع السيل. والرقى: الجلة الرقعى يكسب فيه والنسج: للنسج الرقعى.
- (٣) الجرم: الكامل.
- (٤) دورج: فست الزواجر. أى تحمل الزراب وتخرج به. أى تسمى: السليم.
- (٥) الكسح: الطاصرة: السارية: ثياب رقيقة. الأضخم: الدليل. الدقيق.
- (٦) توفي سنة ٦٠٩ م تقريباً.
- (٧) الديوان: ٨٦ وما بعدها.
- (٨) العتمة: الجبل الصغير. الجهر: موضع. أخوين: شخيران.
- (٩) سواني: ما تسنى الريح من الزراب. اللور: الزراب تثيره الريح.
- (١٠) العذائت: آبار في موضع يقال لها العذائت. صفوى: موضع أولات.

يريد العذائت: فوات الدين البري. الديال: السدر البري.

ويشاهد مرة أخرى عن دهن أم أرفى، بجوانة الدراج فالتعلم، هذه الدمنة، التي لم يبق منها، إلا آثار كراجع الوشم في المصام، وليس فيها إلا الدين والآرام، وأطلالها الأني يتبين من كل عجم، يقف بها زهير بعد أن غارت عشرين سنة، حتى عرف الدار وما كان، إذن ما الذي بقي منها؟ ليس إلا الأني والتوى، وكيف يستطيع زهير أن يعرف الدار، التي لم يبق منها غير هذه الآثار؟ وخير يعرف زهير أنها دار سلى، يحياها تحية الصباح، تحية يشرها الحسب، وتذكر ذنابها (١) الكريات. قال (٢):

أمن أم أرفى دمنة لم تتكلم
بعوامات الدراج فالتعلم (٣)
ديار لها بالرفعتين كأنها
مراجع وشم في نوامير مصم (٤)
بها الدين والآرام يتبين خلفه
وأطلالها ينفض من كل مجتم (٥)
وقدعها من بعد عشرين حجة
فلا يزال في دار بعد تروهم (٦)
أناي متفما في ممرس من رجل
ونوياً كهوض الخبث لم يتعلم (٧)
فلما عرفت الدار قلت لربها
ألا أنعم صيحاتها الأربع وأسلم

- (١) الديوان: ٤ وما بعدها.
- (٢) الحوامات: الجمع حوامين. أما كن غلاظ: التل: موضع. العتمة: آثار الدار.
- (٣) الرقمان: موزمان. أحدهما قرب المدينة، والآخر قرب البصرة، وهذا أولاد بينهما.
- (٤) الدين: البقر الوحشي. الواحدة عتمة، والذكر أحن. الآرام: الظباء.
- (٥) الخبث: البقر الوحشي. الواحدة عتمة، والذكر أحن. الآرام: الظباء.
- (٦) الخبث: قوله خلفه: أى إذا مضى فخرج بها آخر. أطلالها أبناء البقر والظباء.
- (٧) عجم: من عجم ويحتمل معنى رصين.
- (٨) لا يا: بعد جهل.
- (٩) ممرس من رجل: حيث أقام الرجل، وأراد موضع الأمانى. المرحل: القدر.

العتمة: سواد تخليط حرق. الحب: البش. والممرس: موضع تعبر فيه القوم.

وفي القصيدة التالية ، حين يتأوه ذكر الأجيال ، فيجمع وقد
أقسم أن يلحق بهم ، ويلحقهم مرحلاً ، بالتصير ، دائماً إلى الليل . أنهم المشرق الذي
يجمعهم قال (١) :

تأوَّبني ذكُرُ الأجيالِ بعدما هجَّمتُ ودوني قلةُ الحزينِ فالربُّ ليلُ (٢)

فأنسيتُ بهكذا بالمازِل من مَرَى وما سَجَّفتُ فيه للتأدُّمِ والقملِ (٣)

لأوتِهمَ بالفتورِ ثم لأدَّبنَ إلى الليلِ إلا أن يمرَّ جنى طَفلِ (٤)

إلى مَشْرِعِ لم يورثِ اللؤمُ جِذْمَ أصاغِرهم وكلُّ فعلٍ له نعلُ (٥)

وربُّ متساوٍ يسألُ : أينَ الحنينُ إلى الوطنِ ، وهو مرَّجحلٌ في أثرِ الأجيالِ ؟ وفي

وأيضا ، أن هذا التساؤلَ غيرُ وارد ، لأنَّ الرِّسْلَ في أثرِ الأجيالِ ، بحثٌ عن وطنٍ

جديدٍ ، سيكونُ له شأنٌ عند الشاعر ، إذا ما سمَّح الزمنُ له بالوقوفِ عليه ، وقد

تفتت آثاره ، واندرست آياته . أنها طبيعة الحياة الجاهلية ، وهل لخير فكاك عنها ؟

وتبيح معارف الرسمِ قوادسها ، وأتدروسُ تلك ؟ أنها دياره التي كان يقم بها

بوهي قصر - الآن - كالوشم ، وقد تمهدا التيبث (وانفخرت ، ذواخره بتهاول)

وبراها زهير ، وقد صرمت سكانها (عكرا) ، وابتعدوا عنه ، واستأثر بهم الدهر ،

وطال ما كان هو حداثى الدهر في رعيته ، وكيف لو خير أن يتاحل هذا الدهر ؟ أنه

لا يملك إلا أن يمانه على كثرة التبعات وعمل سلبه ما ليس بشيء ويجمع زهر قصيدته

التروسين ، مفردة مقدم الرأس . القمل : الشعر المتناثر فيه العمل .

(٤) أدَّبنَ : من اللدوب ، أي المثاربة . يمر جنى طفل . يقول ألا أن يجيئني
فانقي ففهم من أقوم عليها ، أو أقدح النار فتصيدني .

(٥) النعل : النعل .

بصره للمروعة : بأدهر ما أنصفت في الحكم . قال (١) :

هاج القوادِ معارفُ الرسمِ فقترُ بذى الهضباتِ كالوشمِ (٢)

تعتاده عينُ مُلَمَّمةٌ تجرى جاذرها مع الأدمِ (٣)

القفورُ يعطفها أقبُ تروى نسفاً بِلَينته من الكدمِ (٤)

في عانةِ بَدَلِ الههادُ لها - ومضى غيثٌ صادقُ الذمِ (٥)

فأعتمُ وانفخرت ذواخرهُ بتهاولِ كتهاولِ الرسمِ (٦)

ولقد أراها - والعقولُ بها - من يبد صرهم أينا صرهم (٧)

عكراً إذا ماراح سربهم وتوا عروج قتالهم دهم (٨)

(١) شرح الديوان : ٢٨٢ وما بعدها .

(٢) معارفه : علاقته . الهضبات : جبال في هذه المواضع .

(٣) ملَمَّمة : بها لمع تخالف آثارها . والهاد : أولاد البقر والظباء . (الأدم :

الظباء ، البعوض : تروى : تسوق .

(٤) القفور : الخالي من الأوصاف . وأقب غير ضامر الحاضرتين . وتنفذ : آثاران :

الضام من الخير . وأيضا : صفته عتقه . وقوله : يعطفها أقب : أي أربط أختار

أن يلقى البقر ويعطفها على المراعى .

(٥) عانة : قطعة من الخير . الههاد : الواحدة هيدة ، وهي المطرة تجرى بسد

الأخرى . وتروى : أول المطر . وغيث : نبت . والدم من اللبنة : مالا مائلا له .

(٦) أعتم اللبنة : التفت وطال . انفخرت ذواجره : ظهر جمل ما طال منسه

والنفس . وتهاول : ألوان زهرة . الرسم : نقوش الوشي .

(٧) الخول : جمع طل ، يقال رجل حلال من قوم سطول . صرهم : الأليات

من الناس أو الجاحدة .

(٨) الفكر : القطعة من الإبل ما بين الحدين إلى المسامحة . والمروج : جمع عرج

وهو حيث شاء وراح من المرعى . والسرب : ملك القوم الراعى .

فلستار الدهرُ النداة بهم والدهرُ يرميني ولا أزمي
لو كان لي قرناً أناخيه ما طاشت عند حفظة سهمي
أو كان يعلو الذئفُ قلت له أحرزت قسماً فآله عن قسومي (١)
يا دهر قد أكرت فجعنا بسرائرنا وقرعت في العظم (٢)
وسلبتنا ما لست معصية يا دهر ما انصفت في الحكم
وظيل الغوى (٣) وفتح قصائد كثيرة، يذكر الأطلال، ويشوب هذا الذكر،
شيء من الحنين إليها وإلى سكانها، ويظهر في شعره — أحياناً — قوة وصدق،
مردحها إحساسه الأصلي بالحنين، وتوقه إلى الديار وسكانها. فيقول (٤):
بالغمر دار من جيرة هيجت سوائف حب في فؤادك منهب (٥)

وكنت إذا بانت بها غرباء النوى

(٦) شديد القوى لم تدر ما قول مُشعب

وقبض دموعه من رسم قد لي، ويبتكر هذا الفخاض، ويصور ذلك الاستنكار
في شعره، إن يقول (٧):

أمن رسوم بأبلى الخبيخ من شرب

فأضحت دموعك فوق الخطء كالشرب

(١) البجدة: الانهماك.

(٢) توفي قبل بدء الدعوة الإسلامية بقليل تقريباً.

(٣) الديوان: ١٣٠ وما بعدها.

(٤) الخطر: كتمان حمر العالمية في البلاقيس. سوائف: مواضع. منهب: منسوب.

(٥) باليت: يفت. الشطب: الأعتراض.

(٦) الديوان: ٩٥.

وهكذا يظل الشاعر بين عرفان واستجمال. تارة يعرف الدار فيقول (١):
عرفت لليلي بين وقط فضائع منازل أفوت من مصعب لا مريم (٢)
إلى المذبح من وليسطلم بين لنا بها غير أعود الشام المنزع

وقارة يحمل الدار، فيبدأ بل عملاً (٣):

لمن طال بذي خيم قديم يلوح كأنه باقيد وشوم
كأغلب من أسود كراء ورد يشد خشاشه الزجل الضلوم (٤)

وعن هنا، فإننا نكاد نخرج من دواستنا لشعر الضليل الغنوي، كما خرجنا به
من دواستنا لليرة من الشعراء. ففي كثير من الأحوال ذكر الديار والأطلال،
وقد يشوبه حنين إليها، وفي قليل من الأحيان نحس بصدق الماطفة في ذلك.
الحنين عذبة.

وأمية بن أبي الصلت (٥)، يعرف الدار وقد أفوت سنين، أنها دار لوزيب، لكن
زلب رحلت عنها وتركها، وأنت عليها السخون، وعصفت بها الرياح، فقلت
عليها، ويظهر حنينه إليها، وإلى آياحه الخوالي التي انقضت بين جدرانها. فيقول (٦):

عرفت الدار قد أفوت سنينا لوزيب إذ حمل بها تخينا (٧)

وأذنتها حوافل مصفات كل تدرى الململة الطحينا (٨)

(١) وقت وضائع: موحش.

(٢) الديوان: ١٠٣٩ — ١٠٤٠. الخطاش والخطاش: الخفيف الروح الذي

(٣) توفي عام ٦٧٤ م تقريباً.

(٤) حبرة أشطر العرب: ١٨٥ وشعراء الصربية: ٣٣٣/١.

(٥) النحسين: سكان الدار. والخطون: الإقانيه، قطن بكاء: أفا: ونحوه.

(٦) الحوافل: الترق أو التباه وقد حذل ضرتها باللقين.

وغير خطوط الولاندز عرعت بها الريح والأقطار كل مكان^(١)
 قفار مرواة بجار بها القطا يطل بها السبعان بتركان^(٢)
 يشار من تسج التراب عليها قيصين اسماعكا ويرتديان
 ويسام الحارث بن عباد مرأبو بجزير وقيل أبو اللندو الحارث بن عباد بن قيس
 بن ثعلبة البكري، من أهل العراق، من شول شعراء الطبيعة الثانية، كان من سادات
 العرب وحكمتها وشعنائها الموصوفين: توفي عام ٥٥٠ م. [شعراء النصرانية: ١/ ٢٧-٢٨].
 ويسام الحارث بن عباد، من وسم درس بعد أهله، هذا الرسم، قد عرعت
 الصبا، وحاجت عليه الدبور، وأمرته الجنوب، وأنها لعل عليه البجالات
 المكشورات، ويبدو أن هذه هي سنة الزمن فكما عرفت ديار سلى، كذلك عرفت ديار
 الرباب التي كانت مأهولة بها، لكن السنين والرياح قد غيرت معالمها. قال (٢):
 هل عرعت الدداة رسما عجلا دارسا بعد أهله مجهولا
 لسليبي كأنه سحق برود زاده قاله الأندلس محولا
 زهرته الصبا فأدزج سهلا ثم حاجت له الدبور نجولا
 فسكان اليهود في يوم عيد ضربت فيه روقسا وطبولا
 وأمرت به الجنوب حتى إذا ما وجدت قوده عليها تنجولا
 ثم هالت عليه منها سجلا مكشورا فتسقيته سجيلا
 وتذكرت منزلا لرباب أنه كان حمزة ماء هولا
 غير أن اللعين والريح أبقت ثمرته في زهره منجولا

(١) الولاند: القلوب من الجوارى.

(٢) الرودانة: الأرض أو البقعة التي لا شيء فيها.

(٣) شعراء النصرانية: ١/ ٢٧٩

وسافرت الرياح بهم حصرا بأذيال برحق وبنه تدنا
 فابقيت الطلول غصبات ثلاثا كالحصان قد بلينا

والبراق هو أبو نصر البراق بن رومان بن أسد بن بكر بن مرة بن بني ربيعة.
 وهو من قرابة الهليل وكليب، وكان شاعرا مشهورا من أهل اليمن، من شعراء
 الطبقة الثانية، وهو جاهلي قديم توفي عام ٤٧٠ م [شعراء النصرانية: ١/ ١٤١].
 والبراق ينادي دياره، ويصبح غريبا في ديار لا يجد فيها أخا يواسيه، أو حديفا
 يمشد أزره. ويسفع دما. ويرشح الميراث التي من يسعها. قال (١):

- وقد أصبح البراق في دار غريبة وفارق اخوانا له ومواليا

حليف نوى، طارى حشا، سافح دما

يرجع عبارات بيجف البواكيا
 فن مبلغ حتى كروة أمه لتندب غرساكا وبراق ثانيا

وينادي صخرة النطلي هو صخرة بن حنبل بن مالك بن الحارث بن حبيب
 بن حرة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن قنم بن تغلب شاعر جاهلي. وهو صخرة،
 بفتح العين، [المتعلقات شرح شاعر وهارون: ٢٥٧]

وينادي صخرة النطلي، ديار الجني باليودان، التي أمت عليها صبيح ثمان، بعد
 صاده عنها، فلم يبق فيها إلا بقية من الأماز والدين، وقد لعبت بها الريح والأقطار،
 فأجحت قفرا بجارها النطلي، وتترك فيها السباح. قال (٢):

ألا يا ديار الجني باليودان أمت صبيح بعدى لحن ثمان^(٣)

فلم يبق منها غير نوى مهلم وغير ازار كالركي دغان^(٤)

(١) شعراء النصرانية: ١/ ١٤٧-١٤٨ (٢) شعراء النصرانية: ١/ ١٩٥

(٣) اليودان: موضع. (٤) الزكي: جنس الزكية، وهي البئر.

هو عمر بن قتيبة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيبة بن ثعلبة . . . كان من أقدم شعراء بكرى في الجاهلية ويعد من شعراء الطبقة الثانية . ولد نحو ٤٦٩ م وتوفي نحو ٥٦٠ م [شعراء النصرانية ١/ ٢٩٣]

وعمر بن قتيبة : نسبته إلى بنة عن وجوهه فهو قتيبة ، وتذكر أرواحها أهلها ، وأخوالها وأعمامها فبكرى حديثاً إليها ، وتذكر الأرض التي تجعل أعلامها . ولا يخفى على القاري ، سنن الشاعر نفسه إلى دياره ولا فلم قال (لله دور اليوم من لأمها !)

أرأيت إذ ذاك ؟ فهو يحسن ، ويود أن يفصح ، إلا أن بفته سبته . قال (١) :

قد سألني بديتُ عمرو عن الأر ضين إذ تُنكرُ أعلامها
لم أر أن سأتيد ما استعبرتُ لله درُّ اليوم من لأمها (٢)
تذكرتُ أرهمُ بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها
والثقب ، بكر الغاف : وهذا لقب لتسبب به لقوله في قصيدة . (وتغيب
الوصائص لليونان) والوصائص : البراقع . واسمها عائذ ، ويقال جائذ الله بن عضر
بن ثعلبة بن وائلة بن حدي بن عوف بن رهن ابن عذرة . . . شاعر لعل قديم جاهلي
كان في زمن عمرو بن هند .

[الفطليات تحقيق شاكر وحارون : ١٤٩]

والثقب لثعلبي ، يرسل إلى صاحبه أن يفتأ على النار ، التي قد حالت رسوبها
في حياها . ويستقي الذواذي ، وقد وقف فيها ، يرد عينه من عبراتها الواكدة ،
كأنه يقامى من سوابق شجن ، ومن لية حثا فيها صدره . قال (٣) :

الأحياء الدار الخيل رسوبها تهيج حائلها ما يهيج قبيدها

سقى تلك من دار ومن حل ريعها ذهب التواذي وبليها وقديدها (٤)

- (١) شعراء النصرانية ١/ ٢٩٥ (٢) سألني ما : جعل .
- (٣) ديران المثقب الودي : ٤٧ : ٤٨ .
- (٤) الثعالب : الأخطار ، واحداً ذهبية ، والويل . الخطر الشديد ، والليث
- ما كان : يوت . وهي الخطر فتن وعموم في سكوني إلى ردد وورق .

ظلت أرو اللعين عن عبراتها إذا نرفت كانت سر تاجومها (١)
كانى أفاى من سوابق عبرة ومن لية قد ضاف صدى هومها

ويقف عرف بن الأصوص على ديار قد هدمت حياضها ، ويدكر أنها كانت
بطولة ، وقد كان أهلها قد ساكنوا أهلها فيها ، ولله در الأيام ما فضل ، فيفسر عليه
أن يقين آثار الدار . قال (٢) :

هلمب الحياض فلم ينادر لحوض من نصائبه لمرأة (٣)
لخولة إذ تم منى وأهل وأهلك ساكنون مما رثاء (٤)
فلا يبا ما يقين رسوم دار وما أبى من الخطيب السلاء (٥)

وربيعة بن مقروم . وهو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن شاذل بن عمرو
وهو أحد شعراء عصر المدونين في الجاهلية والإسلام ، أسلم لحسن إسلامه ، وشيئذ
للغادسية وغيرها من الفروع . وحاش ١٠٠ سنة .

[الفطليات تحقيق شاكر وحارون : ١٨٠]

وربيعة بن مقروم ، ويعرف في آل هند ، وهو قفرام ، حتى كذلك فقال صغارها
كرسوم الرسوم . يقف نازر عليها يسألها ، وما سؤاله الرسوم ؟ أنها خسران
لا يجيب ، بكاء لا ينطق ، إلا أنه يذكر العهد الذي قبياء فيها ، فيشعل قلبه ،
وقيض دموعه على لحية وروائه فيدها . (٦)

أمن آل هند عرفك الرثما بجران قفران أبت أن تريمها (٧)

- (١) الجوم تجمع الم بكثرة
- (٢) الفطليات ٣٤١ - ٣٤٢
- (٣) النصائب : حجارة يتعرف بها الحوض ، والإزاء ، مصب الدار .
- (٤) المنى : الموضع الذي يقام فيه . والرثاء : القابلة .
- (٥) ثيابا بطيخة . (٦) الفطليات : ٣٤٣ (٧) جران : موضع .

تمثالٌ مشارفها بـ... هذا أنب سندان عليها الوشوماً^(١)
 وقتت أسانيلها ناكثي وما أنا أنم مائة وإلى الرشوما^(٢)
 وذكرني الهدى أيامها التذكير فلياً سقيماً
 ففاضت دموعي فنهتهما على الحقيق ورداني مجوماً^(٣)

والمرقش (لقبه واحد) ويحيى بن سندان بن مالك بن ضبيعة. وهو ابن
 أخي المرقش الأكبر. والمرقش الأصغر أخضر المرقشين وأطولهما عمراً. وكان أحد
 عشاق العرب المشهورين وفارسهم. وهو جاهلي.
 [الفضليات تحقيق شاكرو حارون: ٢٤١].

والمرقش الأصغر، يستعرب كيف يسفح ماء عذبه، من رسم الدار التي فارفها
 أهلها ورسوا عنها، فلم يبق فيها إلا نخس الشباء. لا شيء في نظرننا يندتوه لذلك
 إلا الحنين والشوق. قال (٤)

أمن رسم دار ماء عذبتك يسفح
 ترجي به نخس الشباء سفلها
 جاذفها بالجو ورد وأصبح^(٥)

وصف خراشة بن عمرو العبدى، لم تهر لم على ترجته، وسما بالجو بين أبي أن
 يسهول، وقد تبدل من ليلى، يحتاج الملا ترجي الدخول وسيلها. وهي ملبة
 بالضام، وخدودها سفح أنها صورة فنية جديدة يرسمها خراشة لرسم هذه الدار،
 مستكلاً عناصر الصورة، من ظلال وضوء، بحيث إلهيا. قال (٦):

- (١) الوشوم: جمع وشم، وهي الحشرة تتكون في اليد من قفل الشعر.
- (٢) الرشوم: آثار الدمار.
- (٣) ترجي: تسوق سوقاً عتيقاً. والشيء الذي تسوقه يندثر، ولد البقر. والورد
- (٤) الفضليات: ٤٩٣.
- (٥) نظام: موضع.
- (٦) ترجي: تسوق سوقاً عتيقاً. والشيء الذي تسوقه يندثر، ولد البقر. والورد
- (٧) الفضليات: ٨٦٣.

أبي الرمم بالجويني أن يتحولاً
 ويثقل من ليلى بما قد تخلفه نجاج اللاترعى الدخول فصولاً^(١)
 مائة بالشام، صفها خدودها كنان عليها سابرناً مؤثلاً^(٢)

ويثقل بشارته بن التدير، هو بشارته بن التدير، والتدير هو عمرو بن هلال
 بن سهم بن موي بن عوف بن سعد بن ذبيان بن يعض بن ويث بن قطنان، شاعر
 جاهلي حسن مقدم. وهو خال زهير بن أبي سلى. ولد مقعداً ولا ولد له، وكان
 مكرراً من المال، وكان أحزم الناس رأياً، كانت عطفان تستديره إذا أرادت الغزو
 [الفضليات تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام حارون: ص ٥٥].

ويثقل بشارته بن التدير، على ديار عفت بالجوز ودوست بعض سبين مسبح،
 طيباً، فلم يبق فيها إلا بقايا نخبة درست، فيثقل فيها وقد هالت دموعه من الشوق.
 والحنين. قال (٤):

لمن الديار عفت بالجوز بالذوم بين بشار فاشبح^(٥)
 درست وقد بقيت على حبيج بعد الأندلس عتوها^(٦)
 ولا بقايا نخبة درست دارت فزادها حتى الربيع^(٧)

- (١) البوي ناني: موضع.
- (٢) النجاج: البئر. أملاً: القمع من الأرض.
- (٣) بالشفة: سواد يضرب إلى الحمرة. والسابرى: ثياب.
- (٤) الفضليات: ٨٢٦ - ٨٢٧.
- (٥) اللوزج: مختلف الوادي حيث انحنى. والذوم وحصار والشرع.
- (٦) قواعدها: دعائها التي تدعى بها. والربيع: الزلل.
- (٧) قواعدها: دعائها التي تدعى بها. والربيع: الزلل.

فوقفت في دار الجميع وقد جالت شئون الرأس بالدمع^(١)
 ويقتف الباس بن مرداس الساسي^(٢)، وقفة تمسك من رسم صورة، والفة،
 لدار أسما، بين السفع فالرحب، وقد أقوت، وعفا عليها ذاعب الحقب، وليس
 في هذه الدار، إلا واسيات بعدها الشاعر، فيجدها ثلاثا حول منتصب: أنه
 لا يغفل صغيرة أو كبيرة في هذه الصورة التي يلتفتها لهذه الدار، يضاف إلى هذا،
 أن عردة الدار، تستن الرياح بها، فكانت تبحن (حنين الولة السلب) هذه الدار،
 قد كلف بها الباس بن مرداس فمشقها، وحسن لهاها قال^(٣):

يا دار أسماء بين السفع فالرحب^(١) أقوت وعنى عليها ذاعب الحقب^(٢)
 قدما تبين منها غير منتصد^(٣) وراسيات ثلاث حول منتصب^(٤)
 جوعر صبة الدار تستن الرياح بها^(٥) نعين فيها حنين الولة السلب^(٦)
 دار لاسماء إذ قلبي بها كلف^(٧) وإذا أقرب منها غير مقرب^(٨)
 والأعشى، شاعر كبير، يؤمن الرعب الأول في الشعر، وهو عظيم متشكك،
 ولعل سر عطلة يكن في رسم الصور الخيالة، وفي إحساسه الأصيل بالأشياء، ذلك
 أنه تتنل من بادية إلى حاضرة، ومن حاضرة إلى بادية، فامتلا ذهنه بضروب من
 الخفاقات التي تلوح لنا بين أوتة وأخرى في شعوره، ولعل من أسباب عبقريته الأعشى،

- (١) الشئون: جمع شأن وهي شعوب قبائل الراس الأربع ومنها متجمل الدمع إلى البيت.
- (٢) توفى في خلافة عثمان بن عفان (رضي).
- (٣) ديوان البساس: (٢١).
- (٤) السفع والرحب: موضعان، أقوت: خلت، عنى: درس، الحقب: السكون، والحقب: الدهر.
- (٥) أولة جمع والفة، والولة: ذهاب العقل والتعبير من شدة الولة، السلب: اللواتي في السلاب وهي ثياب المآتم السود.
- (٦) كلف: مولع.

أله يحرض في النفس الإنسانية، مستخرجا أدق حاجاتها، بصور أسباب ما تفرح به من انفعالات، ترى هذا في بيتيه اللذين يقول فيهما^(١):

حجوت شغل القى جاذبا^(٢) على واسط الكور عند الذقن^(٣)
 ترى الشيخ منها يحب الأبا^(٤) بربح كالمشارف المستحق^(٥)
 أنه يذكر الحنين، ويجمعه صورة للتذو به، يحسها إحساسا قويا، ينقلها إلى العالم الذي يريده الشاعر، هذا وأن الحنين إلى الوطن في شعر الأعشى، جزء من هذه العبرة التي لا ينطق فاني بالقرائب.

ترأف في تشوقه إلى الاطلاق التي غير المطر آياتها فهادت خلا، ليس فيها إلا ذكرى، من ذكر بات حب الأذى القليلة، التي طال ما تقول بها، يقول^(٦):

شافيك من قسالة اطلالها^(٧) بالسط فالوتر إلى حاجر^(٨)
 فرمكتي مهراس إلى مار^(٩) فجاج منفوحة ذى الحار^(١٠)
 دار لها غصير آياتها^(١١) كل ملت صواب زاجر^(١٢)
 وقد أروها سسط أترابها^(١٣) في السى ذى البهجة والراس^(١٤)

- (١) ديوان الأعشى: ٢٢.
- (٢) الحجوت: النزوة البعيدة الطويلة، الكور: الرسل بأدائه.
- (٣) الشارف: الجبل العظم.
- (٤) الديوان: ١٢٩.
- (٥) السط والوتر وحاجر: مواضع.
- (٦) وكن مهراس، وموارد، وقاع منفوحة: مواضع، الحار: مجتمع الماء والموضع الطين من الأرض.
- (٧) آيات جمع آية، والآية العلامة، ملت: مقيم، القور: السحاب ذو القوت زخر البحر، ط و كثر ماؤه.
- (٨) الترف: من ولد ممك، السامر: أديم فاعل من سمر أي لم يتم وتعدت ليل.

وهناك دار ليشاء ، قد تعفت طاولها ، يشعل الصبا وسيل المطر ، تعفت فيكي عليها ، ويسود الشاعر التهورى بالذكى مسنين إلى الوراء ، فيضال نفسه مع مثله ، وأهله حيرة لها ، وهو تمن أن تعود تلك الأيام ، تمن ملح إليه غير مصرح به قال (١) :

ليشاء دار قد تعفت طاولها عفتها فضضات الصبا خسيها (٢)
لما قد تعفى من رماد وعرصية بكيت وهل يبكي إليك حبيها (٣)
ليشاء إذ كانت وأهلك جيرة رثاء إذ يقضى إليك رمولها (٤)
وليشاء هذه — أيضاً — دار تعفت . فيتعرف عليها الشاعر . في صدقة من صدى الزمان ، في تأخر في اند حين يرفها ، وتخرج من نفسه . أذكارتها ، حسناً وشوقاً إليها ، قال (٥) :

ليشاء دار عفا رسمها فإني تبت أسطارها (٦)
ودبح الفؤاد ليرفائها وهاجت على النفس أذكارتها
ديار ليشاء حلت بها فقد باعدت منك ديارها

- (١) الديوان : ١٧٥ .
(٢) الضميمة : المطر القليل . والريح التي تنص بانفاه قبيل ، أو هي الضميمة .
تبقى : انطمت .
(٣) العرصية : ساحة الدار ، وهي كذلك البقعة الواقعة بين الدور ليس فيها بناء . حبل : دار مطروس .
(٤) قوم زمان يفتل بعضهم بعضاً . أفضى إليه : وصل إليه ، وأصله أنه صار في فضائه .
(٥) الديوان : ٢١٧ .
(٦) تبت : أتى تبتين أدب ، تبت وتعرف .

وهناك شوق عند الأضي إلى قومه ، يشاققهم إذا شط الحبيب ، وبعد الزار ، يشاقق إليهم ، لأنهم منه ، وهو منهم . هذا الشوق إلى الأهل ، بقية بطبيعة الحال — إن لم يكن مبروراً به — شوق إلى الأرض والوطن . قال (١) :

فلي مثلها أزرور بني قبي سي إذا شط بالصبيب الفراق (٢)
أنى منهم وأهم قومي وأنى إليهم مشتاق (٣)

وتفيض دموعه بغزارة من ديار ذكرته ما ذكرته من أيامه الحزالي . قال (٤) :

من ديار بالصبيب هضب القلب فاص ماء الشوق فيض الغروب (٥)
وفي يوم من أيام الأضي يعرف مقام (تيا) ، ويهرف خيامها ، مساجر عليه هياج الشوق الحزوني الطروب ، فانهلت مدامعه انهللاً ، ويبدو أنه كان عاطفياً ، ليبد أن لا يسيروا من حانها ، من صبا ، يشرب إلى وشده ، فيقتسم ، هل يحسن به للشوق إلى رسوم هضبت ، ولم يبق فيها ، [لا] لا يناصرو الثام ، وفي رأينا — نقول عنه — نعم . لا لشي . إلا البعيت الذي دفعه إلى ذلك دفعاً . قال (٥) :

عرفت اليوم من تيا مقاماً بجو أو عرفت لها خياماً (٦)
فهاجبت شوق عزوقي طروب فأسبل دمعاً فيها سجاماً (٧)
ويوم الفرج من قرواء هابت صبا حامة تدعو حماماً (٨)

- (١) الديوان : ٢١٣ . شط : بعد . (٢) الديوان : ٢٢٤ .
(٣) التاليف : البئر ، لأن لربما قلب ، وقد تظان على التاليف لاحتى منها .
وهضب : قلب حبل . ماء الشوق ، عذاري الدمع ، جمع شان الغروب . جمع غروب ، اللام .
(٤) تيا اسم إشارة تصغري ، الحنية بيت بيتي من عيادان الشجر ويلي حلية تمام ويترد به في الخبر ، وأنشام : نبت حبيب له شخص .
(٥) النجم الدمع : سال .
(٦) السحاب التي ما يراها . قرواء : موضع بالبحر . الحيا : الشوق .
(٨) الفرج .

وَهَلْ يَشْتَأِقُ مُثْلَكَ مِنْ رَسُومٍ عَفْتُ أَلَا الْيَاسِرَ وَالشَّمَامَا^(١)

وتجلى في شعر لبيد^(٢) ظاهرة الحنين إلى الوطن متداخلة بالوقوف على الأطلال
قوله يقف على الدمن الخوالي ، ولا يجد فيها إلا ما لا يبلى على مر الأزمان ، هذه
الدمن الخوالي ، قد تحمل أهلها ، وأصبحت مرتعاً للنعاج الصيف ولغير ذلك من
سائر أنات البادية التي تروى ما طلباً للظلال ، أو للكلأ ، يقف عليها لبيد ، فيخرج
جزعاً شديداً ، يفلح مداه حين يزجره أصحابه من شدة الجوع . قال^(٣) :

أَلَمْ تُلْهِمْ عَلَى الدَّمَنِ الْخَوَالِي لِسَامِي بِالْمَذَانِبِ فَالْقُعَالِ^(٤)

فَجَنَّبَنِي صَوَارٍ فَنَعَاثُ قَوْ خَوَالِدَ مَا تَحَدَّثُ بِالزَّوَالِ^(٥)

تَحْمَلُ أَهْلَهَا الْأَعْرَارَ وَخَرَفًا بَعْدَ أَنْجَارِ حِلَالِ^(٦)

وَحَيْطًا مِنْ خَوَاضِبٍ مَوْلَاتِ كَانَ رِثَالَهَا أَرْقَى الْإِفَالِ^(٧)

تَحْمَلُ أَهْلَهَا وَأَجَدَّ فِيهَا نَعَاجُ الصَّيْفِ أَخِيَّةَ الظَّلَالِ^(٨)

وَقَفْتُ بَيْنَ حَتَّى قَالَ صَبِي بَرَزْتُ وَأَسْ ذَلِكَ بِالزَّوَالِ^(٩)

(١) الياسر والاصار : الحشيش . (٢) توفي عام ٤١ هـ تقريباً .

(٣) شرح ديوان لبيد : ٧٢ - ٧٣ .

(٤) تلم : تقف . الخوالي : الخالية من أهلها . المذانب والقُعَال : موضعان .

(٥) النعاث : رؤوس الأودية . وأجدها تعف : خوالد : باقية قرو وجنبا

صوار موضعان .

(٦) الأعرا صوات ذكر النعام ، والزمار : صوت الأتني . الخرف : صوت الجن

الحق الظلال : المقيمون في حلهم ومنازلهم .

(٧) الحيط : القطيع من النعام . الخواضب : قد خصصها للرياح ، صبغ أطراف

ریشها ، رثالها : فراخها . الأورق : الرمان . الإفال : الفصلان ، وأجدها أفيل .

(٨) أجد فيها : أي اتخذت أخية جديدة .

(٩) الزوال : الحروب .

وتعفو الديار ، فيقف متسائلاً : من هي ؟ حتى تعود به الذكريات ، إلى روايته
هذه الديار ، حين يذكر الفوارس والنداء ، وكأن هذه الذكريات ، كانت حافزاً
للموع . قدسح وتمهل . قال^(١) :

لَمَنْ طَالَتْ تَضَمُّنُهُ أَثَالُ فَمِرْحُهُ فَمِرَانُهُ فَالْخِيَالِ^(٢)

فَنَبِيعُ فَالْنَبِيعِمْ فَذُو مَذِيرِ لَأَرَامِ النُّعَاجِ بِهِ سِيخَالِ^(٣)

ذَكَرْتُ بِهِ النُّوَارِمْ وَالنَّدَايِ فَمَدْمَعُ الْعَيْنِ سَحَّ وَأَنْهَالِ^(٤)

ويذكر الشاعر على قومه شمائل يدلونها فيبتعد عنهم ، ويرحل من ديارهم ، إلا
أنه مع ذلك - يظلم الشرق والحنين إلى قومه ، وإلى وطنه ، فيسندوهم
ولمراهم ، بالسقي والاصب . وكيف لا يتخذ هذا الموقف ، وهم قومه على أية حال .

كانوا : قال^(٥) :

أَقُولُ وَصُوبُهُ مَنَى بَعِيدُ يَحْطُ الثُّتُ مِنْ قُلُلِ الْجِبَالِ^(٦)

سَقَى قَوْمِي بَنَى حَبْدٍ وَأَسْقَى نُسُورًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ^(٧)

رَعَوْهُ مَرِيحًا وَتَصَيَّقُوهُ بِلَا وَأُشْمِي وَلَا وَبَالِ^(٨)

م قَوْمِي وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُمْ شَمَائِلَ يَدُلُّوهُمَا مِنْ شَمَالِ^(٩)

(١) شرح الديوان : ٢٦٧ .

(٢) أثال ومِرْحُهُ والمِرَانَةُ والخيال : كلها مواضع .

(٣) نبيع والنبيعم وذو مَذِيرِ : كلها مواضع . السخال : جمع سخال وهي ولد

الشاة من الغز والظأن ، أي قد نتجت تلك النعاج فيه .

(٤) ذكر الديوان : ٩٣ - ٩٤ .

(٥) صبرية : مصاب مطر . والثت : شجر من شجر السراة . وقُلُل : أعالي

(٦) الوبا : المرض . والوبال : مثله . شمي : أولاد شمية فرخم .

(٧) الشمائل : الخلائق . والطابع : شمالي : طبعي .

وتوقع هيرات الشاعر، حين يذكر أهله (الذين يماثل في أكنافهم) فيقتله
الخنين، شوقاً إليهم. ويضمن أن يجري الزمان على ما يشتهي، فيقضي عمره في تلك
الديار، حيث أهله الكرام، ومشروء، وصحب، ووطنه. قال (١) :

قضى اللبنة لا أبا لك وانذهب

والحق بأسرتك الكرام الغيب (٢)

ذهب الذين يماثل في أكنافهم

وبقيت في خلف كليل الأجر (٣)

يتأكلون منالاً وخياطة ويساب فاقلم وأن لم يشعب (٤)

بالزبد الصبر الكريم حدوده خيلني أمشي بقرن أعصب (٥)

لولا الإله وحسي صاحب حيدر وتمرضي في كل جون معصب (٦)

لدة يظلت تلك الحجار مقيمة فيجنوب ناصفة لفتح العوالب (٧)

أن الزوبة لا وزية مثلها

فقدان كل أبح كضوء الكوكب (٨)

(١) شرح الديوان: ١٥٢ - ١٥٥ (٢) اللبنة: بقية الحامية.

(٣) خلف: بقية. يقال فلان في كنف فلان: أي في ناحيته وخبره.

(٤) يشعب: يحور عن القصد، والمثالة: النقص.

(٥) رجل أعصب: إذا كان متورداً، الأعصب: المكسور أحد قرنيه.

(٦) في كل جون مصعب: في كل لبن شديد الشابة.

(٧) تهيئت: أي صارت في القبط: تلك الحجار، شجر يقال له ذلك.

جنوب ناصفة: موضع، لفتح: البلى، الخواري: رجل.

(٨) الزوبة: الحسية.

والزرد بن ضرار (١)، يذكر بصراحة ووضوح أن الخنين إلى الوطن، شعور
ملازم الاحياء، لأنه يفتش من الشاعر الإنسانية، مهما تباعدت الأماكن، وشطط
الديار. قال (٢) :

وما خالداً منا، وأن حل فيكم أبائين، بالنائي ولا المتباعد (٣)

تسقيتم عن ماله إذ رأيتم غلاماً كفصن البانة المتعابد (٤)

تصن لفتح التعالي صباية لأوطانها من غيقة فالضفايد (٥)

والشاح بن ضرار (٦) يفتح عن جمال حين يتغنى بالوطن، وحين يقف على

الديار وهو يكتر من رسم الصور الفنية المبكرة لتلك الديار. ويدون لنا، أن أصل

الأسباب التي تدعوه إلى الخنين، ذكريات لهره في تلك المنازل التي استجست،

وصاعدت معالمها، في زحمة الأيام: فتلا. يقف الشاعر على رسم دار من متغير، وقد

أنوى بعد ليلى. في رسمه ويصور أنداسه، كخط جو يكسب العبرانية بيسه. قال (٧)

أعرف رسماً دارساً قد تغيراً بذرة أقوى بد ليلى وأقتر (٨)

كما خط عبرانية يعمونه بيلماء حبرهم عرّض أسطرا (٩)

ويتحدث الشاعر، عن إحدى صوحيات سفره، وقد علمها الشوق والحنين إلى

أهلها ووطنها، حين رأته سويلاً، وقد بدا لها في السماء، فذكرها بهم قال (١٠) :

(١) توفى عام ٢٠ هـ تقريباً (٢) ديوان الزرد: ٧٧

(٣) أبائان: جيلان. (٤) تسقيتم: خدعته، المتعابد: من البعد وهو الذي

(٥) غيقة والندافد: موضعان. (٦) توفى عام ٢٠ هـ تقريباً.

(٧) ديوان الشاح: ١٢٩. (٨) ذروة: موضع.

(٩) خط: كتب. الحبر: اللام. (١٠) الديوان: ٤٣

تحن على شط الفرات وقد بدا سهيل لها من دونه مرو حيرا (١)
ففاتت إلى قوم ترجع رعاؤهم عليها ابن عرس والأود المسكفرا (٢)

وابن مقبل (٣) ، واحد من الشعراء الغضرمين ، الذين كانوا يجمعون بين المدرستين ، مدرسة التقليد الشعري للجاهليين ، ومدرسة الخروج الجوق على هذه التقاليد ، لذلك فإننا حين نحل شعره — في الحنين إلى الوطن — نجد فيه المدرستين تتأخيان ، فالجانب الإحلال والوقوف عليها ، والبكاء فيها ، فهو يفرغ أحيانا إلى نفسه ليستجلى عواطفه . فقرأه يطلب من الناس ، أن يتركوا عينه تبكي في الدار ، لأن التعزى لا تنفيها ، وأن القلب لا يستطيع أن يصحو ، وأن العين لا تبخل بدمعها ، وأن الشاعر يشاق لدياره ، إذ يذكر إخوانه الذين هجروهم ، من غير بغض أو كره ولكن التواكب قد تنوب ، وقد يمتحن أن يلتقي بهم ، ويمن بحب ، من أهله ، وأصحابه وخلائقه ، وأهل مودته . قال (٤) :

دَرَّ المين تَسْفَحُ في الديارِ فلا أرى اللهَ تمرى يشفيها ولا تَرَكها الجَهْلُ (٥)
ولا يستطيع القلب لو تَمَدَّدَ أنْ يَحْجُوا ولا عيني يَبْغِيَتْها بَخْلًا
مَرَّتْها فلم تُسْجِلْ عرويا ولم تَكِدْ بِدُرَّةِ ماء الشَّانَ نَسْفَحُها ضَهْلًا (٦)

(١) سهيل : كركب . السرو : ما ارتفع من الوادي وانحدرو من غلط الجبل .
(٢) قام : رجع . وترج : من الراحة وهي رد الإبل والغنم من الشئ إلى مراحيا حيث تأوى خيل . ابن عرس : دليقة مرفوعة دون السنور .
(٣) شاعر من شعراء الغضرم .
(٤) ديوان ابن مقبل : ٢٠٧ .
(٥) الجهل : الخلفه ما هنا .
(٦) مرَّتْها : أي مرَّتْ الديار عينه ، أي أن منظر الديار أبكاه . من مرى ضرع الناقة إذا مسحه لئلا . فلم تسجل : أي لم تسجل بالسمع الشان : مجرى الدموع من العروق إلى العين ، وأشجع شئون . والنسيل : الماء القليل ، مثل النسيل .

تذكرت اخواني الذين هجروهم

كأن لم يكن شكى أهم مرة شكلا (١)
هَجَرْتُهُمْ مِنْ غير بُغْضٍ ولا قِلَى وَلَكِنْ مَرَّ الدهرِ كانَ أهم شَمَلًا (٢)
وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ نَلْقَى عَزَّةً عَلَى آخِرٍ لَمْ نَلِقْ قَبْلُ أهم عِدَلًا (٣)
ويقف ابن مقبل ، على دار كبشة التي لم تستطع الجنوب أن تغيرها ، وحينما يشاها تهيج الذكريات . ، وتنسكب دموعه شوقا وحنينا على ما مضى له فيها من أيام وذكرى . قال (٤) :

يا دارَ كبشةَ تلك لم تَغَيَّرْ
بِجَنُوبِ ذِي خَشَبٍ فَحَزَمَ عَصَنُورِ (٥)
فَجَنُوبِ عَرُوى فَالْفَهَادِ غَشِيَتْها وَهنا فَبَجَّجَ لِي الدُّمُوعَ تَذْكَرِي (٦)
ويتلف شاعرنا على الحى الكريم ، الخفيف ، العزيز ، فيسكن الدار ، وأهل الدار ، وله تذره ، فقد حل فيها (روادك وحيرآ) ، بينما أضحت قومة مشاكين . مشردين . قال (٧) :

(١) الشكى : الشبه والمثل .
(٢) القلى : الكره والبغض .
(٣) على آخر : أي على أناس آخر . والعذل : التطهير والمثل .
(٤) الديوان : ١٢٣ .
(٥) ذو خشب : جبل . وجنوبه : نواحيه ونحوه ، جمع خشب ، والحزم : ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته . وعصنور : موضع وكأه ماء .
(٦) عروى : هضبة بالبالية . مناخة بلاد اليمن . والفهاد : موضع .
(٧) الديوان : ١٣٠ .

ألهي على عز عزيزي وظهرتي وظال شباب كنت فيه فاذبرا^(١)
 ولهني على حتى خفيف كلاهما إذا النيث أسمى كاني اللون أغبرا^(٢)
 يدكرني حبي خفيف كلاهما حمام ترادفن الركي المهورا^(٣)
 ومالي لا أبكي الديار وأهلها وقد حلها وراد عك وخجرا^(٤)
 فإن بني قينان أصبح سرهم بجرواء عيس أدنا أن يثقرا^(٥)
 ويستغرب ابن مقبل من صبي، كيف لا يسيون الدار، وكيف لا يسألون رسا.
 ويستغرب أيضاً لأنه هو نفسه، يحيي الدار، ويسألها، وهي عجم. لا تحيب، وقد
 انتهت عليها الرضع، واندرست مسالها، فلتاع شاعداً، ويصفى بقلبه الطوق
 واللام، حتى تهمل مداسه. فحين تقوم، وأين الديار، وأين الأيام الحلوة فيها ١٤.
 قال (٦):

هل أنت محبي الريح أم أنت سائله بحيث أحالت في الر كاهسوائله^(٧)
 وكيف تعبي الريح قد بان أهله فلم يبق إلا أمه وجناديه^(٨)

- (١) الظهيرة: الأملحون.
- (٢) الغيث: الكلا الذي يثبت من ماء السماء.
- (٣) ترادف: أي آتين يتبع بعضهم بعضاً. الركي: جمع الركية. ونهى البر.
- واللهو: من حور الركية، إنا طلمها ودفعها وسد عيوننا التي يفتح منها الماء.
- (٤) الزواد: جمع للرؤوس الذي يتقسم القوم في طلب الكلا ومساكنات.
- (٥) السرب: المسال الراعي، أي الإبل. الشرواء: الأرض الحقة. جرواء.
- عيس: موشع.
- (٦) الديوان: ٧٣٨ وما بعدها.
- (٧) الزكاه: وادى. البيرائل: مياه الأمطار.
- (٨) أمه: آلهة. جناديه: واحدتها جندي.

عفته صناديد السماء كين وانتهت عليه رياح الصيف أغبرا^(١)
 وقد قلت من فوط الأسي إذرأته وأسبل دمي مستهلاً أوائله^(٢)
 إلا يا لقوم للديار بيدوق وأني مراح المزه والشيب شامله^(٣)
 وللدار من جفني قرووي كأنها وحيي كتاب أبعته أمانله^(٤)
 أنما ليس فيه خنيا صادقاً، وشوقاً وكبداً لمشكلات الحياة وحكم الدهر القاسي
 حين يكلو هو وعشيرته وأجته عن هذه الديار، ويحلم أصدائه. ثم إذا به ياشت
 فيطلب من صاحبه، أن يسأله الإلال، الشغوات التي هيته السؤال، والدار أحياراً
 تثير مكانه الشوق والحنين، وتزل سألها على الجواب بطبيعة حلها بدون أن تتلق
 أو تتحدث. قال (٥):

سائل بكبشة دارس الأطلال قد هيجتك رسومها لسؤال
 والدار قد تلبس الحزين لما يو ويمل عارقها بغير دلال

- وعبد بن الأبرص (٦) يصف في قصيدته - التي يعدلها بعض النقاد الأندلسيين من
 المقامات على الدار وقد أقرت، ويسمى لنا الأماكن التي تحدها كما يذكر أنها
 تبدلت. كما تبدل سكانها، حيث حلت الحوش عليهم، وخيرت الخطيب حلفا
- (١) عفته: هزته. مطر خديود: خطم القدر. السالك: نجان يبران أسدها
 - السالك الأملح، والآخر السالك الرابع. الجاول: السواب وسواقط ورق الشعر
 - وحطام البيت.
 - (٢) سبل: مثل تجدي في المصطلح، ولم رطله بن مقبل. فراح: للرج.
 - (٣) قرووي: اسم موضع، الوحي: جمع وحى، وهو الكناية هنا.
 - الكتاب: الصحيفة المكتوبة ها هنا.
 - (٤) أمانله: ما هنا.
 - (٥) الديوان: ٧٣٨.
 - (٦) نقل في منتصف القرن السادس للميلاد.

ويبدو أن هذه الأرض عند الشاعر منحوسة ، وكل من يحل فيها عارب ، فإما اقتل ،
 وإما خالك ، وإما كركلا لا تنفخ الحياة . ومن خلال هذا الوصف نلص الحزين عند
 الشاعر ، إلى هذه الديار ، وإلى أيامه فيها . قال (١) :

أفقر من أهل ملاحوب ^(١) فالقطيات ^(٢) فالذنوب ^(٣)

فراكس ^(٤) فتعديلات ^(٥) فذات فرقين ^(٦) فالقلب ^(٧)

فمردة ^(٨) ففقا ^(٩) جبر ^(١٠) ليس بها منهم عريب ^(١١)

وبذلك من أهلها وحوشا ^(١٢) وغيرت حالها ^(١٣) انطوب ^(١٤)

أزني ^(١٥) توارثها ^(١٦) شعوب ^(١٧) فكل من حلها عروب ^(١٨)

إما قتلا ^(١٩) وإما هالكا ^(٢٠) والشيب شين ^(٢١) لمن يشيب ^(٢٢)

ويقف الشاعر على الدار يسأل ، لمن هي وقد أفقرت ، وليس فيها غير نوى .
 ودمه كالكتاب ، لمن هي وقد غرمتها الرياح ، والطيطس الدائم الرعد ، المريحين
 السحاب ، لمن هي وقد أوحشت ، وباتت عجلا للراح ، ومسرحا للرعابيل ، لمن
 الدار ، وكانت منزلا لسكران ذوى ندى ، وحلوم الشباب غلب شعجان ، هيج
 الشوق فصارف منها ، ولكن بعد أن حتم المصيب دار الشباب ، لمن الدار قد
 استوطنتها الظباء ، وكانت من قبل مرتعا للمارف وأحبابه وأحيابه ، ومن بينهم

(١) ديوان عيبد بن الأبرص : ١٠ وما بعدها .

(٢) ملاحوب : ماء بين الأسد بن خزيمه ، والقطيات : بجيل . والذنوب : موضع .

(٣) راكس : وثيايا ، وذات فرقين ، والقلب : كلها مواضع .

(٤) مردة : هضبة في أصلها ماء لسكران بن عبد . وقفا جبر : موضع . وعريب :
 أحد لا يستعمل إلا في النقي .

(٥) شعوب : اسم للثبة : عروب : مسارب ، أو ذهب هالك .

واحدة مبدية بدلالها : أنه تساؤل ، ليس له من يجيب ، فلا الشاعر يجيب عنه ، ولا
 أحد هناك ، يستطيع إلى الإجابة سبيلا . قال (١) :

لمن الدار أفقرت بالجناب ^(١) غير نوى ودمية كالكتاب ^(٢)

غيرتها الصبا ^(٣) ونقيج جنوب ^(٤) وشمال تذرو ^(٥) دقاق الثراب ^(٦)

فتراحتها ^(٧) وكل ملث ^(٨) دائم الرعد مرجح السحاب ^(٩)

أوحشت بعد صبر ^(١٠) كالمالي ^(١١) من نبات الوجه أو خلأب ^(١٢)

ومراج ^(١٣) ومسرح ^(١٤) وحلول ^(١٥) ورعابيل ^(١٦) كالذي وقاب ^(١٧)

وكحول ^(١٨) كدوى ندى ^(١٩) وخلوم ^(٢٠) وشباب ^(٢١) انصاف ^(٢٢) غلب الرقاب ^(٢٣)

هيج الشوق إلى معارف ^(٢٤) منها ^(٢٥) حين حل الشيب ^(٢٦) دار الشباب ^(٢٧)

(١) اللحيون : ٢١ - ٢٢

(٢) الجناب : موضع .

(٣) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(٤) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(٥) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(٦) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(٧) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(٨) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(٩) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(١٠) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(١١) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(١٢) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(١٣) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(١٤) نقيج : نقيج . دقاق : ثراب : الشاعر الذي فضله الرراح .

(٥) السعال : جمع سهالة ، وهو القول ، أو الأثر منه . الوجهه : فريس
 معروف عند العرب بكرم أصله لبي غنى . خلأب : فريس لبي تخليج كرم أيضا .
 (٦) المراج : مأوى الإبل . المسرح : المرحا . الحلول الإقامة . ورنا أطلق على
 المقيمين الخلال الضيق على الضفة . الرعابيل : جمع رعبوب ، وهي اليتاماء الجسة
 الرطبة الحليمة من النعام . الدى : جمع دمية ، وهو الصوت فيها حرة .
 (٧) الندى : السخاء . الخلوم : جمع حلم ، بكسر الخاء ، وهو الآلة والعقل .
 انجاد : جمع نجد ، وهو الرجل الشجاع الشاقي السريع الإجابة على ما يدعى إليه .
 غلب الرقاب : غلاظا ، دليل القوة والجماعة .

أوطنتها عُفْرُ الطَّيَّاءِ وَكَانَتْ قَبْلَ أَوْطَانِ مُبْدَنْ أَرَابٍ^(١)
خُرْدٍ بَيْنَهُنَّ خَوْذٌ مَبْتَنِيٌّ بِدَلَالٍ وَهَيَّجَتْ أَطْرَابِي^(٢)
وَيَذْكُرُ الشَّاعِرُ أَهْلَهُ ، فَيَهْلِكُ قَلْبُهُ ، وَيَقْتُلُ الْحَزْنَ شَوْقًا لِلْهَيْمِ ، فَيَتَذَكَّرُ مِنْهُ ، وَهُوَ
بِالنَّالِيِّ يَتَذَكَّرُ مَنَازِلَهُمْ ، وَيَحْنُ إِلَيْهَا . قَالَ^(٣)

تَذَكَّرْتُ أَهْلَ الصَّالِحِينَ بِمَحَبِّهِ فَقَلْبِي عَلَيْهِمْ هَالِكٌ جِدُّهُ مَحْلُوبٌ
تَذَكَّرْتُ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْبَاعِ وَالنَّدَى

وَأَهْلَ عِتَاقِ الْجُرْدِ وَالْبَرِّ وَالطَّيِّبِ^(٤)
تَذَكَّرْتُهُمْ مَا أَنَّ تَجِبَفَ مَدَامِي

كَأَنَّ جَدُّوْلِي يَسْقَى مَزَارِعَ خُرُوبٍ^(٥)
وَيَبْدُو لَنَا أَنَّهُ شَاعِرٌ بِكَاءٍ ، شَرَعَانٍ مَا تَسْتَأْذِنُ عِرَاطَهُ ، حِينَ يَرَى أَنَّ الْيَوْمَ ،
قَدْ لَمِعَتْ لَمِيعَتُهَا فِي الدِّيَارِ ، حَتَّى عَقَّتْهَا بِأَمْطَارِهَا ، وَرَعْدَهَا ، وَرِيَاخَهَا : وَيُظَلُّ فِيهَا
وَقَدْ قُتِلَ ، مَشَاعِرُهُ ، فَكَأَنَّهُ يَشَارِبُ صِهْبًا مُبْتَنِيًّا مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ وَكَرَّةِ الْحَزَنِ . قَالَ^(٦)
أَمِنْ رَسُومِ نُؤْيُهَا نَاحِلٌ وَمِنْ دِيَارِ دَمْعِكَ الْهَامِلُ^(٧)

(١) أوطنتها : اتخذتها وطنًا لها . العفْر : جمع أعفر وعفراء وهو يعلو بياضه
حرة . البدن : جمع يادن ، وهو السمين . الأتراب : جمع ترب بكسر التاء واستكان
الراء ، وهو الصديق ، أو من ولد بك .
(٢) الخرد : الحشرات ، أو النمل ، جمع خرد وخردة : الخود : المرأة
المسنة الخلق الشابة أو الناعمة . الأطراب : جمع طرب ، وهو الحقة تلحقك ،
تترك أو تحزنك .

(٣) الديوان : ٢٤ - ٢٥ .
(٤) العتاق : جمع عتيق ، وهو الفرس الكريم النجيب . الجرد : الغالية الشعر .
(٥) خروب موضع لبنى أسد . (٦) الديوان : ٩٧ - ٩٨ .
(٧) نؤي : الناحل . الناحل : الناضج .

قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ بِهِ ذَيْلَهَا عَامًا ، وَجَوْنٌ مَسْبِلٌ هَاطِلٌ^(١)
حَتَّى عَفَاها صَبَّتْ رَعْدُهُ دَانِي النَّوَاحِي مَسْبِلٌ وَابِلٌ^(٢)
ظَلَمْتُ بِهَا كَانَنِي شَارِبٌ صِهْبًا مِمَّا عَقَّتَتْ بَابِلٌ^(٣)

وَنَجْدُهُ آوَتْهُ أُخْرَى ، يَخَاطِبُ دَارَ هِنْدٍ ، الَّتِي عَفَاها الْمَطَرُ ، وَجَرَّتْ عَلَيْهَا رِيَاخُ
الصَّيْفِ ، فَيَحْبِسُ أَصْحَابَهُ كَيْ يَسْأَلَهُمْ . وَدَمْعُهُ قَدْ بَلَ سُرْبَالَهُ . دَمْعٌ هَاطِلٌ يَفْعَلُ الشَّوْقَ
إِلَى الْجَمْعِ الْمَشْتَمَلِ . وَإِلَى دِيَارِ الْحَيِّ ، وَلَكِنْ ، كَيْفَ يَطْرِبُ أَوْ يَشْتَاقُ عَبِيدُ بَنِ
الْإِبْرَصِ ؟ فَكَأَنَّهُ يَرَى الطَّرِبَ وَالْإِشْتِيَاقَ بَعِيدَيْنِ عَنْهُ لَغَرِي بِهِ أَنْ يَبْكِي ، وَأَنْ يَكْثُرَ
مِنْ تَهْطُلِ دَمْرَعِهِ . قَالَ^(٤) :

يَا دَارَ هِنْدٍ عَفَاها كُلُّ هَاطِلٍ بِالنَّجْوِ مِثْلَ مَسْبِقِ السُّنَّةِ الْبَابِلِ^(٥)
جَرَّتْ عَلَيْهَا رِيَاخُ الصَّيْفِ فَأَمَارَقَتْ

وَالرِّيحُ مِمَّا تَمْقِيهَا بِأَذْيَالِ^(٦)
حَبَسَتْ فِيهَا سَحَابِي كَيْ أَسْأَلَهَا وَالدَّمْعُ قَدْ بَلَ مَنِي حَبِيبِ سُرْبَالِي^(٧)
شَوْقًا إِلَى الْحَيِّ أَيَّامَ الْجَمْعِ بِهِ وَكَيْفَ يَطْرِبُ أَوْ يَشْتَاقُ أَمْثَالِي

(١) الجون : السحاب الأسود ، أو الأبيض . المسبل : الداني من الأرض .
(٢) عفاها : عفاها . صبت : عظيم الصوت والجلجلة . الوابل : المطر الشديد .
(٣) ظلمت : مكنت . شارب : كله . الصهباء : الحر .
(٤) الديوان : ١٠١ .
(٥) النجوى : موضع . المسبق : السبق . السنة : البرد البين .
(٦) أمارقت : فلبست . أراد تجر هذه الرياح على هذه الدار التراب كما تجر
المرأة ذيلها .
(٧) حبست : دامت أو قتت . حبيب السربال : طوقه . السربال : الفخيص .

وسمى عبد بن الصبحاس (١) عند ما يقول:
 أرقا وتغيطك ونابا وفرقة على حين أبصرت المشرق تشفق

فأبنا نحسن في قوله (نابا) ذلك الجنين إلى الوطن ، الذي يشبه البعد عنه ،
 وعن أهله وأحبابه ، الذين سكنوا تلك الديار ، وشاءوا فيها . وهو يرى أن التراقي
 قد صير إلى المهلكات ، فالخسوف فيها يبدو ، هو الذي أبعد عن الوطن ، وهذا
 الخوف هو الذي يجعله لا يستطيع البوح بحبه خوفاً من (باطن الجوى) على حد
 تعبيره هو ، وإن باح به . كان مصيره القتل ، وهو يرى أن السيف أحسن للتفاسات
 عن الوجد الذي لا يقضى على الإنسان . ففي القطع التالي : نلس هذه الروح المتفاساة
 بوضوح ، وتستطيع أن تقرها بعبارة : أن الذين قد فرض على الشاعر ، وأنه إن
 باح بالسيف قتل ، ولذا لم يبح به ، فإن الكتمان سوف يقضى عليه قال (٢):

خائلي هذا الدين قد جد جدده فهو ذا لنا من شر الذين مفرق
 وأن لم تبوحا خفت من باطن الجوى وإن بحت فالسيف عريان ينطق

والسيف أحسن أن أفاذي والشبا من الوجد لا يقضى على فيرفع
 أرقا وتغيطك ونابا وفرقة

على حين أبصرت المشرق تشفق
 وما كنت أخفى جنداً لأخاب جند
 على مشاء ، والظن يخطئ ويخالف
 أعالق تالقي فروعك بيننا وبين المشايخ مزمزيت ينداء (٣)

(١) توفى عام ١١٣ هـ تقريباً (٢) ديوان صبح ١١٣ - ١١٤
 (٣) التغيط : التغيط (٤) الخلفاء في دار بغداد أو في أقاليمها

وعودة بن صبح (١) ، شاعر من الشعراء العذريين ، وما تبقى من شعره خال
 بالحب والجنين إلى ديار أحبابه ، وأبنا ذكره هاهنا ، لأن شعره يخلع بواقع توى
 من دوافع الجنين ، ألا وهو الحب الذي ملك عليه فزاده .

فهو يحب عشراء ، ابنة عمه ، فيحب بالثالي ، كل ما يتصل بها ، وما يربطه معها
 بذكريات الحوى والحب . ولو رجحنا ندروس ما تبقى لنا من شعره ، لوجدنا هواه
 الهوى السيف ، يصور له أن ناقته - أيضاً - تحب . وأبنا نحن إلى الجرب
 بينا نحن هو إلى العراق ، البلد الذي ترك حبيبته فيه ، والى رجل عنها لبنا بجرها .
 وبلدته حبيبته وشوقه ، إلى أن يحسور أن ناقته ، أحسن منه حظاً ، لأنها نحن وتبدي
 حبيبها ، أما هو ، فيحن ويحنى حبيبته الذي يكاد يقضى عليه ، لو لا تأسيه بغيره من
 العشاق الذين رحلوا عن أحبابهم قال (٢):

هوى ناقتي خلني وقدامي الهوى وأنى وأبناها لخصيان
 هوى عرائق وتنتي زمامها لبرق إذا لاح النجوم يمان
 هوى أماني ليس خلني مخرج وشوقي فلوضى في العذوة عان
 وفي رواية أخرى ، للبرد في كالمه .

فن يك لم يفرض فاني وناقتي يصبر إلى أهل الجى عر ضان
 هوى ناقتي خلني وقدامي الهوى وأنى وأبناها لخصيان
 تبين وتبدي ما بها من صباقة واخفى الذي لولا الأسي لقضائي
 فيما كبدنا أجلا قد وجدنا بأهل الحمى ما لم يجد كبدان
 إذا كبدنا خافنا وشك نيم وعاجل بين ظلمات حسان

(١) توفى زمن عثمان بن عفان أو زمن معاوية (٢)
 (٣) شعر عروة بن سمام ١١٢ - ١١٣

وعلى المنوال نفسه ، ينساق الشاعر ، فينسج أحياناً أخرى ، يضمها لوعته
وتشاوره ، من الظروف المريبة ، متى كان يقاسيها ، فينادي قومه مكرهاً ، ويشدق
إليهم رغم ذلك الإكراه ، ويشدق إليهم ، ولما مضى غير ليلة واحدة على الفراق ، فكيف
به وقد تسير المطى ليالياً إثر ليال فيستخلفهم بأنه أخوهم ، وبأنه مولى خيرهم وحليفهم
ومن ثوى فيهم وعاشروهم دهرأ ، وذلك غير عجيب ، لأن سحياً كان عبداً لبني
الحساس . قال (١) :

أشوقاً ولما تمضى بي غير ليلة فكيف إذا سار المطى بنا عشرا
أخوكم ومولى خيركم وحليفكم ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرأ
وما خفت سلاماً على أن يبيتني بشيء ، ولو أُمست أنامله مرقرا
ويكي سحيم ، إذ فارقته جاراته ، فأصبح يكي ظليهما ، ولكن الدموع لا تجدي
لأنه لا يرى من أثرها ، حبه ذاتها ، فكان الفراق المستمر المتواصل عن أحبابه ودياره
قد كتب عليه قضاء لا يرد . قال (٢) :

هنا جاراتك اليوم شذبت نواحي وأصبح يكي ذا الهوى حالها
وقاضت دموع العين في ولا يرى ثوى إلى يدنيها جميعاً بكاهما (٣)

وعمر بن الأدهم هو عمرو بن سنان وهو الأدهم بن سمي بن سنان بن خالد
ابن منقر بن عبيد بن الحارث ، وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد ،
مناة بن تميم ، كان سيداً من سادات قومه ، خطيباً بليغاً شاعراً شريفاً ، جميلاً ،
ولقبه : المكمل ، وكان يقال لشعره : الحلال الشجرة ، وقد لما رسول الله (ﷺ)
في وفد بني تميم ، وسأله الرسول عن الزبقان بن بدر فمدحه ثم هجاه ولم يكذب في
الحالين ، فقال رسول الله : إن من الشعر حكمة وأن من البيان سحراً .

[المفضليات تحقيق شاكر ودارون : ١٢٥]

(١) الديوان : ٥٦ (٢) نقيض : ٢١ - ٢٢
(٣) النوى : التحول من دار إلى دار .

وعمر بن الأدهم ، يطلب النفي ، لكنه يحب وطنه . فتصطحق نفسه بين الحنين
وحب الوطن ، وبين هجرته عنه بحثاً عن هدفه . فهو كريم ، ويؤمن بأن البلاد
لا تضيئ بأهلها ، ولكن أهل البلاد تضيئ أخلاقهم ، فضيئ عليهم الدنيا . قال (١) :

ذريتي فإن البخل يائماً هينم لصالح أخلاق الرجال مروق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيئ

ويكون خلال بن الأسعر بأرض اليمن ويقول : أن ناقته تحس ، وهو أيضاً يحس ،
وأن الدهر قد فرق بينهما وبين وطنهما وأهليهما ، فسقياً لتلك الصحراء ، ولما زل
حيث حلت . ولا يابها الثراء . قال (٢) :

أقول وقد جاوزت نسي وناقتي تمنعني إلى جنتي فلج مع الفجر
سقى الله يائناً البلاد التي بها هوالك وإن عنا نأت مَبِيل القطر (٣)
فما عن قلى منها . خفت النوى بنا عن مراعيها وكشائها المغير
ولكن صرف الدهر فرق بيننا وبين الأداة ، والفتى غرض الدهر
فسقياً لصحراء الإهالة مريباً والرفي من منزل دمت مئري (٤)
وسقياً ورعياً حيث كنت لما زل وأيامها الفم المحجلة الزهر

ويدعو الهمة القسري ، أن يفتي الله الحمى وأن يسأل الحمى عنه كيف حاله
في غربته . قال (٥) :

(١) الشعر والصحراء لابن قتيبة : ٢٤٤/٢ .

(٢) الأغاني لابن قريج الأصبهاني : ٦١/٣ - ٦٢ .

(٣) النوى : المشر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض .

(٤) الإهالة : موضع . ودمت : سئل لين ، ومئري : كثير الثرى خصب .

(٥) الأغاني : ٥/١ .

أَلَا نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَ الْحَيَّ بَنَى فَدَقَّى اللَّهُ الْحَيَّ وَالطَّالِبَ^(١)
 وَأَسْأَلُ مَنْ لَا قَرِيبَ هَلْ مُطَارَ الْحَيَّ فَوَلَّ بِسَائِلٍ عَنِ الْحَيَّ كَيْفَ حَالِيَا
 وَيَضْرِي الصِّمَّةَ النَّشِيرِي بِصَبْرِهِ ، وَغَمْ أَنْ فَرَادَهُ يَهْوِي بِهِ رِيَشُ الطَّائِرِ إِلَى أَهْلِهِ
 وَجَاهَهُ ، قَالَ (٢) :

تَمَرُّ بِصَبْرٍ لَا وَجْدَكَ لَا تَرَى بِشَامَ الْحَيَّ أُخْرَى اللَّيَالِي النَّوَابِرِ
 كَانَ فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحَيَّ وَأَهْلَ الْحَيَّ يَهْوِي بِهِ رِيَشُ طَائِرِ
 وَيَذَكُّرُ أَيَّامَ الْحَيَّ ثُمَّ يَنْقُي عَلَى كَدِّهِ ، عَظَاقَةُ أَنْ تَصْدَعُ ، لِأَنَّ أَيَّامَ الْحَيَّ
 لَيْسَتْ رَاجِعَةً عَلَيْهِ ، لَمَّا قَارَنَ لَا يَجِدُ مُتَاصًّا مِنَ الْبِكَاءِ ، قَالَ (٣) :

وَأَذَكُّرُ أَيَّامَ الْحَيَّ ثُمَّ أَنْتَنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا
 فَلَيْسَتْ عَشِيرَاتُ الْحَيَّ بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنُكَ تَدْمَعَا
 وَيَقُولُ وَضَاحُ الْيَمْنِ ، وَهُوَ فِي الشَّامِ ، مُشَاقًّا إِلَى دِيَارِهِ : أَنْ نَفْسُهُ أَيْتُ أَنْ
 تَحْلِبَ دِيَارَ الشَّامِ ، لِأَنَّهَا تَذَكَّرَتْ الْفَارِزَ وَالْأَجْبَةَ ، الَّتِي سَبَّرَا قَلْبَهُ ، فَارْتَحَلَ
 مَعَهُ ، وَضَاحُ ، فَلَمْ يَلْمُوا دَعْوَتَهُ ، فَوَالَيْتُ الرِّيَاحَ كَانَتْ رَسُولًا إِلَيْهِمْ ، لَعُدَّ بِرَبِّهِ
 سَوَالِدَ وَتَحِيَّاتِهِ ، فَيَأْتِيَا الرُّوحَ لَمَّا عَذِبَتْ قَلْبِي حَتَّى عَادَ مَكْنِيًّا ، وَرَفَقَتْهُ بِمَدَائِنَ كَانَتْ
 جَلَدًا ، وَأَبْدَيْتُ لِلشَّيْبِ فِي مَقَارِفِي ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ شَابًا ، قَالَ (٤) :

أَيْتُ بِالشَّامِ نَفْسِي أَنْ تَطْلِيَا تَذَكَّرْتُ النَّازِلَ وَالْجَبِيَا
 تَذَكَّرْتُ النَّازِلَ مِنْ شَجُوبٍ وَحَيًّا أَصْبَحُوا فَطَمَرُوا شَهْرِيَا^(٥)
 (١) الْفَارِزُ : جَمْعُ فَارِزٍ . وَهُوَ مَسِيلٌ طَيِّقٌ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ هُوَ أَرْضُ
 سَهْلَةِ لَبْنَةِ

- (٢) الْإِثْنَانِ : ٦/٦ . (٣) نَفْسُهُ : ٧/٦ . (٤) نَفْسُهُ : ٦/٤ .
- (٥) شَجُوبٌ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ سَهْلَةٍ .

سَبَّوْا قَلْبِي فَجَلَّ بِجَيْتٍ حَلُومَا وَيُعْظِمُ لَنْ دَعْوَا أَلَا يُجِيبَا
 أَلَا لَيْتَ الرِّيَاحَ لَمَّا رَسُولُ الْبَيْتِ إِنْ شَمَالًا أَوْ جَنُوبَا
 خَنَانِيكُمْ بَمَا فَلَمْنَا سَرِيحَا وَبَلَدُنَا الَّتِي فَلْتَمُ قَرِيبَا
 أَلَا يَا رَوْضَ قَدْ عَذَّبْتِ قَلْبِي فَأُصْبِحُ مِنْ تَذَكُّرِكُمْ كَتِيبَا
 وَرَفَقَتِي هَوَاكِ وَكُنْتُ جَلَدًا وَأَبْدَى فِي مَخَارِقِ الشَّيْبَا
 وَهَرَبَ أَبُو عَدَى إِلَى الْهَيْجِ ، فَرَضَادَ قَلْبُهُ جَانِدَ الْأَطْرَابِ ، وَيَذَكُّرُ عَهْدَ الْمَلَامِ
 وَالْأَحْيَابِ ، وَهَيْجَاتُ مَتْنِ مَالِهِ وَأَحْيَابُهُ لَا لَانَهُ حُلَّ بَدَارٍ ، لَيْسَ لَهُ فِيهَا إِخْوَانُ ،
 وَلَا أَهْلَابُ ، إِذْ بَعْدَتْ بِهِ الدَّارُ . قَالَ (١) :

هَيْجَتْ لِلْإِجْرَاعِ حَوْلَ عَرَابٍ وَاعْتَادَ قَلْبُكَ عَائِدَ الْأَطْرَابِ^(٢)
 وَذَكَّرْتُ عَهْدَ مَالِي بِالْوَيْ التَّوْبَى هَيْجَاتُ تِلْكَ مَعَالِمِ الْأَحْيَابِ^(٣)
 هَيْجَاتُ تِلْكَ مَعَالِمُ مِنْ ذَاهِبِ الْمَسَى بِحَوْضِ أَوْ بِحَقْلِ قِيَابِ^(٤)

قَدْ حَلَّ بَيْنَ أَبَارِقِي مَا لَنْ لَهُ فِيهَا مِنْ إِخْوَانٍ وَلَا أَصْحَابِ
 شَطِئْتُ نَوَاحٍ عَنِ الْأَلْفِ وَمَسَافَةِ ثَرَى يَمَانِيَةِ حَمَامٍ كَنْبِ^(٥)
 وَنَقِمَ أَبُو زَيْدٍ (٥) قَدْ شَطَّوْا ، فَمِنْ يَلْفُفُهُمْ أَنْ الْفَرَادِ مِمَّ مُشَاقِّ . قَالَ (٦) :

- (١) الْإِثْنَانِ : ٢٨٢/١١ . (٢) عَرَابٌ : اسْمُ جَبَلٍ .
- (٣) حَوْضٌ وَحَقْلٌ قِيَابٌ : مَوْضِعَانِ .
- (٤) شَطِئْتُ بَعْدْتُ . وَالثَّرَى هُنَا : تَرْجُمَةُ النَّاسِ تَقْصِدُهُ إِلَيْهِ غَيْرُ تَجْلِيهِ الْغَوْرِ أَيْتُ
 فِيهِ . وَحَمَامٌ قِيَابٌ : قُدْرَةُ وَتَضَاؤُهُ .
- (٥) تَوَفَّقِي بَعْدَ طَمَعِي . وَحَرْبِي لِي تَرْبِيَا .
- (٦) مَعْرُوبٌ أَيْ زَيْدُ الْبَلَاءِ : ١٠٨ .

أَنَّ النَّازِلَ هَيَّجَ اطْرَابِي ^(١) واستعجب آباءها بجوابي ^(٢)
 قَرَّحُ طُحْ بِذِي اللّٰجَيْنِ كَأَنَّمَا ^(٣) انضاء زشم أوسطور كَتَابِ
 لَنَّا وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ تَبَاذَرْتُ ^(٤) مَنَى الدَّمُوعَ لِقُرْبَةِ الْأَحْبَابِ
 وَذَكَرْتُ عَصْرًا يَا بَشِيَّةَ شَانِي ^(٥)
 إِذْ فَانَنِي ، وَذَكَرْتُ شَرَحَ شَبَابِي ^(٦)
 وَتَارَةً أُخْرَى ، يَتَسَاءَلُ جَمِيلٌ عَنِ أَيَّامِهِ الَّتِي ذَهَبَتْ مَعَ بَشِيَّةٍ ، وَيُسْئَلُ أَنْ تَقْصِي
 دَائِمًا وَأَبَدًا كَيْ تَظَلَّ بِهَا مَعَالِي الْحَيَاةِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الدَّارَ ، وَإِنْ بَلَتْ وَطَاعَتُ مَعَالِمَهَا ،
 وَوَدَعْتَ خِيَامَهَا ، فَلَهَا لَشَيْءٌ مِنْهُ ذِكْرِيَاةٌ ، حِينَ كَانَ لِقَتْلُهَا بَعْضًا . قَالَ : ^(٧)
 أَعَالِيَّةٌ يَا بَنِي آيَاتِنَا الْأَلَى ^(٨) بِذِي الظُّلَمِ أَمْ لَا لِحُجَّ رَجُوعٍ ،
 سَتَمَنَى مِزَانِنَا يَا بَنِينَ بَحَائِرِ ^(٩) عِلَى الْهَجْرِ مَتَا صَيَّفٍ وَرَدِيعٍ ^(١٠)
 وَذَكَرْتُ بِالْبَلِي وَأَنْ كُنَّ بَعْدَنَا ^(١١) يَلِيقَ بِلِي لَمْ تَبْكُمُ رُجُوعُ ^(١٢)
 وَخِيَامَاتُكَ الْإِثْقَى مَشْجُوعُ الدَّوَى ^(١٣) أَفْهَرُهَا بِالْمَشْرِقَيْنِ سَجِيعُ ^(١٤)
 وَهُوَ تَقَارُةٌ أُخْرَى ، تَقْنِي أَنْ يَبِيتَ بَوَادِي الْقَرْيِ أَنَّهَا كَانَتْ مَنَازِلًا لِلْبَاشِيَةِ ، وَهُوَ
 فِي تَعْدِيدِهِ لَوْ تَحَقَّقَ لِمُسَيِّدِهَا بِنَاةُ السَّامِدَةِ . قَالَ : ^(١٥)
 أَلَا لَيْتَ شَمْرِي هَلْ آيَتُجَّ لِيَاةٌ ^(١٦) بَوَادِي الْقَرْيِ أَنْيَ إِذْ خُنَّ لِمُسَيِّدُ ^(١٧)
 (١) الاطراب : جمع طرب ، وهو اللُّهُوقُ ، والآيات : البلاطات .
 (٢) ذوا اللجين : موضع . رأيت . جمع نذور ، وأحله البشير للبرول ، وأطلق
 هنا على ما تبقى من الرشم لظلمه واختلافه .
 (٣) شرح الضباب : أوله وعشارته وقوته .
 (٤) الديوان : ١٢٠ - ١٢١ .
 (٥) حاجر : موضع . والصفيف : مطر الصفيف . مطر الربيع .
 (٦) المسجيع : المبدل وصوت الحام .
 (٧) الديوان : ٦٥ .
 (٨) ذوا الظلم : موضع .
 (٩) المشرقين : موضع .
 (١٠) المشرقين : موضع .
 (١١) المشرقين : موضع .
 (١٢) المشرقين : موضع .
 (١٣) المشرقين : موضع .
 (١٤) المشرقين : موضع .
 (١٥) المشرقين : موضع .
 (١٦) المشرقين : موضع .
 (١٧) المشرقين : موضع .

مَنَ بِلُغٍ مَوْمَنًا نَأْنِي إِذْ شَحَطُوا ^(١) أَنَّ الدَّوَادَ إِلَيْهِمْ شَبَقٌ وَلُغٌ ^(٢)
 فَالِدَارُ كَمُنِيهِمْ عَنَى قَالُ لَمُ ^(٣) وَهَى وَنَصْرِي إِذَا أَعْدَاؤُهُمْ نَسَا ^(٤)
 وَأَبُو كَبِيرِ الظُّفَى ، يَطْلُبُ قَنْ صَاحِبٍ ، أَنْ يَهْفَ وَتَقَّةَ يَدَارِ الْحَيِّ ، تِلْكَ الدَّيَارُ
 الْمُتَقَرَّةُ ، وَيُسْئَلُ لَهَا السُّقَى ، وَيُسْئَلُ أَنْ يَكُونَ بِهَا ، وَأَنْ يَمُودَ الدَّيْسُ لِرَغْدِ فِيهَا ، مَعَ
 أَطْلُهَا وَأَسْجَابِهَا ، وَبَيْنَ ضِيَاثِ دِيَارِهِ . قَالَ : ^(٥)
 يَا صَاحِبَ خَيْفَ بَدْيَارِ الْحَيِّ مَهْمَرَةً ^(٦) مَنِ الْأَحْبَرِ وَأَحْمِسَ أَيْتَانَا قَوْمًا ^(٧)
 مَسْنَى إِلَهِ وَإِنْ بَانُوا وَقَلَّ لَهُمْ ^(٨) مَبْنَى الضِّيَامِ ، وَتِلْكَ الْأَجْبَلُ السُّودَا ^(٩)
 مَنَازِلًا كَسْتِ أَهْوَى أَنْ أَكُونَ بِهَا ^(١٠) كَأَمْضَى لَيْتَ كَانَ الْعَيْشُ مِرْدُودًا ^(١١)
 وَجَمِيلُ بْنُ مَعْرٍ (١٢) عِلْمُ الشُّعْرَاءِ الْمَذْرُوبِينَ ، وَفَقْدَ وَقْفِ شَعْرِهِ عَلَى التَّغْزَلِ بِجَمِيَّةٍ
 بِشِيَّةٍ . وَبِالنَّاسِ فَمِنْ شَعْرِهِ كَانَ وَقْفًا عَلَى ذِكْرِ بَابِهَا ، وَفَقْدَ تَقْبِيعِ ذِكْرِ الْأَطْلَانِ
 وَالدَّيَارِ بِلَالِهِ . كَأَسْبَقِ أَنْ ذَكَرْنَا . يَمُودُ إِلَى الْحَيَاةِ الْعَرَبِيَّةِ الْبَسْمُودِيَّةِ ،
 وَطَبِيعَتِهَا ، الَّتِي مَعَ مَسْطُورِهَا ، الرَّسْمَةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ وَبِهَا كَانَ إِلَى آخِرِهِ ، وَفَقْدَ الْبَدَاخِ
 حَلَى الْمَنَازِلِ ، وَيُسْئَلُ عَوْدَةَ أَيَّامِهِ ، وَيُسْئَلُ إِذَا بَاخَذَهُ الْحَيِّينَ إِلَيْهَا بَشِيَّةَ الْمَنَازِلِ ، وَتِلْكَ
 الدَّيَارُ : وَيَكُونُ شَرُّ جَمِيلٍ لَا يَخْرُجُ عَنْ حَذِّهِ الْمَنَازِلُ إِلَّا لِقَائِي ، فَهُوَ غَارَةٌ يَهْفُ عَلَى
 النَّازِلِ فَتَهْجِجُ أَطْرَابِي ، وَتَسْتَعْجِمُ آيَاتِي بِجَوَابِي ، لِأَنَّهُمَا قَفَرَا . تَزُوحُ كَسْطُورُ الْكَتَابِ
 أَوْ كَلَامُهُ ، لِتِلْكَ فَهُوَ يَبْكِي وَذِكْرُ أَيَّامِ بَشِيَّةٍ لِي ذَهَبَتْ ، كَأَنَّهُ ذِكْرُ أَيَّامِ شَبَابِهِ
 وَيَذْكُرُ الذِّكْرَ بَابَ الْحَاوِيَةِ فِي تَضَاعُفِهَا . قَالَ : ^(١٣)
 (١) تصح الرجل : أظهر عدوانته وبقائها ، وقيل أظهر ما في نفسه .
 (٢) النازل : والديار لا ساعة من مثقل : ٧٣ .
 (٣) توفي عام ٨٧ هـ تقريباً .
 (٤) من الأبيات : ٢١٠ - ٢١١ .
 (٥) من الأبيات : ٢١٠ - ٢١١ .

وهل الذين سمعوا من الدهر مرة وما رث من جبل الصفا والجديد^(١)
وكرة رامة، يقف على الدار، فيتمنى أن يبيت بها، والملك يفرح عليه من
أذال سيده^(٢).

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بأبطح فيالج بأسفله نخل
يفرح علينا المسك منه وإننا به المسك أن جرت به ذيلها جل

وتسبح النازل والظولي في عطفه، والي ذكره في سنده جديته بشفقة، فوقف
يسأل الدار، أين حلت ببيت، يسأل الدار، وكأه ينظر منها جواربا، وكأنها
تفهم ما يقول^(٣).

أهاتك المنازل والطاول عتقون وخفت منهن الجول
نعم، وكذرت دنيا قد تقصفت وأنى نصير دنيا لا يزول
أسائل دار بنية: أين طالع؟ كان الدار تنهم ما أقول

أفرا سنة الحياة، في عدم ثبات أي نعم على حاله، بل كل نعم في هذه الحياة،
إلى زوال.

وعند الظامي^(٤)، شعر صادق للظامنة، حين يشغل العنكبوت في أنفاسه، وفي
صوره، وذلك حين يفرح إلى نفسه، ويستعجل عواطفه، ويرسمها بصورة جميلة،
وبالأنظار آسرة، فأمر كح ياسر الحب الصادق صاحب: حين شاعرنا إلى منازلها،
وهو بعيد عنها كلما رأى طائرا في أكنة يزعم، يبيك من البين، وهو الضبور
على تحمل البذل والند، وعلى طعن النمل إلا أن المصير والشرقي قد غلبه. قال^(٥):

- (١) كثرة الاختلاف في هذا البيت.
- (٢) نفسه: ١٦٤.
- (٣) ديوان الظامي: ٢٠٦.

إحس إلى تلك المنازل كلما غدا طائرا في أسكن
بكيت من البين الشق وانتي صبور على طعن النمل عظم

ويقف الشاعر على الظل يحبه، وإن كان بائنا، ويمتد إلى الضمير بعد الأي،
حين يجد لسيول كد تسبح في أسفله، فأمر كح ظاهرها كالخلل الموشى، بعد أن
كانت منازلها محل فيها، حتى غمر الدهر المظلم الخيل، فعاد الجديد قديما، ليست
فيه بديهة، قال^(١):

أما ميسورك فلما أروا إلى وأن بليت وأن طالت بك الطل^(٢)
أنى اهتديت للفساد عا دمن بالتمر غيرهن الأعصر الأول^(٣)
صاغت تبيع أعنان السبول به من بكر سبط أوراخ ييل
فهن كالنخل الموشى ظاهرها أو كالكتاب الذي قد صفة ييل
كانت منازلها، ناعود نخلها با حتى تغير دهر خائن خيل

ليس الجديد به تبلى بساتنت إلا قليلا ولا ذو خلة يصل
ومن كل هذا يستخلص الشاعر الحكمة الخالصة في قوله^(٤):

والرب لا يفي إلا ما تقر به عين ولا حال إلا سوف تلتقل
ونحن حكاية الشاعر من بعده عين وطنه، حين يتسامى، هل صيرى الربوتين.

- (١) ديوان الظامي: ١٨٩.
- (٢) التمر: فوضح.
- (٣) حاف: عدل. وتجمع: تغلوى، وأراد بالنسب: فطر الرابع الكبير.
- (٤) ديوان: ١٧٨.
- (٥) الخيل: الجول.

ولا واجدا ربح الخزامى تسوقها
رياح الصبا تملو دكاكله أو ردا
٢٠٠٠ م. ر. أ. وجارات يديها
قوى كطبات يسميني مرذا

الأيام البرق الذي بات يرقى
ويطرد دجى الظلماء ذكرتهى فعبدا
الم تر أن الليل يقصر طوله
ينجد ورتاد الرياح به تروفا

وحتى يجاهد آخر إلى نجد ، وإلى من يحل بنجد ، يسبب عدم انجماه مع الجند ،
إذا لم يند مثل هذه الحياة . قال (٢) :

تبدلت من نجد ومن محله
عجاة جند ما الأعارب والجند
وأصبحت في أرض البند وقد أرى
زمانا بأرض لا يقال له بند

وإذا دخل على عبد الملك بن مروان عشرة من الجوارح فأمر بضرب رقابهم
ولكن يوم غم وخطر ورعد ووق فوضربت رقاب تسعة منهم ، وقدم العاشر ليضرب
عنه ، فرفقت برقة فألقا يقول :

تألق البرق نجدا فقلت له : يا أيها البرق أتى عدت مشمول
بنات القتل حيوان يمت كفت
في كفه كجلب الماء مسلول

فقال له عبد الملك : ما أحبك إلا وقد حنت إلى وطنك وأهلك ، وقد كنت
طامعا به . قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : لو سبى شعرك قبل أن تحاك لو جنتك
عشوا حيلة . فخلوه (٣) ؟

- (١) مراد : بالفارسية رجل .
- (٢) شعر الفتوح الإسلامية : ٢٥٥ .
- (٣) البند بأرض الروم كاجناد بأرض الشام والكجور بالعراق .
- (٤) معجم البلدان : ٢٦٤/٥ .

الخارجين في سبيل التشيع المبين ، وقد نذر نفسه في سبيل الله ودينه الحنيف ، ولكن
سبب الإيثار ، كمالها شرف ، وأمدد : الجهاد والوطنى ، برغبان
يرباط وابق ١ . قال (٤) :

أكرؤ طرى نهر فيجد وأنى
إليه ، وأن لم يترك الطرف ، أنظر
حينئذ إلى أرض كأن ترأها
إذا أمطرت عود ومسك وعبر
بلاذ كأن الأفقوان روض
ونور الأفقانى ووشى برشم
أحن إلى أرض الحصار وحاجتى
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
أبدا - لا - رادكن أن ذلك أنظر
والأفشار عرسى نجر بنادق
أتى كل يوم نظرة ثم عبوة
لمينيك مجرى ماها يستند
متى يستريح القلب إذا مجاور
بحرب وإما نازح يتذكر
ولن يرى (أفكار وجرة) ، ولن يسمح له الرمان بوطى ، تراحم الجند ، وأنه لن
يجد ربح الحزائى ، حين تسوقها الصبا . فإلى الساعة ، حين يتبدل من ربا وجارات
بيها ، هذه الفرى التى وصلت الفتوح إليها . وماذا يستطيع أن يصنع ، والمساهمة
فى الفتوح فرض لازم عليه ، إلا أن يتجه إلى البرق الذى يحلو دجى الظلم . والذى
ذكره بنجد ، يحاط به وكأنه يسمح خطابه ، فيقول له : إن الليل بنجد يقصر طوله ،
وأن الرياح يباردة . لم أرى الخيام الباردة ، يشا همد ، وشكى لها شكاكه .
قال (٥) :

أتبكي على نجد وريا ولن ترى
بمينيك ربا ما حيت ولا نجدا
ولا مشرقا ما عشت أنار وجرق
ولا وائل من تزيهن ترى جعدا

- (١) معجم البلدان : ٢٦٢ - ٢٦٣ .
- (٢) شعر الفتوح الإسلامية للدهان عدد المخطوط الشافعى : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

ومن هذا المزمع الطاعن ، القوي ، كالأصمب الشاعر ، أبيات لابي زياد الطائي ،
الذي لم ينس داره ولا قومه ، ولا تلك البلاد التي ورثه ورثته ، وبها ينبت تمامه ،
ونفس لها حصر الصبا ، بين قومه وأسيابه ، والتي حجرها مكروها . قال (١) :

أحقاً عبادة الله أن لست ناسياً بلادي ولا قومي ولا ما كنا نجدنا

ولا ناظر آخو الحى اليوم نظرة أبى الله ولا شديداً
بلاد بها نطلت على تمنائي وكان بها عصر الصبا أنصرا رغداً^(٢)
بلاد بها قومي وأرض أحيها وإن لم أجدمن طول هجرتها بداء
ويتبين شعر الجنون^(٣) ، بالرق والسلاسة والنعمه . لذا بأسرها شعره بعاطفته
الاستغناء ، وسبب السائق ، فلو أن الشاعر لم يزل يابى ، وحسن الكرواف
الجملة منها والخرينة .

أن يجب مجداً ، وأبه موشك على مفادتها ، سيفان قها غداً ، لذا عليه أن ينشع
نذري فضيلتها . يقول (٤) :

تنشع من ذرى هضبات نجد فإنيك موشك أن لا تراها
أودعها الغداة فسكن نفس مفارقة إذا بكتك مداها
ونارة أخرى ، فني بنجد وطيب ترابها وأرواحها . ثم يتساءل ، هل تغيرت
نجد بعد ما غلبت بارقة مني حياء ، أم غاب عنها وهل ترواح متغيرة في
جربها برح الخوازي وهو بها إلى نجد ، لم تركت تلك العادة الخلة ؟ قال (٥) :

- (١) للنازل والديار : ٢٤٦ — ٢٤٧ .
- (٢) ينبت : غطيت . والتأني : واحداً تيمية وهو ما يطلق في البيت لمع " ينبت " .
- (٣) توفي عام ٨٥ هـ تقريباً .
- (٤) ديوان يحسون ليلى : ٢٥ .
- (٥) الديوان : ١٩ .

ألا نجدنا نجد وطيب ترابها وأرواحها إن كان نجد على العمود^(١)
الآليت مشعري عن عروص صق قتي^(٢) لطول السألي هل تغربنا بعدى^(٣)

وعن أفحوان الرمل ما هو فاعل إذا هو أمسى ليلة بئري جمدي^(٤)

وعن جارتينا بالبديل إلى الحى على عهدنا أم لم تدومنا على عهد^(٥)

وعن عليات الرياح إذا جرت يربيع الخزامى هل تهب إلى نجد^(٦)

وعن الجنون إلى الحجاز^(٧) ، وحاجته شيا مبريد ، ولكن طرفة ، لم يستشع
أن يراها ، وهو ينظر إلى نجد ، مع طه بأن هذه النظرة ليست نافعة ، لأنها لا تريبه
نجدنا ، ومع ذلك ينظر ، ثم يستعير ، ويحوى طه عينه . ويتساءلون متعجبين من
جيرانه صعبه ، ولكنه يؤكد لهم ، أن الذي يجرى من عينه ، ليس مذهباً ، وإنما هو
ذخوب نفسه وتظنوا^(٨) . قال (٩) :

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف بقصر^(١٠)
وما نظري من نحو نجد بنافسي أجمل لا ولنكني على ذلك انظر^(١١)
أني ساء ليوم عرو ثم نظرة لبيتك يجرى مأثما يتحازر^(١٢)
متى يستريح القلب إذا مجاور حزين وإما نازح يتذكر^(١٣)
يتراكم كم تجري مدلس عيند لها الدهر دمع وأكنفه تحذر^(١٤)
وليس الذي يجري من أصبي مأوها ولكنها نفس تذوب وتظفر^(١٥)

- (١) أرواحها : جمع ربح .
- (٢) أفحوان الرمل : الأفحوان ، تسميات أرواقه مغلفة صغيرة تشبه بها
- (٣) السألي : شري جمده : تراب تسمى . (٤) البديل : جبل . (٥) الخزامى :
- (٦) بيت طيب الزهر . (٦) هناك نشابه كبير بين هذه القصيدة وقصيدة أحد النابسين
- (٧) الجنون الذي هو غداً : قول قليل . كلون ولا حظ . (٧) ديوان الجنون : ٣١ — ٣٢ .

أحسن إذا رأيت جبال قومي وأبكي إن مهممت لها حديثا
سقي النبع الجيد بلاد قومي وأن

على نجد وسكن أرض نجد تحيات يرحف ويستبدنا
وحنن صب الصبا من نجد ، يزيد مسرا ، وجد الفاعل (وجدا على وجد) وإذا
ما نقت الخربة (في رونق الضحى) بكى كما يبكي الوليد ، مع أنه معروف بجبله ،
لكنه يدعى الذي لم يكن ليديه ، لأنه تقى كل لباية من تهامة ، واشتاق قلبه إلى
نجد ، لأنها ديار حبيبته ، التي إذا وعدت زاد هواها ، وإن ضنت بوعدها ، مات
على الوعد ، وإن قربت دارها بكى ، وإن بعدت حزن ، فلا في القرب ذواؤه ، ولا في
البعاد ، وهو في كل الأحوال ليس له إلا الحنين إلى نجد . فإياه يستطع لسانها ،
ولكن أنسى له ذلك ، ونجد طيبة الزاب (١) :

خيلى مراني على الأبرق القرد وعهدى بليل جبلا ذاك من عهد
الأبا صبا نجد متى هجبت من نجد

فقد زادت من مسرك وجداً على وسدي
على قنر فخر التلات من الزند
بكيت كما يبكي الوليد ولم أزل
جليلاً وأبديت الذي لم أكن أبدي

وأبدي : قد قضيت كل لباية تهامة واشتاق قلبي إلى نجد
(١) الديوان : ٧٤ - ٧٥ .
(٢) الأبرق القرد : موضع .
(٣) كذا في الديوان . وفي رواية أخرى (لم أكن وليداً) .

ومن أرق الشعر وأعذبه ، قصيدته التي ترن على صفحات الثوب ، حين يطلب
من صاحبه أن يسمع يشيم مراني نجد ، إذ الشهور تنفض ولا يخبـمـر بها ، بلالها
بلالها ونهارها (فلما لم يلبث غير ليل) ونهارها كأطول ما يكون . قال (١) :

أقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنقة فالضمار
تنتع من شيم مراري نجد فلما بعد المشقة من مراري
ألا يا حبذا نقعات نجد وروياً وروحيه غيب القطار
وأهالك إذ يحل الحى نجداً وأنت على زمانك غير زاري
شهور ينقضين وما شعرنا بالانصاف اليك ولا سرك
فلما لبس فخير ليس وأطول ما يكون من النهار

ويحن الجنون إلى نجد ، مع يأسه من الرجوع إليه . ذلك اليأس الذي يدفعه
إلى الظن ، بأنه لن يرى نجداً ، حتى تقوم القيامة . قال (٢) :

أحسن إلى نجد وإنى لأيس طوان الليالي من قنول إلى نجد
وأن يك لا لي ولا نجد فاعترف بهجتي إلى يوم القيامة والوعدي
فحين - أيضاً - إلى نجد ، إذا رأى حال قومه . ويبيى أن يسمع من تلك
الجمال . ويصدق بالسقا ليلاده ، وإن غلبت البلاد ، ولبيت بها الأطلال . ثم لا يغلك
غير أن يبعث النجدة لتلك البلاد وأهلها . يقول (٣) :

(١) الديوان : ٦٣ .
(٢) الشيم : الأبالو بها أيخس فيمراد تهوى : تفرغ . النقة والثياب : ودعان .
(٣) المران : الرجس البرى .
(٤) القطار : السحاب الكثير المطر .
(٥) مران : الليالي الأخيرة من الشهر القمري .
(٦) الديوان : ٦٧ .
(٧) المصدو السابق : ٦٤ - ٦٥ .

إذا وعدتُ زاد الهوى لا تنتظارها
وأن يخلت بالوعدتُ على الوعد

وأن قرّبت داراً بكيتُ وأن ثلثتُ
كأنتُ، فلا للقرّيب أسلو ولا للبعد^(١)

أحنُّ إلى نجد فيأيت أُنّى
ألا حينئذ نجد وطيب تراب^(٢)
وأرواحك إن كان نجد على العهد
أنها الماطقة للصادقة، والحب والصبر إلى الوطن. ولبي من هم في الوطن،
من الأهل والأحباب. جسدنا لنا الجنون، في أيسر صورة، وأجل خطر،
وأسهل نطق وأسلم. وهل هذا إلا منهج الجنون، وأضرابه من الشعراء المذمومين،
الذين يسمم الحب، وخطيب الشرق، وأسرقتهم نال للفرقة والبعاد عن الوطن
والأحباب^(٣)!

ويخطب ابن النونية أخوه في الديار، أن يسهل على الجنون، ليري نجداً. كما
فلا، زادت حباته، كما زاد بهد من معارفها. حتى يراه الشرق، فلم يترك منه حظاً ما
ولا جلدأ. قال^(٤):

أيا أخوى بالمدينة أسرفا
بي السعد أظن فطرة هل أرى نبدا^(٥)
فما زادني الأسراف إلا صباية^(٦)
ولا ازددت إلا عن معارفها نبدا^(٧)

- (١) كذا في الديوان: ولعله (البعد).
- (٢) ديوان عبد القين الدميّة: ١٨٧ - ١٨٨.
- (٣) الصمد: ماء العذاب.
- (٤) الأسراف: الاطّلال من حال.

فإن ينجد من براني حبيته فلم يترك معنى عظاماً ولا جلدأ
فقال القديسيان أنت مُكَلِّفٌ بلباعى الهوى لا تستطيع له ردأ
والحجاز من أشهر بلاد العرب، سكنها كثير منهم، وتعلقوا بها، وكثر ترويد
اسمها على ألسنة شعرائها. وحقوا إليها وقت البعاد عنها.

ففي إحدى قصائد عنتره، نلح مقارفة في شعر الشاعر، بين حياته خارج الحجاز
وحياته فيه. وهو في تلك المقارفة، يفضل ونسب الحجاز، على الأموال، والآل،
والبلد. كما أنه يفضل رؤية وجه حبيته، على حلاك كسرى.
ونتيجة لهذه، وولمه اللينيف بالحجاز وأهله، ونسبه العليل، فإنه يندفع
إلى الدبيب بالسبق للغيام والشارب التي تحمل البدور منها، وقد تفرقت بالشمع الأسود
كما أنه يذكر ينقش بالأسود الذين يسمون تلك الدبور، وكان ذاك عنتره، معذاة من
دواعي الشعر والسود، تلك السواعى، التي تراها سيباً وثيق الصلة بحبيته إلى مثاله
وأوطانه. كيف لا وهو النازع من البطالة والخرسية: قال^(١):

بورق نسيم الحجاز في الشعر إذا أنانى برحيمه التطير^(٢)
الذ عندي مما حوته يدي من اللاكى والسالى والبدور^(٣)
ومالك كسرى لا أشتبه إذا ما غاب وجهه العيب عن نظري^(٤)
سقى الغيام التي نصبت على شربة الأنس وأبل الطير^(٥)
متأله تطلع البدور بها مرفقاته بظلال الشعر^(٦)

- (١) ديوان عنتره: ٨٩.
- (٢) البدر: جمع بدرة، وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة
آلاف دينار.
- (٣) الشربة: موضع.
- (٤) يريد بالبدور الجوارى.

يبيض ويبرق تصوي مضاربها أساطير غلاب بالبيض والسمير
 وفي قصيدة أخرى ، يجد الشاعر أن دولته من بقاءه عن أحبابه وانحياضه في
 الحجاز ، التي تمر على كبده الحزري ، الذاتية من الوجد . يطالنا ضربة هذه القصيدة
 بالظن لرجوعه إلى الألف باءه من الذكر لاني . فهو إذا رشت سماء البعد قلبه . وإذا
 تدهلت الأحداث ، فأبعدته عن حب . فانه سيصير وسيلاني ، جيش الشوق ، بهيمته
 وقوة عزيمته ، وهو يجد عزاءه عن هذا البعد عن أحبابه ودياره ، يربح الحجاز ،
 والبرق الذي يحمسه ، أرق عن طه ليقيله في عيسى . قال (١).

لماذا رشت قلبى سهام من العبد
 وبذلك قربى حادث الدهر بالبعد (٢)

لست لها درءاً من الصبر مانعاً
 ولا لست بغير الشوق منفرداً وحدي

فيا رب يا ربيع الحجاز تنفسي
 على كبد حرمى أتوب من الوجد (٣)

ويأبى أن عرفت من جاني العبي
 فبني بغي عيسى على التلم السدي

وإن خدت نيران عاة توحيها
 فكن أنت في أكنافها نور الوقت (٤)

- (١) الديوان : ٦٥ - ٦٦ . (٢) سطر : الرى بالليل وريح .
- (٣) حرمى : مؤنث سران . أى ظلمة .
- (٤) الموهن : نحو من متصف الليل ، أو بعد ساعة منه .

وعلى الذى ينهل فوق خيامها
 عدت لآله أن كنت بملق اقربا
 وما شاق قلبى فى الشجى غير طائر
 به مثل ما بى فهو ينفى من الجوى
 كمثل الذى أغنى ويمدى الذى أبدى

ألا قاتل الله المحوى كم بسيفه
 وقضى عن البيان ، أن الحزن إلى الوطن واضح في آياته خفة ، وأن الشوق إلى
 الأهل والأحباب فيها جلى . كما أنها تحكى اختلافاً بيناً عما اصطاح عليه ، أبيات
 الاطلاق ، وليس فيها وفوق على طلال ، ولا بكاء واستسكاك ، ولا شئ من مثالي

يا نسيم الصغار لو لاك تمطفا
 لك متى إذا تفتت حراً ولرباك من شيلة طيب (١)

ويطع ليرقى ، فيحدث نساء أترأى نفس التماح بين صرار إذ يذكر الخورق .
 والراحلى ، فيضعل الحزين في قلبه إلى الحجاز . قال (٢) :

رأيت سنا برقى فقلت لصاحبي
 فبات ضحالي يذكرنى المحوى
 كأنى لبرقى بالمحاز صديق (٣)

- (١) الرنت : شجر جب الرامح .
- (٢) الديوان : ١٠٠ .
- (٣) (٤) الربا : الرخ الخفية .
- (٥) هيران الشايح : ٢٤٤ .
- (٦) قلع : موضح .
- (٧) مهملالى : صونألى .

ويشعر جميل بأن الحجاز وطنه، وهو يضم هواه وشجته، قال (١):

أنا جميل والحجاز وطني فيه هوى نفسي وفيه شجتي،

وتخرج عواطف النظام، وتطرب ذكريات الحجاز في قلبه، فيجده إلى ربيع الحجاز يستجيبها، بحيث أنه الذي أنشأها، أن ترد سحره وتحييه حين يحسها. أن ترد عليه، فتخطف من وجدته التاصل في قرارة نفسه وعواطفه، عسى أن تنطق. فتران شوقه يرد هوائها، فيا ربيع الحجاز، لولا أنك تحطين، بقيته من غليب عيلة، مات قبل أن يلقاها! قال (٢):

ريح الحجاز يحق من أنشاك ردي السلام وحى من حبيك

هي عسى وجددي يخطف وتخطي تروان أشواني يبرد هواك

ياد ريح لا أن فيك بشية من طيب حيلة، شوقك لك

ويحسن الشاعر إلى وطنه فيتمنى أن يغير إلى الحجاز، عله يرى ركباً لجارية تهيئ شوقاً إلى وطنها الذي يند، وإلى حيراتها قال (٣):

وإذا لك في أرض الحجاز ترى ركباً عالج أو دون نعمان (٤)

ليس بجارية تنحل أدسها شوقاً إلى وطنها وحيران

ويشد كرك الشاعر صباه يند حين من الفراق، فيحسن القلب إلى الحجاز، فتخرج دموعه، ويهيج غرامه، قال (٥):

ذكرت صباهي من يند حين فناد لي القديم من الجنون

وحق لي الحجاز القلب مني ففجأ غرامه بعد السكون

(١) ديوان جميل: ٢٠٢

(٢) ديوان الطائي: ١٦٩

(٣) الديوان: ١٧٤

(٤) الديوان: ٢١٦

(٥) الديوان: ٢١٦

وأنا لناس الحنين الصادق، التصل بمناخه فخرته العزبة، عند أدباء السجون. ومن الطبيعي أن يحسن السجين إلى بلاده، وإلى أهله، عائلته وعشيرته، لأنه منكروه، على الإقامة في السجن.

فيحسن إذن لبيلى الأزدى، أن يارق للبرق الخيالي، الذي يغنى الجيزة كلها،

فيبين السبل والهمام، ويدخل في قلبه. لأنه صدوق لحنى قد فارقه بالاكرام والعصر. فتشور أسرته، حين يشاركون بين حاله ذلك، وبين أيامه في البر، حين كان الحام يغنى في ظل الأيك، وحين كان الديان يورق في حبه. فبالتسايل سايته للراقي حبيبته قد تقضت منذ زمن، كي يتسنى له أن يعود إلى ذلك الراقي السعيد حيث يثبت السدر في دندره. قال (١):

أرقت لبرق دونه شدوني

فبت لدى البيت الحرام أخيلة ومطوى من شوقي له أرقان

جوى منه أطراف الشمس في شمع قايان فالحيات من زماني

فزان والأيام أقاربا لها فها وان من وادها شيطان

هنا لك لو طوقتها لوجعتني حديقها من إخوان بها وغواني

وعزف الصامم الورق في ظل أيكه وبالصحى زى الرودين عزف قيان

ألا ليت حاجاتي اللواتي حبيبتني لدى نافع قضيت منذ زمان

وما بي بغض للبلاد ولا قلبي ولكن شوقاً في سواه زعاني

(١) معجم الديوان: ٢٢٩/٢. وأدباء السجون لبيد العزير الحظائي: ٧٨-٧٩

(٢) معجم الديوان: ٢٢٩/٢

(٣) الديوان: ٢١٦

(٤) الديوان: ٢١٦

(٥) الديوان: ٢١٦

نجاحا ولا عن رؤسهم يخيب

ويشكو حبيب بن علي الأضراري ، غرته إلى الله ، وكبرته ، بعد أن جمع
الأعداء جيوشهم ، واحتشدوا من كل جانب ومكان ، وهم لا يألون يمدون له
السدائق ، في كل منظر ومظهر ، فأيضا إلى الله ، في العرش ، أن يصير به على
مصابه . قال (١) :

لقد جمع الأحزاب حولي والبوا
وقربت من جندع طويل منيع
قند قربوا أبناءهم ونساءهم
وكأهم يمدى للمداوة جاهدا
على لاني من وثاق مضيع
إلى الله أشكرو غربي بعد كربتي
فقد انصهروا الحصى وزاد خال منامي

فإنما حالة الغريب ، الرجيد ، البعيد عن أهل وعظه ، وهل له هذا فكاه ؟

ويقول فيس بن مسعود في سجنه : أن ليلته قد طالت ، وأن الذكاك منه بعيد ، لهذا

فيلج الباعثون رسولاً حتى دخل ، عن حاله ، وهو أنه في الأسر . قال (٢) :

ألا أبلى بني ذهل رسولاً
وقد ومهموك صحة البيان
ويا من فيكم الدهل بمدى
يلج عن أسيد في الآوان
ألا من مبلغ قومي ومن ذا
ولا يبرحو انكسارك من اللان

...

(١) أدباء السجون : ٢٥٠ (٢) المصدر السابق : ٢٥٠

فليت القاص الأدم قد وخذت بنا

بواد يمان نبت السدر صندرة

كما يحق لدراج الضيائي ، أن ينفذ بغراب الين ، الذي يسعه صورته المشعوم ،
أن يبيع عن الديار ، أو يرسل ، أو أن يضع ، فيطير للغراب . ولكن ثمة فائدة هنا
الطيران الذي للغرب المسجون . فهو يبيك ، إذ ليست ليلته برحمت ، فليبك
ما شاء له البكا ، وليبلغ السامع تحياته لبني عمرو . قال (١) :

ألا يا غراب الدين اسمعت فأرجع
أفأها رشاشي للمين من كل مدمع
فقطار بتحقيق ، وجدت بهوق
عبر تحجمات ، فابك شجوك أودع

لماذا أم سرباج غدت في ظمائن
فبلغ بني عمرو سلاهما وزحمة
حياس نجدا فاضت الدين تدمع
بآيات شدائي إذا الخيل تتدمع

ومن سجن المدينة ، تطاقى شعار خاني الرجعي ، حين يدعو الهوى والشوق ،
وتهدل في سجد حافية طروب ، تجاوبها أصوات اللوق الطلم ، ففرق كل شيء لعمري .

فكيف لا يشوقه هذا الخديل ، وهو سجن غريب ؟ قال (٢) :

دعك الهوى والشوق لما ترتعت
هتوفي الضحى بين الذنوب طروب
تجاربها ورق الحمام لسنونها
فككل لسكل مسند ونجيب
ومن يلك أمسى في المدينة وحله
فاني وقبار بها لغريب

(١) أدباء السجون : ٩٧ (٢) طيفه والخي : موضحان .
(٣) أدباء السجون : ٩٧ (٤) يقال : اسم جميل لليلع .

وبمجيء الإسلام، وانتشار المسلمين الفاتحين في الأمصار، أبان الفتح الإسلامية،
زخرف الشعر العربي، بحسن هؤلاء الفاتحين الفائقين — الذين حملوه معهم، أجل مبدأ،
وأعظم فائدة — إلى أوطانهم، التي لم يسوها، بل أن الحنين إليها، كان يأخذهم،
فيطردونه حيناً، وليستروه حيناً آخر.

فهذا كثير من الغيرة النشيلة، يدفع لدبارة بالسبق، ويذكر أنه جزع بسبب
الحنين، وإلى من؟ إلى البريق العجاني، وإلى أناس يفتخرون لزوياد، ويشقاق لزويام،
وإلى ديار عاش في رحابها سنين طويلة، ولكنهم لن يراهم، وأنهم لن يرووه. أنها
قوة النساء عند الإبلان! قال (١):

منق من السحاب إذا استقلت مصارع فتية بالجوزجان (٢)

إلى القوم من من رحلت طرباً أنظم ذلك الأملجان (٣)

وما بي أن أكون جزعاً، ألا حنين القلب للبرق الساني

ومجرب برزيتنا يرجى اللقاء ولن أراه ولن يراي

وشاعر آخر من هؤلاء الفاتحين، يدل مرو الشاعران، فيفسر بأن الغيرة المعنى،
فيديو فريدة إلى من، التي حال إليها أحداث الدهر وخطوبه، أن تأتبه ليغار حسداً
الملك — وماذا؟ لأنهم كانوا غريبان في هذا المكان، وكل يظلمه الشوق والحنين.
تألف (٤):

أقرية الوادي التي خان الفها من الدهر أحداث أنت وخطوب

(١) الأغانى: ١١/٢٦٠.

(٢) الجوزجان: كثرة واسعة من كثرة بلغ بحر اسنان.

(٣) القصص: هنا: مدينة السويحان بكركان، كانت آنس القصرين. وخطوب

هنا: من نوى بلح. ورسالتها: من اسرارها. والبرق: يربط الشبح بين

حاليين وأماه.

(٤) معجم البلدان: ٥/١١٤.

سمالى أطار حاك البكاء فأننا كلانا بمر الشاهجان غريب

ومرو الشاهجان — أيضاً — يقول شاعر آخر، أنه قد أنف على بر العراق،
وأن فؤاده أصبح حزيناً معطلاً، وأنه لمدور على هذا الاعتلال والألم، لأنه فارق
الأرض التي يحبها، وعاش فيها قال (١):

وأرى عمرو الشاهجان تنسكركت أرض تنائم ملجبا للذور (٢)

أسنى على كبر العراق ومجره أن الذواد يمشوه ممدور

ففى حنين البيت، نلمح سبباً من أسباب الحنين، ألا وهو البينة البعيدة، على
هؤلاء الفاتحين، فغير يذكر أن البينة، قد تنكزت بتتابع فليجها، وهذا ما لم يمتدح

هناك — غريباً، لذلك يشغل الحنين به إلى وطنه، فيطحن طيله معجدة من لثامه.

فلهلية، التي عاشها، حين يقول: أن الدنيا لا تساوى شيئاً، إلا لم تمتنع فيها بزيارة
حبيب، وإذا لم يطرب إليك حبيب (٣). قال (٤):

أمفتوباً أصبحت في دلمهم موزة ألا كل كهي هناك غريب (٥)

إذا راح ركب مصعدون فتلبه مع الصمدين الراحين جنب

وأن القلب الفرد من أمين العسى إلى وأن لم آتو لعيب

ولا خير في الدنيا إذا لم تمرز بهسا حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

(١) معجم البلدان: ٥/١١٤.

(٢) فروع: أشهر مدن خراسان.

(٣) معجم البلدان: ٣/١٧-١٨، وشعر الفتح الإسلامية: ٢٥٥.

(٤) راجع بالقرينة: الراد والقصود. وهو من: أحد الأكلسة. وهي

مدينة مشهورة بمزاجي خلق وشبان.

ويروج الحسين الصادق ، ويشرح ويحلل ، في أية قصيدة يمكن أن تطالعها ، في هذا الموضوع ، حتى أن الأستاذ التهان عبد المتعال الشافعي يقول : أن بعض الفاضل ، قد استبدل المصطلح الطلي ، بمصطلح الحسين إلى الوطن (١) ويستعمل على ذلك ما يلي أحد الفاضل ، يقول فيها (٢) :

خليلي هل بالشام عين حزينة تبكي على مجدٍ لعل أعيانها
وهل ياتع نفساً بنفس أو أسمى إليها فأخلاها بملك حينها
وأسلمها الباكون إلا حمالة مارة قد بان عنها قربانها
تألمها الشرى على خزانة يابسة يابستها من الأرض لينها

نشرت بين مؤسسين عالم أدبي من سهيل نظرة امتعتها
في نفس شواصحة فتيحة فتيحة شوقاً لبدايتها

خليلي هل بالشام عين حزينة تبكي على نجلٍ لعل أعيانها
ثم تسأل الأستاذ الشافعي قائلاً : (فهل هناك فرق بين هذه الأبيات ، وأية
مشقة ظلية ؟ وهل هناك فرق بينها وبين ما نراه عند العذريين من آلام الشوق
والفراق (٣) ونحن نرى ، أن هذه العطوف الصادقة ، ليست بكثرة على هؤلاء
الذين ، الذين حنوا إلى الإسلام إلى العالم ، ذلك الذين ، الذين سبل سبل الوطن
هم لا يجرأ من الإيمان .

وهناك مجموعة أخرى من الأبيات ، من هذا الباب ، تظهر مدى تعلق العربي
بمناظر بيته ، حين مخاطب النخلة ويخني لها أسلي الأمان من سنى الشواص
ومعاودة الجاني لها . - فحين إلى الوطن ، يتخذ ثوب الشوق إلى كل ما يذكر
بذلك الوطن . قال الشاعر (٤) :

ألا يا أسامي يا نخلة بين برية يجاورك الجبل ذو ناك والزلزل

(١) ينظر شعر الفتح الإسلامية : ٢٥٧ .

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها (٣) نفسه : ٢٥٨ .

(٤) شعر الفتح الإسلامية : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

وقال آخر (١) :

ألا يا أسامي يا نخلة بين برية يجاورك الجبل ذو ناك والزلزل

وأخر يقول (٢) :

ألا يا نخلة الجرعاء يا جرة المدا سعتك النواصي والنور الهواطل

والاعور بن قطبة قال (٣) :

ألا يا نخلة لربك لانت لانت فالضري ولا زال في أكناف جرعائك النخل

وخلف بن مالك التميمي يقول (٤) :

أيا نخلة دون السديب بلمعة سقيت النواصي المدججيات من النخل

فمن النخل السديب بلمعة سقيت النواصي المدججيات من النخل

كانت متحدة الأفراس ، ولأن الصاعو الجاهلي كان يلتمس بالافتتاحية الضلية ، في

غالب الأبيات . ونحن لا نستطيع أن نوافق الأستاذ الفاضل حين يقول ، أنه

لا يعرف لهذا الشعر شيئاً يقاوم في الشعر الجاهلي . ونحن نستطيع أن نستطيع

أنحاء مجليات أكثر من القصائد الجاهلية ، أن تلك القصائد كانت تزخر من حين لآخر

بالحسين إلى الوطن ، قصيراً أو طويلاً ، لكنها على كل حال ، كانت تسير في خط

معين ، يتجلى عن هذه الشبهة المتوقفة في شعر الحسين الإسلامي . وضع ذلك فقد سبق

أن لمناشداً فهو هجة من الحسين إلى الوطن في الشعر الجاهلي ، نستطيع أن ندرك

عليها بقتل مرت ، وفي مطلع القصيدة التي ستعرض لها فيما بعد :

كان لم يكن بين العجور إلى الصفا انيس ولم يسر بشك حاسر

ففي هذه القصيدة حين واضح وقوى ، ونحن نؤمن أن الحسين

إلى الوطن ، مشرب بالدماء ، لا يستطيع الإنسان أن يتصل منه ، حتى ولو أكرم

على ذلك .

(١) شعر الفتح الإسلامية : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

ولكن بأطراف السمنية نسوة عزيز عليهن العشي ما بيا
أقول لأصحابي : أروني في لاني يترى يعني أن مهمل بداليا
فيا راكبا أما عرضت قبلت ندامي من نجران أن لا تلتاحيا
وبلغ أخى صمران يردى ومثزوى وبلغ عجزى اليوم أن لا تلتاحيا
وبلغ كثيرا وابن عني وخاليا
متهود أكبادا وبكي بواكيا
به من عيون الوضات مرأيا
بكني وفديين الطبيب انداريا
وباكية أخرى تهيج البواكيا
وما كان عهد ارم على من وأهله ذميا ، ولا بالرميل ودعت قاليا

أرايت إذن ، ماذا يفعل الضيق والشوق ، في النفس الإنسانية ، في لحظات
أخرجت الإنسان في حياته : ألا وهي لحظة الموت !

ويبدو ، قبل أن أقول : بعد ذلك الذي ، بيا ، أن الشاعر البدوي - على
الرغم من بساطة الحياة التي كان يعيشها ، في الجاهلية ، أو الإسلام - كان متربطاً
بفكرة وأوطانه ، ارتباطاً وثيقاً ، ليس له منه فكاك . وإن حتى في هذه الديار
والأوطان - إذا ما ابتعد عنها لحيى سيب من الأسياب - حقيقياً صادقاً ، بالتحقيق
عن عاطفة قوية ، وحب عظيم إليها ١٩٩ م
أما نحن ، فهذا ما نراه .

وماك بن الرب السيمي ، يخرج غارياً في جيش سميد بن عثمان بن عثمان
ويكون في حاله تذكرنا بحالة امرئ القيس ، حين واقفه مدينة في غربته ، وكلاهما
يشكو من الغربة والبعاد ، ويشعر بالشوق والحزن إلى دياره وأوطانه . عرض
مالك ، أو لدغ ، وحمل ينشد أنفاسه الأخيرة ، ولا يعني شيئاً في تلك اللحظة
الحرية ، إلا أن تروق بلاده ، ويغام فيها ليرة . ينشد أنفاسه وحر يتذكر أهله
ومشيرته ، وينظر إلى نفسه غريباً وحيداً فيسيكها ، ويحن إلى أولئك الذين كانوا
يشفقون عليه ويمكثونه . على حين أصبح اليوم يتلفت حواله ، فلا يجد من يسيكه غير
السيف ، والفرخ الرديني ، وغير حصانه الخنزير ، الذي لم يعد يجد له من يحرر عنه
لحظه . أو قريب : لا يجد من يلبس إليه ، فيستقر القنسي والديسان . وليس
السلوان عند نساها بأطراف السمنية ، التواني يترى عليهم أن يكون غريباً . ووثاق
منه لم يولد للنسوة ، بل واقفوه جهماً ، بيعت إليهم بدية ومثزوى ، وبهدت سلاماً
حلياً ، من قلبه . لا بين صده وخائه ، ويودد كره أخرى إلى النسوة ، فيخال
أنهم لو رأيتهم ليكن عليه . إن الدروع لتدفع إلى الذين ، حين يتطالع الصورة
الحزينة الكئيبة ، لأده وابنتها ، ووثاقه . حياكية الأخرى - ولها باذوينة -

التي تهيج البواكي . وأنه يتلف لوفية سيل ، والذي يلوح من وطنه ، والذي طال
ما طامته وهو في أسفان أحبابه وخلاته ، وبين قومه ، وعلى برى وطنه . قال (١) :

الآن شمري هل أبيت ليها بجنب النضار جي القلاص النو احييا

فلست النضال لم يقطع الدرب وعرضه وليست النضال ما شئ الركاب لياليا
لقد كان في أهل النضال ودنا النضال مناره ولكن النضال ليس دانيا

تذكرت من يبيكي على خم جند سوي السيف والريح الرديني ما كيا
وأشقر خنزيرد يحرق عنه إلى الماء لم يترك له الدهر مساقيا (٢)

(١) جيزة أشقر الدرب لأبي ذؤيب

(٢) الخنزير : الجواهركم الآخر

وكنّا ولاية البيت من بعد نابت
فإن تنفني الدنيا علينا بحالها
نطوف بباب البيت والخير ظاهر
فإن لها حالاً وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدر
كذلك يا لئس تجري القادراً
أقول إذا نام الخلق ولم أتم
إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها أوجهها أحبها
قبائل منها حسير وبجائر
وصرنا أحاديثاً وكنّا بغيطة
بذلك عضتنا السنون الخواير
فساحت دموع العين تبكي لبلد
بها حرم أمن وفيها المشاعر

أنها المروعة الخفة، والحزين الصادق، على الأيام السالفة. يوم كان الشاعر وقوفه
سادة الموقف في وطنهم، يأمرؤن ولا يؤمرؤن، يطاعون ولا يطيعون، يهابون
ولا يهابون. والدم يملأ الحنين، والدمعة الذكري فيزداد بكاء منها.

وبهاجر المنصورين - في ميل الله - إلى المدينة، وهم ينتفون أجل عبيدة،
وأعظم رسالة. ومع ذلك، فإن حب الوطن يسقط على مشاعرهم وتبقى قلوبهم
حالة به.

فهذا بلال الحبشي يغلب الحنين والشرق إلى مكة، فينتهي لوقدر له أن يبيت فيها
ليلة واحدة، وتخلو نفسه بمنظر نباتها الأخضر، ويشرب من مائها، ويبدو ليعينه
مناظر جبالها. يقول (١):

ألا ليت شري هل أبيت ليلة
بفج وحولي أذكر وجليل
وهل أردن يوماً مياه عبيدة
وهل يدون لي شامة وطفيل

(١) معجم البلدان: ١٨٢/٥.

الفصل الثاني

ب - الحنين إلى الوطن في شعر الحضر

وكما كان البدوي شديد الحنين إلى وطنه - وهو كثير النقل والترحال من مكان
لآخر - فقد كان الحضرى - وهو الأولى بذلك، في حبه لوطنه، وشوقه إليه،
وولعه الشديد في العودة إلى ربه - إذا ما ابتعد عنه، وذلك لأسباب عديدة
لا ينبغي منها: الإقامة السائرة المستمرة في هذا الوطن والذكريات الجميلة، التي ما
تنتك عن الإنسان فيه، من المولد إلى الموت.

وقد وصلنا - من العصر الجاهلي - من شعر الحنين إلى الوطن، ما نجد فيه
هذا. ففي القصيدة التالية، نلح حنيناً واضحاً قوياً، وحنناً شديداً وذلك حينما
تسكن الشاعر عن وطنه مكة، وقد أخرج من مخرجاً، في وطنه. وقد كان يحش
فيها، حياة كلها راحة ورقابية، إلى أن جاءه شهر منه بالرحيل والبعاد. فسمعت
دموع عينه، من شدة الشوق والحنين إلى ذلك الوطن العزيز، وعلى ما أصابه من
يد الله، ونوائبه التي لا تحصى. قال عمرو بن الحارث بن عمرو بن شافع
الأصفر (١):

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة ساعر (٢)
ولم يتربع واسطاً فجنوبه
إلى السر من وادي الأراكه حاضر
إلى، نحن كنا أهكها فأبادنا
صروف الليالي والجدود السوائر
وأبدلنا ربي بها داراً شربة
بها الطوح ياد والعبد الماصر

(١) معجم البلدان ١٨٦/٥. ومروج الذهب: ٢/٥. مع اختلاف في الرواية.

(٢) الحجون: جبل بأهل مكة.

وابن مكرم، بنبله الحنين وهو آخذ بنبله ناقة رسول الله - ﷺ -
 الحيرة، فيذكر وطنه مكة، وأهله فيه، يذكر الأرض التي شرب فيها، ويذكر
 يرفها من الشربة، ولا يحتاج إلى ما ذكره من قبل، إذا ما أراد أن يفيها، قال (١) :

يا حبينا مكة من وادي أرض بها أهني وعزادي
 أرض بها ترسخ أوتادي أرض بها أمشي بلا هادي

ويحس أميين أبي عائد... وهو في عصر عبد العزيز بن مروان - إلى وطنه
 مكة، وإلى أهله فيها، فينظم أبياتاً، يصور شوقه، ويسأل أهله عن وقت رجوعه
 ويصور في هذه الأبيات - أيضاً - الضمير التي تبارى السرى، - على حد
 قصيره - التي كثيراً ما أرادت الواح، فكأنها تضاركة الشوق والحنين إلى وطنها
 قال (٢) :

منى وأكب من أصل مصور وأما
 بلى أنما قد تقطع الطرق مصور

منى ما تغيرها يابن مروان تعرف بلاد سايحي وهي خرصاء ظلم
 وبانت تؤم الدار من كل جانب لتخرج واستدت عليها للصارح
 فلما رأت أن لا خروج وإنما لها من هواها ما تيجن الأصالح
 تطلعت بمجدول سطر فظالمات وماذا من اللوح الجاني تطالع
 فلا غرو بعد ذلك، أن يقول له عبد العزيز بن مروان، اشتقت والله إلى أطال

(١) مسند عبد العزيز بن مروان : ١٨٧/٥ - (٢) الأغانى : ١٢٥/٢٣
 (٣) الخرق : الأرض الواسعة : والوازع : من جري زرع : أي شديداً ،
 وزرع الإبل : حثا : والمسنون : من حثف الرجل : سأل بالليل خط مشواه ،
 (٤) خبره : عرقته ، وأرض مخصوصة التي بها خصوص الأرضى والآلاء .

يا أمية أقال : نعم والله أيما الأمير . فوصله وأذن له ، على حد تعبير أبي الفرج
 الأصفهاني (١) :

وقيل لبني (٢) شاعر عاشق . والماعن دافع الحنين ، موصول الشوق ، يذكر
 حبيته وديارها كل حين . فيسأل في قصيدة له : هل ستعود أيامه المسافات ، حين
 كان مع حبيته لبني بني الداح . يمشان عيشة الماشقين ، داعياً إلى الدار التي بها
 حبيته ، بأن يستقيا الحيا ، وأن يستمر فيها الحب والنقاء . قال (٣) :

أربعة بما لبني أيامنا الألى بنى الطلح أم لا ما لم يدر
 منى طلل الدار التي أنتم بها حيا ثم ويل صيف وروبع

وعند ابن بشار الخمرى (٤) ، تلح صدق العاطفة ، وحرارة الشوق والحنين
 إلى الوطن حين يلح البرق ، ويضي الناصر . أن يصرخ إلى أبيه ، لأنه ذكره
 بمنزله ودياره ، وديار حبيته التي أفرقت ، وما جئت ذكرياته ، فلم يملك دموعه .
 فيكي على الطلل القفر ، وقال لصاحبه : أن عزج ذليلا ، لينذاكرا شوقها ، ويعيدا
 إلى ذهنيها أيام اجتماع الشمل الذي تبدد ، حتى كاد الحب أن يتصر انتصاراً . قال
 له صاحبه : أن البقي قد سار وأنه لن يفترقها شيئاً ، فأنصبر في هذه الدار ووقوفها
 على هذه الأطلال ، فلم يسمع الشاعر منه ، لأنه صعب ، لا يستطيع إلى هذا الذي
 دناه صديقه إليه . قال (٥) :

سما برق ألمانة فاستطارا لعل البرق ذاك يحور نارا
 قعدت لها المشاء فهاج شوقي وذكري المنازل والديارا
 دياراً للجنانة مقترات بلبن وهجن للقلب اذكارا (٦)

(١) الأغانى : ١٢٥/٢٣ - (٢) توفى في زمن معاوية .
 (٣) تيسر لبني شاعر ودراسة للدكتور حسين نصار : ١١٣ -
 (٤) ذو الطلح : موضع
 (٥) سما برق ألمانة : ٨٨ - ٩٠
 (٦) سما برق ألمانة : ارتفع عن ناحتها ، يحور : يرتفع .
 (٧) ألمانة : النكار .

فلم أملك دموع العين من
فَسِرُّ فالفري من صَهْر تاج
فقلت لصاحبي عرج قليلاً
بأية ما غدر وم جرسع
فقال بكوا الفديك منذ حين
بدجلة فاستمر بين سفين
كأن لم أغر في ابرصات منها
ولم أسمع غفلة من خليل
ولم أسمع غفلة من خليل

وفي سجن سجستان ، يتذكر ابن مفرغ دار سلبى وأطلالها . ويسألها على بعد المسافة ، كيف يستطيع أن ينال : وقد كبلته الأغلال ! فهو أسيرها . وأين منه السلام ، وهو ناء منها ! فلترجع له الحياة . أن كان في امكانها وجرحاً . وأن من الطمان والحياد والسرلان ! وأن من سجنه والمطاي التي يسرها لارتحالها . لقد ذهب كل شيء . وهدم الدهر عروشهم . وأبلى وطنهم . وكل الدنيا وكل النعم مستنفذ يوماً وتبقى

- (١) سرق . إحدى كور الالهوان ، وصهر تاج ودير الراهب . أما كن قرية منها
- (٢) درس الزوم . عفا . البوار . ما بار من الأومر .
- (٣) الحج النزار : أعالي الموج .
- (٤) أذعر : أخفاف . القاع : أرض سهلة مطشنة . العوار : القطيع من البقر .
- (٥) الفرطى . ليس خلع . النذار : من خلع عذاره وورسته . أنا غدا على الناس بشر .

الموت مصر كل حي ، ولو كان الحي ما يكا . أنها محاولة للناسي ، بطلاق الشاشر بها ، وهو من سجن سجستان في سنة ١٠١٢ : قال (١) :

دار سلبى بالحب ذى الأطلال
أين منى السلام من بعد نأى
أين منى نجائي وجيادى
أين لا أين جتى وسلاحى
هدم الدهر عرشنا فتداعى
إذ دعانا زواله فأجبتنا
تدعينا سلبى بالحب ذى الأطلال

وفي إحدى قصائد عبيد الله بن قيس الرقيات (٢) ، نالح الحب الصادق للوطن ، وألم القربة الرهيب ، الذى سيطر عليه ، حتى راح يبحث همومه بلوعة وحزن . فسيطر ذكر يانه . حين كان يقف حول ابن شائسة قومه بأرضهم ، والمثوك قد أفردوا الشاعر . حتى لعبت به ظروف الأيام والليالي . فيسأل الطويل في الساطرون وجوران عنهم . فلا يجيبه . فيبكي ويتذكر معشره ، حين كانوا أماناً كافى سائب الزمان . قال (٣) :

- (١) شعر ابن مفرغ : ١٢٤ - ١٢٥ .
- (٢) الحب : موضع :
- (٣) نجائي : جمع نجيب ونجيدة ، الشاة الكريمة .
- (٤) جتى : كل ما وقاك ، والجنان والجنانة والجن والجنه : الذين هم
- (٥) الاقبال : جمع قبل ، وهو الملك ، أو من هو دون الملك الأعلى .
- (٦) توفي عام ٧٥ هـ تقريباً .
- (٧) ديار ابن عبيد الله بن قيس الرقيات : ١١٣ - ١١٤ .

لم يكلم من خشية الدين ذا الألبه وضغى الدموع منها الحمار (١)
غير أني سمعت سجين اقصر منها قولهم : شط بالحييب للزار (٢)

ولابي فطيفة اشعار شاعده بجذبه الى وطنه ، وهو يقول (٣) :

بكي هـ أحد ، لما تحمل أهله «فسلع» قدار المال أمست تصدع
وبالتسام لآخراني وجل عشيرتي فقد جعلت نفسي إليهم تطامع

ويقول - أيضاً - شاعراً عوداً الى الدار ، وإلى التصور الشيعه ، التي بها
الاعظام ، والتي ينادي سلامه وتحياته ، بعد طول الفراق والبعاد . قال (٤) :

ليت شمري وأين مني ليت أعلى السهر يلعب فيبرام ؟
أم كمهدى المتيق أم غيرته بعدى الحادثات والآيام ؟

وبأعلى بدلت عكك ولحنا وجذامنا وأين مني جذام (٥)

وتبدلت من صاكن قومي والتصور التي بها الآيام

كل عصر مسيل كى أولس يتغنى على ذوله الحسب

أقر منى السلام ان جئت قومي وتيل لهم لدى السلام

وزيد الزهير بن بكار ، على هذه الآيات ، آياتاً أخرى ، تظهر اكتاب هذا
الشاعر على نظم الأمل بالفرج والفرج ، حينئذ إلى أهله ووطنه ، وخشية أن يصلهم
الحر بسلامه (٦) :

(١) الخار : التناوب الذي ينطلي الوجه - (٢) شط : يسد .

(٣) الأغانى : ٣٨/١ .

(٤) لك المصدر السابق : ٢٩/١ .

(٥) عليك ولحم وجذام : أسماء قبائل عربية .

(٦) خاف : ٣٨/١ وبأبعدها .

واغترابي عن عامر بن لوى يسلد كثيرة الأفعال (١)

كل يوم ألى ابن شائبة لبس عن الشر ما استطاع بألى (٢)

حواله فوشة وشمري بأرض حرم دونهم حينئذ السيل

وملوك فارقهم أفرودنى وضروف الأيام بي واللائالى

أفقلت منهم الفراديس فالغو طلة ذات الثرى وذلت الظلال (٣)

ففسير فالظالروك فخوران قفار بابس الأطلال (٤)

لم تجبني منها الطائر ولم أملك مدوحاً فسيل كالأوشال (٥)

وتذكرت مشرى وهم كانوا ملوكا في سالف الأحوال

وحين يجتال الشاعر التناظر في حوران مقرباً ، يسمع الذممة اللاني يحشون من
تلكيه . وقد أخف دموعه الواق ، وهن يهسن فيا بين (شط بالحييب
الزار) . فهو يذكرهن حين استقلوا من فلسطين ، وغادوها مهاجرين عنها . قال (٦) :

أن عهدى بهم غداة استقلوا من فلسطين وقدرج عرنا

واستجارت على التناظر من حور ران حقه فواعم أبكار (٧)

(١) الأفعال : الأفعال . (٢) شط : يسد . (٣) شط : يسد .

(٤) الفراديس : الدنانير . والفراديس : موضع بالشام جمع فردوس .

الذممة : موضع .

(٥) شمر والظالرون وهوران : كلها أسماء . بابس : جمع بابس وهو القبر .

(٦) الأوشال : مياه تسيل من أعراف الجبال .

(٧) الديوان : ١١١ .

(٨) الدين : بقرة الوشر .

انقطع الليل كله باكتاب وزفير فا أكد أنام
نحو قومي إذ فرقت بيننا الدار وحادث عن قصدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عنت الدهر وحرب يشيب منها الغلام
لقد كان أن يكون لهذا من عنت تباعد وانصرام
وله - أيضاً - تساؤل عن الدار، هل غيرتها ثوب الأحداث؟ وهل سبها
مرة أخرى؟ لأنه في غربته، كلما لمح سحابة وبرقا، دعاه شوقه إلى الدار والأوطان.
قال (١)؛

الآيت شعري هل تغير بعدنا

جيب المصل أم كمهدى القرائن (٢)
وهل أشرعت البلاء عزائم من الحي أم هل بالمدينة ساكن (٣)
إذا برقت نحو الحجاز صحابة دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أتركها رغبة عن بلادها ولكنه ما قدر الله كأن
ويمن أبو قطيفة إلى بلاده، وقد طرد عنها، ونفى إلى الشام. وكان ابن الزبير
هو الذي نفاه. فلم يخرج من دياره رغبة منه، وإنما كان مرغما على ذلك. لذلك
فهرى من إلى دياره، وإلى أحبابه. قال (٤)؛

ولما أخرجتنا رغبة عن بلادنا ولكنه ما قدر الله كأن
أحن إلى تلك الوجود صباية كآني أسير في السلاسل رامن

(١) الشعر السابق : ٤١/١ .

(٢) جيب المصل : الحجازة والأرض الصلبة .

(٣) أدوية جمع دار . (٤) الإعراب : ١/١٧٠ .

ونصيب بن رباح (١) ، شاعر يمتاز شعره بالدعوة والسلاسة ، والرفقة ، ويمتاز
بشكله من رسم الصور الفنية ، التي يريدونها ، حتى إلى وطنه الذي ابتعد عنه ، وهو
رفيق في حنينه . رفته في شعره .
أنه يطلب من رفيقه أن يقف ، لأنه استغرب لجمال الدار ، إذ ليست كما عهدا
في ليالي وصله مع ليل ، حين كان أهل ليلى يقطنونها . لقد دخلوا عنها ، وباتت الدار
لأنتين لسانها جواباً . وظل أصحابه واقفين . وظل دمه يجري على خديه ،
تجود به جفونه . حتى إذا بدا له اليأس منها ، برحها . ولم يستطع الناس أن يلوموه
فيها . لأنه إنما نحن إلى الوطن ، حنينه إلى حبيبته ليلى ، حين كانت ساكنة فيه . قال (٢) ؛
فما أخرى أن الدار ليست كما كانت بعهد كما تكون
ليلى تملان وآل ليلى قطين الدار فاجتمل القطين (٣)
فوجا فانظروا أتبعين حما سألناها به أم لا تبين (٤)
فظلا واقفين وظل دمي على خدي تجود به الجنون
فلولا إذ رأيت اليأس منها بدا أن كدت ترشقك الميرون (٥)
برحت فلم يملك الناس فيها ولم تغلق كما غلق الرهين (٦)
ويمن عبد الله بن الزبير ، هو وقطيفة . إذ هيبت القلوص طرده وصبايته .
لقد نزع عن داره ، فذكرها . وبعد عن أحبابه ، فعاتب به الذكريات إليهم .
وكانت تلك الرغبة شدة . لكنه حم أن يسير أمامه . قال (٧) ؛

(١) توفي عام ١٠٨ هـ تقريبا . (٢) شعر نصيب : ١٢٥ .

(٣) القطين : سكان الدار . (٤) تبين : تفصح .

(٥) ترشقك الميرون : تحد النظر إليك ، كأنها ترميك بالسهم .

(٦) لم تغلق كما غلق الرهين : لم تصبح ملكا لها ، لسجرك عن فكاك نفسك .

(٧) الأغانى : ٢١٦/١٤ .

حيث من أمة الرهاب منزلنا إذا حلانا بسيف البحر من عدن
 وحل أهلك أجياداً فليس لنا إلا التذكر ، أو سخط من الحزن
 لا دارك دارنا يا وهب أن نرحمت نوالك عنا ، ولا أوطانكم وطني
 فليست أملك إلا أن أقول إذا ذكرت : لا يبعدك الله يا سكتي
 والطراح (١) يطرب ويشوقه للبرق الجاني . لأن هذا البرق يبعث من نحو أحيائه ،
 الذين هم يصعدون عنه . وأنه لريق ، سرعان ما يبتكر أحواله ، حين يرفى الثريا ،
 التي طال ما كان يراها في ليل الحجاز ، هذه الثريا تحزنه ، لأنها تذكره بوطنه ، وهو
 يسكنه ، غريب عن دياره . قال (٢) :

طربت وشافني للبرق أتماني يبعث الريح فتح الثائران (٣)
 أضواء البرق يبعث بين سلمى وبين الحبيب من جبل أمان
 أضواء البرق بت نسيم وهذا لقد دانبت ويحك غير داني
 ألم تر أن عرفات الثريا يبعث لي بقزوين الحزاني

والأنصوص (٤) ، يكون في عمان ، ويطرب إلى أهل ساج . ويذكر أن هذا الثور
 ليس بالثريا له . أنه معنى حال دارده الشراء قبله ، ثم يخاطب صاحبه ، هل أحزنه
 الراح المريضة ، والبرق ؟ فإن غريب الزمان ، تشوقه البرق ، وأنه حين يتطلع
 إلى ديارهم ، لا يستطيع نظره أن يراها . فيضئ ، وقد أربى به اليأس . فليفت
 عداها ، وفضحة نظره . ثم يحث أربابه بتساؤله عن المراء . كيف استيقظ
 وعسلته وبكائه ، إلى من يبعث عن الدار باختياره . قال (٥) :

- (١) توفي عام ١٠٥ هـ تقريباً . (٢) ديوان الطرماح : حكيم : ١٠٧ .
 (٣) النج : المطرب يصعد من الطريق إلى واسع بين جبلين ، وفيه الشافران ، موضح .
 (٤) توفي عام ١٠٥ هـ تقريباً .
 (٥) شعر الأحرار من الإصاوي : ١٤٥ - ١٤٦ .

سنت فلوصي وهذا يمد هداها فوجيت مغرماً صدياً على الطرب (١)
 حنت إلى خير من حنت الطلى له كاليد بين أبي سفيان والعتب
 تذكرت بقرى البقاء ثالثه لقد تذكرته من نازح عريب (٢)
 والله ما كان بي لولا زيارته وأن الأني أبا حسان من أرب
 حنت لترجعتي خاني فقلت لها هذا أملك فأتية فتي الدرب
 لا يحسب الشر جاراً لا يفارقه ولا يمانع عند الحلم بالخصب
 وطير الراعي القوي (٣) ، بالقوية ، حين يجاور حراً ومالكا . فيشيط طيرهم تمام
 خطراً ، لأنهم كرام ، ينفون عن بيت التريب الجاور . قال (٤) :

إذا انساخت النهر الحرام فودعي بلاد تميم وانظري أرض عامر
 واتني على الحين عمرو ومالك ثناء يوافيهم بنجر وتمر

كرام إذا تلقام عن جنابة أعفاه عن بيت التريب الجاور (٥)
 وعمر بن ربيعة (٦) ، يبالغ به اليأس منتهاه ، وهو بعيد عن وطنه . حين يظن أنه
 لن يفي بداره من مرة أخرى . فلا دار أحيائه دأبه . ولا موطنهم موطنه .
 ولا يملك من حقوق ، ومن مقدرة ، على حكم الناس ، إلا أن يرسل صرخته ،
 تمثال أبعد ما يصل إليه لسان يحن إلى وطنه ، حين يقول : لا يبعدك
 الله يا سكتي . قال (٧) :

- (١) ترمي من الأبل ، الضاية ، والرحمن : نحو من تصف الليل . والنداء
 والنداء : السكون .
 (٢) البقاء : كورة من أعمال الشام . ونازح وعرب : بعيد .
 (٣) توفي عام ٩٠ هـ تقريباً . (٤) شعر الراعي القوي وأخباره : ٨٨ .
 (٥) قوله ، عن جنابه : أي يمد عن مرة ويعد .
 (٦) توفي عام ١٠٥ هـ تقريباً . (٧) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣١٩ .

يقضي إلى أن ليالي هذه النار ، بطاخ ومدى سلم ، لن تدود ، وإن آياها فيها قد ذهبت إلى غير وجهه قال (١) :

يا موقد النار بالماء من اضم .

يا موقد النار أوقدها فإن لها

ناراً أحياء منهاها إذا كُتِبَ لنا

ولا نحمي لا مني فيها قفلت له

فما طربت اشجور كنت نائمة

ليست لي إليك في خلاج بجانتي

وسعد بن عبد الرحمن ، يرى الخيام ، ويسمع ترجمه ، فيحتاج طرباً وشوقاً إلى الحماة ، لأن حبيبه خذاك ، وأنه ليقدر أنها خرجت تودعه ، وقد غفل دعم

كسلها . ثم تمت أن يقيم بحورها ، وتساءلت طويلاً . كيف يطيق الحبيب قرأتها عن وطنه . إن الخيام لم يبع له طرباً ، وكذلك البرق . لأنه تهمس كل هذا لها ، من أجل حبيبه ، قال (٢) :

علاوية أمست ودوني وصاليها

مضمار مصر ، وطابت والقلم

خوذ تطيف بها نواعم كالدمى

نما اصطفى ذو الذقة المتوسم

حائض مرجان البخور وجوهر

كأجبر فيه على البخور ينظم

(١) شعر الأحموس : ٢٠١ -

(٢) الشعر : شجون المشرق

(٣) الأغانى : ٢٧٢ / ١ - ٢٧٣

(٤) عابد جبل بمصر ، والقلم : بلدة شرقى مصر قرب جبل الطويل

(٥) البنية لاسم الشرق ، أى البنية

(٦) البنية لاسم الشرق ، أى البنية

أقول سمان وهل طربي به

إلى أهل سراج أن تشوقت نافع

أصاح ألم تخزنك ربح مريضه

وبرق تلالا بالحقبة لا مع

فان الغريب الدار مما يشوقه

نسيم الرياح والبروق الدرامع

ومن دون ما أسبو بطر في لا ربح

نظرت على قوت وأولى عشية

بنام نطر من حصن عماري يافع

والعيني أسراب تفيض كأنها

تعل بكحل الصاب منها الدوامع

ولا بصير أحياء بخارج تضمنت

منالهم منها التلح الدوافع

فأبنت كثيراً نظرتي من صباي

وأكثر منها ما تحين الأضالع

وكيف اشتياق المرعى صباي

إلى من نأى عن داره وهو طالع

ونظير الأحموس موقد النار بالسلام . لأن هذا الموقد قد حاج شوقه ، حين

وقب عليه ، فأنشأت عليه الذكريات ، وقد أضاعها سنا النيران ، ويلومه اللاتم

فيقول له ، أن يرتدح عن لومه ، لأن حب هذه الدار ، وذكر ياته فيها قد كثرت

في شدة ، وشدت حسنه عما أطربه . وما تأمله إلا لآله حزين . قد اتناه الشجون . ثم

(١) العيقان : موضع . ربح مريضه : لينة الجرب وقبحة .

(٢) الغريب : البني . وأولى ، أشرف وأرفع . ويراقع : المرقع الغريب .

(٣) أسراب : وأحدها سرب ، الماء السائل المتابع . تعال : الترب تياها .

يريد أنها تكحل مرة بعد أخرى . الصاب : صابرة الحفظل شجر مر .

(٤) خاش : موضع . والتلح : أرض غليظة برقبة . فتردعها قلعة .

والدوافع جمع دفعة . وهي النطحة من مسايل الماء . تدفع ماؤها في تلة أخرى ، إذا

جوى في حليها وحدهور ، فتوى له مواضع تد اهدبط فيها شيئا واستدار .

(٥) أسير : مشوره وأخطاه

سكنت لناقي ليل فهاج بكأؤها فزاد إلى أهل الوردية أصورا^(١)

وحسب حيننا منكرا هيبت به على ذي هوى من شوقه ما تنكرا

فبتنا فمودا بين ملتزم الهوى ونأهى جان الدين أن يتحدرا^(٢)

تروم على نمان في النجر ناقي وان هي حنت كنت بالمشوق اعتبرا^(٣)

إنه حين صادق مؤثر . ومثله تلك الصورة الجميلة التي تحسبها بأحق عواطفنا ،

حينما يلوى ابن أبي الرقراق ، عتيقه إلى دياره ، رجاء أن يرى سهيلا ، ذلك النجم

الذي يطالع أهل - أيضا - والذي كان الفرزدق وصفه ، يستأنسون به ، ويشغلهم

الطين عن أنفسهم ، حتى تلبسهم الحماة ، فتخرج تذكروهم . قال (٤) :

لوى ابن أبي الرقراق عتيقه بعدما دنا من اعلى الجبال وغورا^(٥)

رجا أن يرى ما احله يسروته سهيلا ، فتدوا وراه اجبالا مغورا^(٦)

فكننا نرى النجم المرائع عندنا سهيلا فحالت دونه أرض هيرا

وكنا به مستأنسين كناهه انشأوا خطاط عن خطاط تغيرا^(٧)

يكنى ان تغنت فوق سائر حمامة شامية حاجت له فخذ كرا

ولا يخطى المخطط ، من يرى حين الفرزدق إلى وطنه ، تلك الرابطة القوية بين

حينه وحين ناقيه . فكان الشاعر يريد أن يثبت لنا عن طريق الظرف ، أن حينه

(١) الوردية : موضع . وأصور : أميل .

(٢) أراد بجان الدين : دمها . (٣) تروم : تطوف . نحن إلى وطنها .

(٤) ديوان الفرزدق ١ / ١٩٦ - ١٩٧ .

(٥) ألبلاء : بيت المقدس ، غوى : نزل الغورى .

(٦) أضر : موضع

(٧) الخطاط : الخطاط في الجوار والمارعى .

فالت وماء الدين ينسل كحلها عند الفراق يستهل يستجم

بالت أنك يا سميذ بارضنا نافي الراس نالوكا ونظم

ففسيت لذة عيشنا ورغاه ففكون اجوارا فذاذا فزيم

لا ترجعن إلى الحجاز فانه بللة به عيش الكرم منهم

وهلم جاورنا ، فقلت لها اقصرى عيش بطيبة ويح غيرك أتم

أيقارق الوطن الحبيب لنزل ناله ويشرى بالحديث الأقدم

أن الحمام إلى الحجاز يهيج لي طربا ترنسه إذا يترحم

والبرق حين اميمته متاعنا وحشائب الأرواح حين تقم

لوح ذوقهم على ان لم يكن في اناسي مشبهها لبر المقسم

من اجلها ترك التراز وخفذه وتجشنى ما لم أكن أنبشم

ولم أك من ياتى بالبرق الى الصدر لم يعلم بها متكلم

لا تفس أنا وابعدون شعرا ، مثل هذه الروعة . وتدل هذا الشعور ، بصورة

الحياة القوية ، من اجل حياة أفضل .

ويمن الفرزدق (٨) إلى اجدله ووطنه ، حينما كان يبيت مع صحبه له ، يدور حيان

فيوم أن ناقتة تكي حيننا إلى الوطن ، وسيد خيلنا ، فذكر دياره وأحله ، فيحين

حيننا صادقا ، حتى يضيق السرير ، فكل دموعه . ولديه من ذراعى الخين ، ما

يتوف على ذراعى حين ناقتة . قال (٩) .

وليلة بئنا دبر حسان يبيت هجودا وديكا كالأخيمات مشرا^(١٠)

(١) توفي عام ١١٠ هـ تقريبا .

(٢) الحشرات : القسي .

ويذكر الشاعر في هذا الليل ترى النواظر والجزاى، فيذكر قلبه أن يتبعه
أنه موقف يريده مرارة، وأن اللوام للومته على الصباية والخصين، وعلى تذكره
لخص الصباية، قال (١)

ذكرت نرى نواظر الخزاي فكاد الغلب ينصدع انصدعا
الأم على الصباية والمهاري تمن إفا تذكرت الزوايا (٢)
رأت تنيرى فذكرت منه كدع الفارس البحر الرتاما
كأن الرجل فوق قرا جفول أظام الماتحات له الشرايا (٣)
ويجذب جبر جبل الريان، ويجذب ساكنيه، أيا كان، ويجذب النفعات الخباية،
التي تأتيه مع هذا الجبل، تهب شمالا، فتذكره بالحب، وتنفذه إلى حتى عودة أيامه
في هذا الجبل، عيش به طلالا أجول وما لانا، قال (٤)

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
وجبذا نفعات من يدانق تاتيك من قبل الريان أحيانا
هبت على الأندك ما ذكركم عند الصفاة التي شرقي حوراننا
هل يرجع - وليس الدهر من محمدا - عيش به طلالا أجول وما لانا
ودنو الرمة (٥)، نحن نأقته إلى أبله بالزرق، أو طان أهلها، فيجس بجنتها لأنه نحن
بطلنا قال (٦)

- (١) الديوان : ٢٨٨ - ٢٨٩ .
(٢) الريان : ربع الأمير القرية القصر . والريان : الذي نحن إلى وطنه
(٣) قرا : ظهر . وجفول : أراد السفينة انخرقة . الانحان : الذي يد الشراع
(٤) الديوان : ٤٩٣ .
(٥) توفي عام ١١٧ هـ تقريباً .
(٦) ديوان ذي الرمة : ٧٠٤ .

قوى عفيف، حتى أنه ليبلغ في شدته مبلغاً لا يصلح حين الذوق، وبالنسبة حين نأقته
كان مرتبطاً بالنازل، التي نحن نحو إليها، ونأظر إلى الصورة الزائفة، وشدة الذوق
فيها في قوله : وحين نأقته نأقته الجوراء، وألوه : جنة الحيوان عيشي بالتي
أو القش . ولم نأقته هذا حين يموت فصيل الدابة، ليقر به منها، فقم راحة،
قدو لها . قال (١) :

نحن يزوراء المدينة نأقته حين عجلت تبقي للجوراء (٢)
ويا ليت زوراء المدينة أصبحت بأجفار غلج أليسيه، الكرواظم (٣)
وجزير (٤) يشرب، وكان الحزن يهدهد في شربته، فهو فيها لا يزال ولا يزور،
ويكنيه سنك، ذلك الدراق يهدهد في أهلها، وأحياءه روعته قال (٥) :

كأنني بالمدبر بين زكنا وبين قري أبي صغري أسير
كأنني حزنا فراقهم وإني غريب

ونحن قلوصه به حناها . وبيدهم البرق فطاب منها أن يكون حناها . رويداً
رويداً، لأنه هو - أيضاً - نحن وليس البرق فطاب منها أن يكون (٦)

نحن قلوصه به حناها . وبيدهم البرق فطاب منها أن يكون حناها . رويداً
رويداً، لأنه هو - أيضاً - نحن وليس البرق فطاب منها أن يكون حناها . رويداً

- (١) ديوان : ٣٠٧/٢ .
(٢) الجوراء : موضع عند سوق المدينة عند المسجد . وأجفار غلج وسيف
الكرواظم، موشان .
(٣) توفي عام ١١٤ هـ تقريباً .
(٤) الديوان : ١٧٨ .
(٥) الديوان : ٢٩٠ .

بات يلحاني رفيقي أن رأي سنان الدمع وللدمع سنان
قلت : يا صاح إذا ما لم تُعِن - فدمع اللوم هو لي - فمن
يعتريني من حُبٍّ شوقه - نازح الدار غريباً ذا شجن
فارعوى عن ذلك إذ غلطته للذي ناتي ، وما كان فطن

وهذا الحنين يلزم العرجى في قصائد كثيرة له ، بل وحتى في واقع حياته ، فهو يأتق : لانه مشوق ، ويشم سنا البرق من بعد ، عسى أن تصدقه البرق فما ينفق اللوم ، بانتظار جواها ، وقد اضرت صباية وشوق إلى أوطانه ، حتى يفقد الشعور بما حوله ، فيلهي أصحابه ميكانه ، وأما ناله من الوجد ، فيشبهوا إليه ، ويعذبه أحدهم فيفقدوه العرجى لهذا ، لأن ذلك اللوم ، لم ينفق الحوى ، ولم يجرى بالبرق ، قال (١٠)

أرقت بسلم أن ذا الشوق يأتق لبرق تبتدى آخر الليل يخفق

أشيم سناه من بعيد وربما نضام البروق نمن بعيد قصدى

فأذقت من نوم ، وما زال عاملا إلى الصبح ذاك البارقي الخائى

له تسمى الرء النريب صباية وشوق إلى أوطانه حتى يبرق

فنبئت لما شفى الوجد والبكا أنا للذى قد غاب وهو مطرق

عزوا عن الأهواء لم يحى ليالة لشوق لم يرف إلى الحب مرفق

(١) يلحاني : يلومنى . وسن الدمع : مساره وطرقه .

(٢) الدينان : ٣٠ - ٣١ . سلم : جبل بالمدينة .

(٣) أشيم سناه : انظر قوله أين يشيم . - محل البرق : أشيم غلطته .

(٤) العزوف : المنصرف . ويقال : رفع مرفق اليد إلى جنبه إذا غفل ، وانفصل .

(٥) إذا غاب : غاب . يريد أن ضاحيه غاب لم يشده الحوى .

تلقن إلى الدهنا بجهان ناهى وأين الهوى من صوتها التزم
إلى لابل بالزرق أوطان أهلها يأتون منها كل عاياء معلم
والعرجى (١) من شعرا . الرقة والحوى مثابه في ذلك ، شأن الأحوص ، وتصيب أنه يتنى بما يملك من فن وقصة ، ورفيق عواطف وأحليين ، على شعره ، مسحا من الشاعر التي يحسها دارس ديوانه .

وهو حين يذكر الديار ، يحاول أن يخصصها لرفيق الأحليس ، ورفيق العواطف ، وأنه ليقرب ، بأحاسيد الأصول الأشياء ، ووعيد السكامل للحنين إلى الوطن ، أن وما يهيج ذا الحوى إلا الوطن . فهو يحس بهذه الرابطة الوثيقة ، بين الإنسان ووطنه . يهيج قلبه بعد سكونه ، يهيج لانه لمح البرق يلح لاحتجا من بلاد الحين ، فينبهه الشوق إلى تلك الديار ، لأنها أوطان قلبه ، ولا تتركه في أيدي الحوى والشجن كما ويلحوه رفيقه حين يبكى ، فيطلب من الأحسى أن يكف عنه ، لأنه معنى غريب ، يسكن حيز يذكر أحياءه ودياره . آنذاك ، يفتح صاحبه فيكف ، وكان العرجى قد ذكره بما كان قس . قال (٢) :

هاج قلبي بمد ما كان سكن لبرقي لاح من بحر البين

فاعتراى الشوق لما خلت موهنا ، قد أوج وهنا والجزن

فالحي منه حى العرج إلى أطرب الأحسا إلى القصر قمن

تلك أوطان ليلتي ولنسما ما يهيج ذا الحوى إلا الوطن

(١) البعداء وخشان : موشجان .

(٢) توفى عام ١٢٠ هـ قريبا .

(٣) خلت البريق : وتخلوه بقرينه . موهنا : بمعنى غلبته ، وهنا متعلق بليج .

وكلاهما ظرف وطن ، على نحو منتصف الليل .

(٤) البرج : الوادى الذى ينسب إليه الشاعر . والأطرب : الروابى الضئيلة .

الأحسا : والدس : موشجان . قمن : جدير .

وبعد ، فمن الواضح الجلي ، أن لشعر امرأ الحاضرة ، شيئاً طامعاً إلى أوطانهم ، وشوقاً شديداً إليها ، وقت البعاد والغربة ، تنلوه إليها في صلاتهم ورجائهم ، وفي أفعالهم التي وصفتها ، وتراه لنا بالبحث والدرس . ولكن هناك ما يلفت النظر ، في دراستنا لشعر الحضر ، في الحنين إلى الوطن ، ذلك هو قوة هذا الشعر في هذا الباب ، إذا ما قيس هذا شعر البدو ، في الباب ذاته ، وفي الحقيقة ذاتها ، وسلب ذلك من قنارى - هو أن الحضرى أقل ابتعاداً عن وطنه في غاية أحواله وحياته ، من البدوى ، الذى يقبض حياته على النقل وعدم الاستقرار . حتى لكان الإقامة طارئة على البدوى ، والترحال هو الأصل في حياته . ومن هنا قل أن نجد شاعراً حضرياً جاهلياً ، قال شعراً في الحنين إلى الوطن . كذلك ، فإن معظم الشعراء في العصر الإسلامي ، كانت تغلب عليهم سمة البعد أو الغربة عن عيشهم في الحاضرة ، أو اتصالهم بها . يضاف إلى ذلك ، أننا نلتفت إلى أنى لون من ألوان النظم الشعري ، الذى يظهر فيه الحنين إلى الوطن . من أن لآخر ، كدور الأهل عند شعراء الحاضرة .

الحنين إلى الوطن في شعر المرأة

تتميز المرأة برقة الإحساس ، ورهافة الشعور ، وشدة الملاحظة . وقد انعكست هذه الواضحات والانفعالات ، على سلوكها اليوى ، وإنتاجها الفكرى . ولما كان الشعر ، هو الترجيم الحقيقي لما في نفس فائدة من عواطف وانفعالات ، فقد جاء شعر المرأة رقيقاً سهلاً ، يحصل جواب كثيرة مما تتركب منه طبيعتها . فمن صديقة إذا ما بقيت بالرجل ، كثيرة الكآبة ، شديدة الحزن إذا ما بقيت بفقده حبيب أو قريب ، حريصة ككل الجرحى ، على البقاء عند أهلها ، وبالقرب منهم ، وتأخره ، وافتحة للبعد عنهم ، قاصرة عن القيام بسبل القتال والغزو ، مبهمة عن الفض والحياء والسباب الأسياب ذاتية ، أهمها : الحياة ، والخلة ، والبقة .

والدأ تحمل هذا كله ، مختارة تارة ، بحيرة أخرى . ودعنا كانت هذه العوالم ، معى التي أدت إلى أن يبرز شعر المرأة ، في لون واحد تقريباً وهو الوفاء والحنن واليكاء (١) . وكانت هي السبب - أيضاً - في أن يكون هناك كتاباً كبير بين أنصار كثير من النساء ، لتبرية أن المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد قال : « فمن الجائز أن تجمع شعر النساء كله في ديوان واحد ، ويحيط به بعض بعض ، ولا يرمى فيه القارىء . ما يمتدح أن يقول : أنه ديوان شاعرة واحدة . ففى وأوبة ، واحدة ، تكاد أن تنال بشخصية واحدة وقص عن سابقة واحدة (٢) » .

ويقال في مكان آخر : « وفي زمان المرأة ، ه أنى ، واحدة تسبع منها عوالة الحضر ، الاثوى على وقوة مشابهة . وتستطيع بتعبير سهل أن تحيط بين عشرين قصيدة ، لشرين شاعرة ، فلا ترى بينها ، ما يفتقر إلى استغراب هذا الطائفة بين عبا راجعاً ومعاينها . والكتابى شعر هذه المرأة ، إذا خطبت بين قصائده ثلاث ، في موضوع

ولقد أشار الدكتور أحمد محمد الحوفي إلى الخبير إلى الوطن عند المرأة، وأشار إلى قوته وجنته. لكنه عند عاطفتها وعاطفة الرجل سواه في هذا الخبير^(١).

وبينما نرى أن الرجل يحب الوطن، قد انشغل نوعاً ما بالمشكلات، وبتمائم الدين الجديد، نرى أن النساء، مع مساهمة قسم منهن في الحياة العامة، إلا أنهم، في الغالب، لم يتعمقوا تنيراً كبيراً. إذ بقيت عواطفهن هي هي. كما أن الإسلام قد عمل على توكيد هذه العواطف. فظلت المرأة هي هي، من حيث ارتباطها بعائلتها، أبيها وأهلها وأخوتها، والوطن الذي يعيشون فيه، والذي كانت تعيش معهم فيه. كما ظلت المرأة هي هي، من حيث رقة عواطفها، وعمق شعورها، وارتباطها بعقولها وبأحاسيسها. ذلك، كان من العصور عليها، وإن لم يكن من المستحيل، أن تتسليم مع الحياة الجديدة، التي تختلف اختلافها كلياً عن حياة البداوة، ذلك حين يتصل بها زوجها إلى التري والأرياف والحواسن. فبشدة وجيب قلبها، ويشغل بغيرها، كما سمعت هديل الخمام، أو مرت عليها نسبات الريح، أو كلما لاح لناظريها البريق اللؤلؤ في السماء من ديارها.

ونظراً لعدم تغير المرأة، واستمرار عواطفها على التورية ذاتها من جهة، وعدم تنميتها من فرق العواطف حسب التسلسل الزمني — رغم الجهد الكبير الذي بذلناه في هذا المجال — من جهة أخرى، فإننا أثرنا أن نعمل موضوع المرأة دون تمييز بين الممارسات والإسلاميات، لعدم تصريح المصادر التي بين أيدينا بالزمن الذي عاشت فيه هؤلاء الشواغر. كما أننا لن نبحث في المرأة على الأساس الذي سبق أن بحثناه في شعر الرجال، بأن نقسمه إلى شعر البداوة، وشعر الحضارة، وذلك لأن معظم الشعر الذي بين أيدينا، من شعر نساء البداوة، وقليل جداً ذلك الشعر الذي فيه خبير إلى الوطن عند شواغر الحضارة.

والآن نصل جمهرة من القصائد، التي وقعت بين أيدينا، مما يدل على صحة الآراء التي أتيتموها في مطلع هذا الفصل.

هذه ربة يفتي حسين الأسدي، يلومها الحضر إذ لمسا كهم على خبير الشكر هذه ربة يفتي حسين الأسدي، يلومها الحضر إذ لمسا كهم على خبير الشكر إلى نجد. فندب أن تلام على خبيرها. وتري كل شيء. تساهل يذكرها نجد وزيد.

(١) انظر في الشعر الجاهلي: ٦٥٠.

واحد من موضوعات الرثاء، التي ينظمها شعراء الرجال^(١). وربما كانت هذه العوامل، هي الدبيب في قلة شعر النساء، أو في قلة وصلاتهن من شعرهن — على أقل تقدير — إذ أن الرواة، اعتمدوا حفظ الشعر الذي كثير فيه الغريب، أو الذي فيه المسح والتعريف بالقبيلة، والدم والحياء. خصوصاً أوما يتصل بالحروب والثارات، والحماة عامة، أو بما فيه التحوالة والجزالة. وشعر النساء يخلو من هذه المسرات، التي امتلأت بها قصائد كتب الفترات الأولى من الشعر، كالمدائح التي اختارها حاد الراوية النوفى سنة ١٥٥ هـ، وجمهرة أشعار العرب للقرشي النوفى عام ١٧٠ هـ، والمفضليات للفنخل النوفى عام ١٧٨ هـ، والاصحاحات للأصمعي النوفى سنة ٢١٦ هـ. إذ جاءت هذه الكتب خالية من شعر النساء. إلا فيما ندر^(٢).

ولئن كان الرجل يحن إلى وطنه، وعشيرته وأهلها، فيقف على ديارهم وأطلالهم، ويشتاق، ويشتاق حنيناً، وتحنيناً آخر، فإن المرأة أعنف شعوراً بالحنين، إلى الوطن، رغم أنها لم تقف على الأطلال، المرأة — في رأينا — أرق عاطفة، وأرحف احتساساً من الرجل لذلك كان حنينها إلى وطنها وأهلها حنيناً مليئاً بالارعة والامس، وذلك بفعل عوامل كثيرة، مردداً الأول والآخر، وعاطفة حسنا، وورقة عاطفة.

في جميع النصوص التي بين أيدينا، نلاحظ أن المرأة تحن إلى الوطن، مقتضاة لزيادة الزوج وعلى الديار التي تسكنها معه. ونلاحظ خلط شعر النساء — الذي وصلنا من شعر آفاً، من ظاهرة سبق أن توخضت لنا في شعر الرجل، مردداً في الجاهلية، أم في الإسلام، أم في العصور — الأروحي ظاهرة ذم الأوطان، والدعوة إلى الاغتراب. وذلك بما يوضح لنا أن المرأة أشد من الرجل في صحن اتصالها بوطنها وإحساسها بالفرق، في حين يدعو الرجل من آن لآخر إلى التوبة عن الوطن، ومجروته. وأهل مردد موقف المرأة هذا، يعود بالدروجة الأولى، إلى قوة الرابطة التي تقيدها برأسها، وعائلتها، وعشيرتها. ففي الوقت الذي تعود فيه البدوي العيرة عن وطنه، سعيًا وراء الخصب، أو التجارة، أو الحروب، أو الفتح، كان المرأة أقل منه مشاركة في هذه الحياة الدائمة. فلا ترو بهدق أن يعنف حنينها، وتعتق عواطفها، وترتبط ارتباطاً قوياً بوطنها.

(١) الشعر السابق (٢) ينظر ما كتبه الدكتور أحمد محمد الحوفي في كتابه المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٦٠٦.

ألا يا جبال النور خلت بيننا وبين الصبا يجري علينا شقيتها^(١)

لقد طالت ما جالت ذراكي بيننا وبين ذري تجل فأنسيتيها^(٢)

وتردادة بنت الحمير الضفر ، فلا تسطيع أن تفهم معه ، لذلك نجد دور
تتمنى أن تعود إلى الريف ، وإلى الشرق إلى بيت بيا دور ، وهي تلمح لآنها
تبدلت من نجد وساكنة قرناً بها يزقو الديك وتوم السناير ، وهذا شيء غريب
عليها . تقول (٣) :

بليت شعري وليت أصبحت غفصا هل أهبطن قربة ليست بها دور

لقد تبدلت من فجلم وساكنة أرضاً بها الديك يزقو والسناير

ورثية الصبية تتزوج فيجمل من البادية إلى الحضر ، وتساو يرمي : ليس
هذا الحضر أطيب مما كنت فيه في البادية ؟ فتشكر ذلك ، وتفتعل مظاهر البداوة
الحشة ، ووراء نجد على جادة الحضر وملاعبه ، وتقسم أنها معها طائر الجال الذي ،
فلن تنسى أبداً ديوارها في البادية ، وذكر بانها في نجد . والنظر إلى الصورة الفنية
الرائجة في البيت الأول . تقول (٤) :

أقول لادني صباحي أيسره وللمين دمع يحيدو للسكحل ساكبه

لعمرى لنمى بالآوى نازح القذى نقي الدواحي غير طريق مشاربه

أحب إلينا من صهاريج بلقنت للمبر ولم تسلمح لذي ملاءبه

(١) الدين : هنا الجيوب .

(٢) جالت : كذا في مذهب البليان ، وأظنها : حلت .

(٣) شاعرات العرب : ١٢٧ - ٣٩٩ - ٣٩٩/٢ - ٦٢١/٤ - ٦٢٢ - ٦٢٣ .

(٤) رسائل الجاحظ : ٢/٣٩٩ - ٣٩٩ - ٣٩٩/٢ - ٦٢١/٤ - ٦٢٢ - ٦٢٣ .

(٥) الطروق : بالفتح : الطروق الذي يقول فيه الإبل ويغير .

(٦) الصهاريج : كالجحاشي يجمع فيها الماء .

حنينا إليه ، قمرى دبح الجنوب تذكرها به وهي تحمل إليها الراتحة من هناك ، وترى
البرق يهيجها يشع ، وكأنه يلع من نواحي نجد ، ثم يأخذها الحنين فتذكر أخس
ما يهيجها من نجد ، تذكر الجنوب ، وتذكر وهو مروع ، فسر العجب . وتذكر
صوت النكاكي وقد تردد صوته بعد منتصف الليل ، وسمعه الأرق السهران .
فانظر إلى ذكرها الأرق والسهر بعد منتصف الليل ، فهو دليل على مانعاه من ترك
الحيات التي تعيشها . تقول (١) :

الأم على نجد ومن بك ذا هوى يهيجه لاشوق شيء يرايه

تهيج الجنوب حين تغدو بنشرها غابية والبرق إن لاح لاميه

نوم لامي في حبر نجد وأخاها قليم على منى وأوعب جاديه

لعمرى للهربان غمراً مقاليد فذو نجيب غلاظه فذو اقده

وخو إذا خر سقته ذهبا به وأمرع منه تينه وريائيه

وصوت مكأكي مجلوب موهنا من الليل من يارق له فهو ساميه

أحب إلينا من فراريج قريته نراقى ومن حتى تبتى صفاديه

وما جدة البكرة ، تخاطب جبال النور ، وتطلب منها أن تحمل بينها وبين الصبا ،
لأنها طالما حالت ذراها بينها وبين ذوى نجد تلك البلاد التي فيها وطنها ، وأهلها
وعشيرتها ، تقول (٢) :

(١) مذهب البليان : ٤/٦٢١ .

(٢) أوعب جاديه : قطع لسانه ، وفي القسم يقال : جده الله . معاً موعياً .

(٣) النمران : تنقية النفس ، وهو الماء . السكين الخلق ، وهو اسم موضع في

بلاد بني أجد .

(٤) نحو : موضح . (٥) السكاكي : طائر صغير يزقو في الأضراس .

(٦) مذهب البليان : ٧/٤١٧ .

ويذكر الرواة أن رجلاً من طي، ارتحل مع زوجته إلى ديار أهل، بعد قحط
 في دار أهلها. فحين وصلت إلى دياره، نظرت إلى الصدر، فساءته عنه. وأنها
 ثم نظرت إلى النخل، فلم تعرفه، فساءته. فأخبرها. فألتفتت بعينها عن حبيبها إلى
 وطنها، وتبين أن حبيبها لبث البادية، أكثر من جهات لبث الحاضرة. وأنها عجب هذا
 البت أن تسفه النوادي، ولا تحب أن يروى بنيرها. وترى شفاهاً يصفحت من
 الآلاء، وهو لبث الصحراء. تقول (١):

ألا لا أحب الصدر ألا تكلفنا ولا لا أحب النخل لما بداليا
 ولكنني أهوى أراضى مخلم سقامي رب العرش مزنا عواليا
 فها صاعداً للنخل الشية لرائي بغيري آلام كان أشفى لما ليا

وامرأة أخرى من تميم، هي البيوت بنت صمود، تهب عليها الأرواح؛ فتبجج
 حبايتها، ويروح الهم فزادها. فتعني الأثوب على صغرها فليج — موطنها — ربح
 الجنوب. وتود أن يظل هبوبها شمالاً، وذلك لأن ربح الجنوب ليست مما يشتهي
 عندكم، وأن ربح الشمال هي الشهادة. ثم هي تمنى أن تحمل لها هذه الريح فتفقه من
 حومت جزوى — والرمث نوع من الحضر تشابه الإبل وتحمل إلى رعيه، وفي أساس
 الراحلة للريح (٢):

ألا حنت الرقال واشتاق رها تذكر أرماتنا وأذكر مشري
 ولو علمت صرف النبوع لسرها بمكة أن يتلفح حننا بأذخر (٣)
 تقول: تهب الريح، فتبجج حبايتها وتقول (٤):

إذا هبت الأرواح هاجت صباها على ويرحاً في فؤادي هوامها

- (١) صبح الياءان: د/١٤٩/١٠٠
 (٢) أساس الراحلة للريح: ٣٦٩/١
 (٣) الأذخر: حشيش طيب الريح. (٤) بلدان: ٢٧٧/٤

وربح صبا نجد إذا ما تنسمت ضحى أوسرت جنب الظلام جنان (١)
 فيها حينما نجده وطيب ترابه إذا حضيت بالضحى هواضيه (٢)
 وأقسم لا أنساه مادمت حية وما ذلم ليل من نهار يصافيه
 ولا زال هذا القطر يسفر لوعة بذكره حتى يترك الماء شارب

وتسافر امرأة من بني الصادر، رفقة من دير بصري، عن الصادري؛ وتعلم
 التحبات إليه. وتبذل حل ين الدهر عليها يوماً برفقه. وهل تليح لها الأيام
 أن تود ما دلتها أن تودى تصور حال الصادري — وكأنه أبوها أو أخوها،
 أو حبيب لها — وهو مكبل من حبيبها، وانظر لها وهي تنفي أن ترى جانب الحى وهو
 على بالحسب والنساء. ثم هي تنفي أن تود ما دلتها — بناءً في ديارها — أنها
 العاطلة الصادقة، التي تدكها نار الشرق والجنين. تقول (٣):

أيا رفقة من دير بصري تحملت تؤم الحى لقيت من وقته رشداً (٤)
 إذا ما بلغت سلاسل قبلنا نحية من قد ظن أن لا يرى نجداً
 وقالوا تركنا الصادري مكبلاً بكمل الهوى من حيم مضوراً وجداً
 فيأبى شمري حل أرى جانب الحى وقد أنابت أجزاعه ففلا جعداً (٥)
 وهل أروى الدهر ماء وقيمة كان السبا قد دى على منتهى تروى

- (١) الجناب: جمع جنوب، وهي الريح التي تقابل ريح الشمال.
 (٢) يقال حضيتهم السبا. أى أطارهم.
 (٣) شاعرات العرب: ٤١٧.
 (٤) دير بصري، والحى، موضعان.
 (٥) الجرح: الرحلة الطويلة الميت. والثفل هنا: تبت عن أسرار البقول لزمه.
 طيب الراحلة: تسمى بالليل.

بوطنها على الموت بحجر ، ونسكه الدبش في دار ذات حيطان في الحاضرة ، ونجبله
ه العرف الاعلى ، — وطنها — ولكن ما حيلها ، غير أن تربت ترحم نجم الليل
قاعدة حتى الصباح ، وهي في لوعة وحسرة من الحزن ، تقول (١)

قد كنت أكره حجراً أن أموت بها
وأن أعيش بأرض ذات حيطان
يا حبلدا العرف الأعلى وساكنه
وما تضمن من قرب وحيران (٢)

وهذا الحزن يدفعها إلى الدعاء ، على الشيخ بن حبان ، الذي كان السبب فيها
يسير في هذه الحجرة فتقول :

لولا غنائنه ربي أن يعذبني
لقد دعوت على الشيخ بن حبان (٣)
فاقر السلام على الاعراف مجتهداً
إذا تأطم دني باب سيدان (٤)

وقدعو امرأت من قلب ، بالسقيا لما نزلها وديارها بين شرح ، وتواظر ،
وأوساط التحقيق ، وكيف لا تدعو إلى هذه الديار ، وهي لو تروكت على مراحا ،
لا طالت فيها المقام ، وانظر إلى حالة الضعف التي فيها ، وهي المرأة العربية القديمة
التي لا حول لها ولا قوة ، ألام الرجل — زوجها — فهي تقول : لو أننا قطعنا
متنية الطاعة لها ولكن أنى لنا ذلك ! وحسبنا تراس من ذلك لا تنفك لسم دني سلاسلها
إلى هذه الديار ولما يحلها ، شوقاً وحسناً لما ولما فيها . تقول (٥) :

سقى الله المنازل بين شرح وبين نواظر دينا ومعلما
وأوساط التحقيق تحقيق عابدين سقنى ربي أجاوعها النملعة

- (١) عديم البلدان : ٤ / ١٥٥ — ١٠٦
- (٢) تعرف : يسكون الزام : موضع في ديار كلاب
- (٣) ابن حبان : أبوها .
- (٤) الاعراف : كل عال مرتفع . وتأطم : تمسك . وسيدان : زوجتها .
- (٥) المنازل والديار : ٣٤ .

الآيات ، أن الريح ما حل أهلها
يصحرا ما فاج لا تهب جنوبها
وآلت عيناً لا تهب شمالها
ولا تمكثها إلا صبا تستطيرها

تؤدى لنا من رمث حزوي هديته إذا نال سلا حزنها وكثيرها
وتقول وجمته بنت أوس العنبرية ، أن إحدى الماذلات قد لامتها على ما يبدو
منها من شوقي وصبا به لوطنها ؟ فاستغروب وجبهة هذا الطفل . فخالها في الأمر من
مستكر ، حين تحن إلى أرض عديرها ، وتحب ديار أهلها ١٩ . ثم تؤكد هذا المعنى
حين تذكر أن الرياح لو كانت تعقل وتفهم ، لما طيرتها وناجتها ، وحللتها نجيتها ،
وطليت لها أن تبقى هذه النجبة بقية خالص ، تابعة من القلب ، غير مختلطة بتراب
الريح . وانظر إلى الضرورة التي ترميها حينئذ في بيع الشمال ، التي تهب من ناحية
وطنها ، لو لم ازداد قرب صداح الثيرة — وطنها — فتدفع هبوب هذه الريح من
ناحية ١١ . تقول (١) :

وخاذله قدسوا على تلوطني على الشوق لم تفسح الصباية من قاي
قال أن أحييت أرض حشوري وأبشيت طرقاتي من ذنبي (٢)
ولو أن ريحا بلغت وحى موسى حني لنا جيت الجنوب على النسيب
وقلت لها أدعي إليهم نجيتي

ولا تخطيها — طال سمعك — بالترب
فأني إذا هبت شمالاً سألها هل ازداد صداح الثيرة من قرب (٣)

ويترجم أم موسى بنت سدرة الكلاية رجلاً من حصص ، وتنتقل معه إلى ريبا ،
لكثرة الزواجر لا تضلها طرفة عين عن الحنين إلى وطنها وأهلها . وتنتقل للموت

- (١) المنازل والديار : ٢٠٨ .
- (٢) طرقات : القعيدية : موضع
- (٣) صداح الثيرة : موضع .

قلو أُنَّا نطاعُ إذا أَمَرنا أَطلنا في ديارِهم المقاما
فأني لا أني ما عشتُ أَهدى لها ولمن يسل بها اسلما
وما يعني السلامُ إذا نزلنا لوى لامر الأم الله لا ما^(١)
وتزوج تناظر بث مسعود ، في مصر من الامصار ، فحقن إلى وطنها بطبيعة
الحال ، إذ لا تستطيع ، فيما يبدو ، الانسجام مع الحياة الجديدة في القرية ، إذ أنها
قد نشأت في بيئة صحراوية بدوية ، لا تستطيع ، بعد ذلك ، أن تعيش في قرية ، وهي
بنت البادية تقول (٢).

لعمرى لجم من جواء سوبقة أو الرمل قد جرت عليه سيولها^(٣)
أحب إلينا من بداول قرية تموض من روض الفلاة فسيلها^(٤)
ألا ليت شعري لا عشتُ بقية عمر قد أتاها سيولها
وتقول مرة أخرى ، أنها أحب إلى من راسها ، وهذا الصياح في مجمع
الرمل والرمل ، وهو صوت الليل التي تهيج بسوقة الآه وأسباطاً ، أنها تحب هذه
المظاهر البدوية ، لأنها قد تعلقت في مشاعرها منذ الطفولة . أما حياة القرية ،
وصياح الدجاج والديكة ، وأصوات الريح في سعف النخيل ، فأنها طارئة جديد
لا تستطيع أن تتسجم معه أو تحبه ، أنها وفيه لمظاهر حياتها الأولى . تقول (٥) :

لعمرى لأصحاب المسكاكي بالضحى

وصوت صبا في مجمع الرمل والرمل

وصوت شمال هيجت بسوقة آله وأسباطاً وأرطى من الخيل
أحب إلينا من صياح دجاجة وديك وصوت الريح من سعف النخل

وتكره امرأة من بني عبد الله بن دارم ، مظاهر الإقامة في البصرة ، فتخطب
تخطي ثروان ، بأنها شامت أن يفارقها حفيهما ، الذي يوقد في قلبها نار الشوق والحزن
ويذكرها بديارها وأهلها . تقول (١) :

أيا نخلي ثروان شئت مفارق حفيكما ، ياليتني لا أرا كما^(٢)
أيا نخلي ثروان لا مر راكب كريم من الأعراب إلا رما كما

وبلغ الحزن عند المرأة أوجه ، حين تذكر كرها على الخروج من دارها ، خاصة
حين تكون أمة تباح وتضرب . يحدثنا ياقوت ، أن هشام بن الوليد ، حدث عن
أبيه قال : خرج قوم من مكة نحو الشام ، وكنت فيهم فيينا نحن نسير في بلاد الأردن
الأردن من أرض الشام ، إذ رفع لنا قصر . فقال بعضهم لبعض : لو أننا إلى هذا
القصر ، فأفينا بفنائمه حتى نستريح ، ففعلنا . فبينما نحن كذلك ، إذ انفتح باب القصر ،
فانفزع عن امرأة مثل الفزالي العظيمة فرمينا كل واحد منا بعين وامن ، وقلب
عاشق . فذابت من أنفاسهم ، ومن أي البلاد ؟ قلنا نحن أصحاب من دارنا
فقال : أفبكم من أهل مكة أحد ؟ قلنا : نعم . فأنشأت تقول :

من كان يسأل عنا : أين منزلنا فالأقحوانة منا منزل قن^(٣)
وإن قصرى هذا ما به وطني لكن بمكة أمسى الأهل والوطن
إذ تلبس للمعيش صقراً ما يكدره قول الوشاة ، وما ينبو به الزمن
من كان ذا شجن بالشام ينزله فبالأباطح أمسى الهم والحزن^(٤)

(١) المصدر السابق : ٧٧/٢ .
(٢) ثروان : جيل لبني سليم .
(٣) منزل قن : أي جذير أن تسكنه .
(٤) الأباطح : موضع .

(١) لوى لام : موضع .
(٢) مجمع البلدان : ٢٨٧/٣ .
(٣) جم : كثير . وبرزجة وهموم : كثير الماء . وهنا تعني ماء الشاعرة .
(٤) أنبياء : القصيدة من النخل ، والجمع فسائل وفصيل .
(٥) مجمع البلدان : ٢٨٧/٣ .

ثم شربت شربة، وشربت من شربة، وغرقت عجز من النسر، فنضجت السام
على وجهها وجعلت تقول:

في كل يوم لك مثل هذا مرات تالله الموت خير لك من الحياة (كذا)

فقلنا: أيتها العجوز، ما فعلتها؟ فقالت: كانت لرجل من أهل مكة؛ فباعها
فهو لآزال تزوج إليه حبيبا وشوقا (١). أرايت كيف ترفض العيش في النسر العظيم
لأنه ليس وطنا، وإنما وطنا في مكة حيث الأهل والأحباب، وحيث الدار التي
نسات فيها، وحيث العيش صفو ما به كدر. إنه الوطن، وأنه الحين الطاغى إليه.

ونقص إحدى النساء، حين تزوج ونحن إلى وطنها. عن السبب الذي حداها
إلى الحين. ذلك أنها مرتبطة بأبنا، وبشيء آخر لا يقل عن أهم حيا وتقدير، وهو
ما أبيض وصبيح، وهي مائة في بلادها، ونسب من هذه الياه، شربة تروي
بها ظمأها، وتطفي نار شوقها وحنينها. قالت (٢):

ألا ليت لي من وطئ أبي شربة تشاب بياض صبيح وأبيض

وتقول إحدى النساء، وقد انتقلت إلى الشام، حين زوجها عما رجا شاميا،
فلا تستطيع أن تتخذ موقفا من ديارها إلا الحين إليها. وماذا يدها أن تغفل،
وعليها أن تنقل إلى الشام بصحبة زوجها، فتخطب خليلها — وتضعها بأبنا موضع
عنتها — أنها تدعو بالحق لبلادها، لأنها تحبها، وتحب ساكنها. كما أنها تنفي
أمنية أبدا من هذه، ألا وهي أن تبدل من عما يعم آخر، لأنه هو السبب — فيا
يبدو — فيا جري لها. وتنفي أن تبدل بأبنا عما يفسد من الموالى، فكانهم
رفضوا الزواج منها وإبقاءها في وطنها بين أهلها وصغيرتها. تقول هذا رغم أنها
— فيا يبدو — تحب زوجها السام، إلا أنها أكثر حبا لوطنها منه. تقول (٣):

- (١) معجم البلدان: ١ / ٢٢٤.
- (٢) المصدر السابق: ٧٢/١.
- (٣) أبيض وصبيح: ما إن لي بك، ووطئ: سقاء اللبن. وتشاب: تخلط.
- (٤) التارخ والديار: ٢٤٩.

ألا يا خليلي — لي الذين أراهما ذوي ثقتي من دون من كان حانا

سقى الله — والسقيا إليه — بلادنا بجزم قناوين الذهب النوايا

بلاد جميعهم والمعظم أحجم وإن كنت قد أيقنت ألا تلاويا

ألا ليت لي عما بعى ولبت لي مكان بنيه من معد مواليا

أناسا إذا خافوا على خلاصة وضيق أحاطوا بالفتا من وراثيا

فلا بارك الرحمن في وجه حرق غانية بعدي تحب شاميا

وكما خاطبت الدارمية بخاني مروان، فتخاطب أسماء المرية بجبلي عمان، أن يخطبها
نعم الصبا يصل إليها، أن نسف الصبا إذا حب على قلب مخزون، ويخلي عن صومعه
وحزونه، كما أنها يجد لها بردا؛ وتنفى حرارة كبدتها. ثم تنبه إلى جبلي عويصرة،
أن يترك الجنوب تمر، لعل هذه الجنوب تداوى عنها؛ ولكن كيف تداوى الريح
الشوق المائل، والين التي طال سجام دموعها؛ وانظر إلى ما يتركها لها وأما غريبة
من أثر في النفس، ودلالة عما تعاني من تلك الغربة، من شوق وسنين إلى أهلها
وطنهم؛ أنها مقطعة الأحشاء من جوى الحوى، ومن تبارج الشوق، الذي ينفك
عليها، ولا يرميها تقول (١):

يا جبلي نعمان بالله خليليا نسف الصبا يخلص إلى نسفها

فإن الصبا ربح إذا ماتت نسف على قلب مخزون تجلت همومها

أجذرها أو تنسف من حرارة على كبد لم يبق إلا صميمها

أيا جبلي وادي عويصرة التي نأت عن نوى قومهم قدومها

ألا خليلي عبري الجنوب لعل يداري قد أدنى من جراح نسفها

- (١) شاعرات العرب لعبد البديع صفر: ٨.
- (٢) عويصرة: نخل لبني ربيعة بالجمالية.

وكيف تدأوى الرشح شوقاً فاحللاً وعينا طويلاً بالدموع سجودها
وقولا لركبان تيممة غدت إلى البيت ترجو أن تحط جردوها^(١)
بأن بأكتاف الرغام غريبة موطئة منكى طويلاً تيممها^(٢)
مقطعة أحشاءها من جوى الهوى

وتبريح شوق عاكف ما يرعها

ونحاطي جمل الدلية دار يلجأ ؛ بأنها أحب ديار الله إليها ، لأنها أول أرض
بها حق الشباب تمامها ومس جسمها تراها ، فلا دما أحب بلاد الله إليها في خالي
الحسب والسحب لا تقول (٣) :

ألم تعلمي يا دار بل كجاء أني إذا أخصبت أو كان جدياً جنانها^(٤)
أحب بلاد الله ما بين منعج إلى وسلي أن يصوب سحاجها^(٥)
بلاد بها عن الشباب تيممي وأول أرض من جسمي تراها^(٥)

ونحن نأقرب قلب ، فيخرج هوائها ، ويد كرها ذلك الحين يوطئها ، فقلنا حينئذ
إلا أن تشكر عالياً إلى تائها ، بما تفتي من الشوق والبعد والحنين إلى قومها ووطنها
تقول (٦) :

إذا خنت الدثر ، واجتري الهوى وذكري للحرثين حناها^(٧)
شكوت إليها نأى قوى وهجرهم وتشكروا إلى أن أصيب حناها

- (١) جردوها : جمع جرد وهو علب (٢) التيمم : الصوت الثاني الخلى
- (٣) شاعرات العرب : ٤٨ مدحج وملس : موشان .
- (٤) حتى : فضلاً . ويخال للفسى إذا تكلم مع حتى حتى شرب وقى : فيهم : دنت
- (٥) حتى : فلان (٦) شاعرات العرب : ١٤٦ (٧) الحرفان : موضع

تيممت في بني فلان

وقفة أصارية ، وصلها ذودها إلى مكان قصي ، فاصبح هوأها طائياً ، وراحت
تسائل عن جمل نهمان ورواديه - وطها - الذي تركته الطائر والشارب ،
فهي توى به القلب الساص ، فكأنها لم تزوجها عند ما من ماء ، ولا يربد الله الذي
يروي طهاها ، إلا في وطها ، تقول (١) :

ألا أيها الركب المبرانون عرجوا علينا فقد أضحي هوأنا عانيا^(٢)
نسا لكم هل سأل نهمان بعدنا به تنقع القلب الذي كان صاديا
فإن به ظليل - ومشرى - فند هدوء صباها ، فيرتاح قلب
ونحن نلخص أم اللام الخذلية ، بقده هدوء صباها ، فيرتاح قلب
قلوبها ، فكأنها تناول تصورها وتصورها ، وتصورى نفسها ، بأن كل قرية لا بد أن تشارك
قريبها ، لكن هذه القلوب لا ترعى ، وهل لها ذلك ، وهي يطعن بالشرق والجنين ،
وكان هذه هي حال أم اللام كذلك ، تقول (٣) :

حنت في عقاليها وحسب لمنيها منا بارق يسرى فجئ بجونها
فقلت لها صبرا فكل قرية مضارقتها لا يد يركب ترابها
وما برحت حتى أروعنا بصورتها وحتى أبصرى منا معنى يمينها
وقلت لها حتى رويداً فأنى وأياك تبدى عولة معنيتهما

وجداول نلت لجمال الكلاية ، يورجها الخلق الأموي ميارية بين أبي سفيان ،
ويكأنها القصور المنيقة ، وتأتي هذه القصور من ناعم لئلا كل واللبس ، والحيوانات
الإنسية ، ونهر البغوى ، واللبس الطريف ، فكأنها لا تمجيبا كل مظاهر الحضارة
عنده ، بل نحن إلى القصور في حياة البادية ، وذلك لأن مظاهر الحضارة قد أشرتها

- (١) شاعرات العرب : ٢٠٧
- (٢) نهمان : هو نهمان الأراك ، وهو واد بين مكة وطها .
- (٣) شاعرات العرب : ٢٨٩

في دنيا وأحليها ، حتى أصبح مفهوم الوطن الشريف عندنا ، يرتبط ارتباطاً كاملاً بالخشوع في الحياة . وكيف لا ؟ وتلك الحياة حياتها ، وطناً ، وطفولها ، وضياعها ، أمها وأبوها وأهلها وعشيرتها ، تقول (١) :

ليبت تخفق الأرواح فيه أحب إلى من قصر منيف
وبكر يفتح الأطلال سقياً أحب إلى من بقل زفوف (٢)
وكلب يفتح الطرائق عني أحب إلى من قط آليف
ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلى من لبس الشفوف (٣)
وأصوات الرياح بكل فتح أحب إلى من تقر الدفوف
وخرق من بني عمي نحيف أحب إلى من علاج حليف (٤)
خشوة عيشتي في البدو أشهى إلى نقى من لبس الطريف
فأبني سوى وطني بديلاً فحسبي ذلك من وطن شريف
أرأيت كيف أنها تفصل كسرة الخبز في وطنها ، على الرغيف في غيره ، وكيف أنها ترفض البديل لوطنها ، إذ أنه هو الوطن الشريف ، على حد تمييزها (٥) .

- (١) المصدر السابق : ٣٩٦ .
- (٢) البكر : التي من الإبل . والشفوف : زفوف : مسرح .
- (٣) الشفوف : جمع شف ، يكسر الشين ويفتحها وهو الثوب الرقيق .
- (٤) الكسرة : القطة من الخبز . والكسر : طرف الحياة من الأرض .
- (٥) الخرق : الكسرة . والملاج : الصلب الشديد ، وبه سمى حمار الوحش ، وهي تقصد هنا مبارزة زوجتها .

وتحن امرأة من بني عامر ، إلى ديارها وأيامها ، حين تأتي الرياح الحليف — من ناحية هذه الديار — التي يلك لها جسم هذه المرأة ، فتداعبه حين هبوبها . ولم حارلت هذه المرأة أن تنسى قومها وأرضها ، لكنها تفشل في خداج نفسها ، إذ هي في خداعها نفسها ، كالسكران الذي يخادع صاحبه ، تقول (١) :

تدو لنا من نبالا الضمر طالمة تديك وديك لأيام تشوئنا (٢)
هيف يلد لها جسي إذا لمست كأن اعلامها جلال تيجاننا (٣)
يا حينما طاروق وهنك الم بنا كالخفر مي هنا مسكا وريحاننا (٤)
شبهت لي مالمك يا حينما شبتنا بين الدراعين والأخواب من كانا (٥)
ماذا تذكر من أرض عائية ولا تذكر من أمسى بجوزاننا (٦)
عمداً أخادع نفسي عن تذكركم كما يخادع صاحبي العقل مسكرانا (٧)

ويوق شعر الخبير إلى الوطن عند المرأة . أكثر فأكثر ، حين يطالع أبيات ليل الخبز التي تصور فيها عقاباً وعنادها ، وهي بعيدة عن أهلها ، في تفصيلتين جميلتين ، ذكرهما صاحب شعراء النصرانية ، تذكر الأولى منهما ، رغم أنها لا تقيم

- (١) شعرات الغريب : ٤٠٢ .
- (٢) الحيف : ريح حارة تأتي من نحو اليمن .
- (٣) الضمر : جبل ببلاد بني قيس .
- (٤) الدراعان : حضبتان في بلاد حمروين كلاب . وألأخواب : موضع بجنبه .
- (٥) جوزان : بلدة باليمن .
- (٦) هي التي بلغت الكبر سن مرة بن أسد بن ربيعة بن نزار . كانت تامة الحسن كثيرة الأدب ولها شعر كانت وفاتها نحو سنة ٤٧٣ م .

جنينا وانحنا إلى الوطن . وإنما فيها أوعه وعذاب ، نستطيع أن نردهما إلى هذا
الاضراب الذي عثت به . تقول (١) :

ليت البراق عيننا فتري ما أقامى من بلاء وعنا
يا كليبا يا عقيلاً إخوتي يا جنيداً ساعدوني بالسكا
عذبت أختكم يا ويلكم بمذاب الشكر صبحاً ومسا
يكذب الأعجم ما يترى ومضى بمض حسامات الحيا
قيدوني غلاوني وافعلوا كل ما شئتم جيئاً من تلا
فأنا كارهة بغيثكم ومرير الموت عندي قد خلا

ولها قصيدة ثانية ، تلح فيها التعبير الواضح الصريح ، الذي يصور رقة جنينها
إلى وطنها وهي غريبة ، وقد ابتعدت عن أحيائها . وهي ، فيما يلوح لنا ، تميل
أخبار أهلها وأحوالهم ، فيترجع الشوق في قلبها ، وتذوب كالتذوب الرصاص ، الذي
يصل بالنار . تقول (٢) :

قد كان بي ما كفى من حزن غرمان والآن قد زاد في همى وأحزاني
ما حال برّاق من بعدى وممشرنا ووالدي وأعمامى وأخواني
قد جال دوني يا برّاق مجتهداً من النواصب بهد ليس بالفاني
كيف المنقول وكيف الوصل وآسفا همات ما خلت هذا وقت إمكاني
لما ذكرت غرباً زادي كدى حتى همت من الباري بإعلان

(١) شعراء النصرانية : ١٤٩/١ .

(٢) المصدر السابق وانصفحة نفسها .

ترجع الشوق في قلبي وذبت كما ذاب الرصاص إذا أملى بديران
فلو تراني - وأصواتي - تاليني هبت برّاق من صبري وكثافي
وهذه امرأة من تميم ، تزوج رجلاً من حجر . وثقلها إليها ، فغلبها الحزن إلى
وطنها وأهلها ، في ديار بني تميم . وإذا بها ترى فرش الحرير في ديار غير ديارها ،
وفي وطن غير وطنها ، كغراش الحجر ١١ تقول (١) :

لقد كنت عن حجر بعيداً فسانني صروف النوى والسباقيت إلى حجر
يقولون فرش من حرير وإنما أرى فرشهم عندي كحامي الحجر
أنها اللوعة الخقة ، والحزن الصادق قد صوراً في هذين البيتين ، وكيف لا ؟ وهي
ترى فرش الحرير ، كحامي الحجر المتروك !

وأعراية تمض ، وهي بعيدة عن وطنها وأهلها ، فغلب من غليلها أن يقرها
السلام منها على وحرّة ليلي ، وهي البلاد التي ولت فيها ، ونمت وترعرعت ، وبقي
قلبها معلقاً بها ، حتى وهي على فراش الموت . تقول (٢) :

خليلي إن حانت عمرة ميتي وأزمتما أن تحضرا لي بها قبراً^(٣)
ألا فاتر يا مني السلام على فق وحرّة ليلي لا قليلاً ولا خيراً^(٤)
سلام الذي قد ظن أن ليس رائياً رماحاً ولا من حرّية ذرى غصراً^(٥)

وتعزب امرأة في رواجم من أبان بن دلويم بن حنظلة ، هي وبكرها ، قرأها
تواجبه ، وثقل هوومها . فهو يحزن - وهو أشد حزين الإبل إلى أوطانها وأولادها -
وهي تحزن . فيها (على البلى لمطمان) ، وعاشر الزمان ، إلا ذلك الذي حمى في
كل ، بعيداً عن الأهل والوطن . تقول (٦) :

(١) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها : ١٨٥ .

(٢) معجم البلدان : ٦٥/٣ . والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها : ١٨٥ .

(٣) مودة : موضع . (٤) حرّة ليلي : بلادها . (٥) رماح : موضع .

(٦) رسائل الجاحظ : ٢/٢٠٠ . وحماسة ابن الشعري : ١٧٣ .

ألا أيها البكر الأباقي أني وإياك في كلب لمفتريان
 نحن وأبكي ذا البو ^{الذي} وإنا قلنا البكر ^{الذي} لمفتريان
 وأن زمانا أيها البكر ضمني وإياك في كلب كثر زمان
 وخند بنت عصم المدوسية، تحن إلى وطنها حتى لا ترى ماء المصباح شافيا لنفسها،
 وتصفى شربة من ماء السبال، التي فيها راحة الشمس، وشفاة الليل، ولم لا؟ وهي
 المياه التي عليها نمت وشبت؟ ثم انظرها وهي تصور شدة وجدها وشوقها حينما
 تصبح مطايا في ليله، وهي البلاد التي هي بها، فلما، وذلك لاختلاف البرية التي
 رأت فيها هذه المطايا، تقول (١)

ألا لا أرى ماء المصباح شافيا تقوسا إلى أمواه بقاء نزعها (٢)
 فمن جاء من ماء السبال يشربه فإن له من ماء لينة أربعاً (٣)
 وقد زادني وجداً ببقاء أني رأيت مطايا بلينة ظلمنا

وأخيراً نحن مع الزرقاء بنت زهير - كاذبة قطاعة - التي تكلمت لقرتها
 بخادرة تهامة، وتزولهم بهجر، وليس لها إلا أن تنهج نحو تهامة وتبدأ في وداعها،
 مؤكدة أنها لم تغادرها إلا بحيرة، وتطلب من هجر أن لا تنكح ما وهي الغريبة فيها،
 داعية هجر أخيراً لتهاجرة بالرخاء، تقول (٤):

ودّع تهامة لا وداع مخالف بدماء لكن قلّ وملام
 لا تنكري هجراً مقام غريبة لن تسدني من ظاعين تلام

٥٢٥

- (١) المرأة في الشعر الجاهلي: ٦٦١.
- (٢) بقاء: ماء بالبادية. والمصباح: موضع.
- (٣) السبال ولينة: مريضان.
- (٤) تاريخ ابن خلدون: ٥٠٣/٧.

يخرج من هذا كله بأن المرأة كثيراً ما كانت تحن إلى وطنها وتفضل على غيره
 سواء كانت جاهلية، أم إسلامية، فهي ظلالاً ما تهربت بالتأثير الذي طرأ على العرب
 بعد الإسلام، وذلك لأنها مرتبطة بمائلتها، أكثر من الرجل، فهي تستوحش لمعدن
 عشق وتحن إليهم حينئذ صادقاً.

ولقد لاحظنا أن الرجل كان يتخذ من الحنين إلى الوطن - أحياناً - ذريعة
 لصنع القصيدة الجاهلية، خاصة في ظاهرة الاطلاق. أما المرأة، فلم يكن عندها شيء
 من ذلك، فهي لم تنسبل، وإنما كانت تصور عواطفها بصدق وإخلاص، لأنها
 تتعرض بحرية فعلية، ألا وهي الزواج والانتقال من بيتة عاشت فيها، حتى تمتعت
 بمظاهرها في دهرها، ثم انتقلت إلى بيتة أخرى، لم تستطع الانسجام معها، ثم هي
 أدق عاطفة من الرجل، يلا قلبها حب عائلتها، أمها وأبيها وأخوتها، ومن ثم كل
 ما يذكروها بهم، لأنها تربت في كنفهم، ووقفت ليلها ونهارها معهم، وليس الحال
 كذلك مع الرجل، إنما تجد شعر الحنين إلى الوطن عند المرأة، أكثر وقته، وأدنى
 وصفاً، وأصدق عاطفة، سواء كانت المرأة جاهلية بدوية، أم إسلامية، فالوقف
 الذي كانت تتخذه أمة امرأة جاهلية في هذا الموضوع، هو نفسه الذي اتخذته أمه النساء
 للملمات، وعلى رأسهن ميسون زوجة معاوية بن أبي سفيان.

أنه موقف واحد، بصورة أمة بذات الشروب الشعرية، وهي تقول لمساوية بن
 أبي سفيان، وهي في السجن: وأبي لا يخرجني، ولا تسع لي شيء من الشام، فما
 الشام لي محبوب، ولا أخرج فيه على حمي، وما هي لي بوطن، ولا أحب فيها إلى
 سكين، وما قرت فيها عيني (١)

وقد لاحظنا شيئاً آخر - سبق أن وجدناه بعدده عند الرجال، إلا أنه عند النساء
 أكثر وضوحاً وترديداً - وهو أن النساء، كثيراً ما وددن ذكر نجد على الرغم
 من أن قبا مهن ليس منها، بدليل أنهن يكترن أنما كن أكثر أخرى غيرها، وكان يجدن
 أصبحت قلداً عند شعراء الحنين إلى الوطن، يرددونها في أشعارهم عند حنينهم
 إلى أوطانهم.

- (١) أدباء السجون: ٦٩.

وسمع قلة النثر العربي ، الذي وصلنا من الحقبة الجاهلية إلا أن هذه القلة قليلة .
والنصف القصيرة ، لم تخل من الحنين إلى الوطن ، لاسي ، ولا ما وصلنا من النثر ،
فيما تلاها من عصور .

في القرآن الكريم والحديث الشريف :

نزل القرآن الكريم نثراً — أو على صورة النثر — رسالة سماوية ، من عند خالق
هذا الكون ومنشئة ، ولم تكن لأمة دون أخرى ، من أمم الأرض ، أو الجزر
دون أخرى ، من هذا الكون النسيج ، فالأرض أرض الله ، وأخلق خلق الله ،
والتعاليم من عنده جل وعلا ، إلى كل هذا وذلك .

فالقرآن إذن رسالة أممية ، لا تنفد عند حدود ولا يحيط بها قيد ، وأرض الله
واسعة خلقه ، لهم حرية الحركة والتنقل فيها ، وقد بين الله سبحانه وتعالى هذا في
كتابه العزيز في قوله : « قل يا عباد الذين آمنوا ، اتقوا ربكم ، للذين أحسنوا في هذه
الدنيا حسنة . وأرض الله واسعة ، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (١) .
وقد تعالى في سورة أخرى : « يا عبادي الذين آمنوا ، إن أرضي واسعة ، فإياي
فاعبدون » (٢) . وفي سورة ثالثة ، يقول عز من قائل : « إن الذين قوفوا بالملائكة في
ظلمى أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض . قالوا : ألم تكن
أرض الله واسعة ، فتهاجروا فيها » (٣) ، « ويدعو الله عباده إلى التمسك في الأرض ،
إذا ما قضيت الصلاة ، وإلى السعي في رحابها . والأكل من رزقه ، حيث يقول :
« فإذا قضيت الصلاة ، فانتشروا في الأرض » (٤) . تقول : هذه رسالة السماء مثله في
القرآن الكريم ، أممية ، كاملة ، شاملة ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن الله تعالى ، لم يغفل
الوطن (٥) ، لمسا له من قيمة في نفوس العباد ، ولم يغفل الدعوة إلى التمسك بالدين
والفلاح عنه ، والمحافظة عليه . والله سبحانه وتعالى ، يقسم بين الفينة والفينة ، بالأمور

- (١) النور : ١٠ . (٢) النور : ٥٦ .
(٣) النساء : ٩٦ . (٤) الجمعة : ١٠٨ .
(٥) لم ترد لفظة (الوطن) في القرآن الكريم صريحة ، إلا في آية واحدة ،
بمعنى أما كن ، في قوله تعالى : « ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة » ، التوبة : ٢٥ .

الفصل الرابع

الحنين إلى الوطن في النثر العربي

للرب والنثر :

ظهر النثر العربي ، بصورة واضحة وجلية ، بعد ظهور الإسلام ، ونزول القرآن
الكريم نثراً — أو بتعبير أدق — على صورة النثر ، ولم يحفظ النثر الجاهلي ، لأن
النثر لم يحفظ ، وإنما حفظه ، ولا كذلك النثر . والعرب في جاهليتهم لم يكونوا
أهل كتابة وكتب . فلم يكن النثر — قبل الإسلام — ذا قيمة أو اهتمام كبيرين عند
العرب ، وذلك لانصرافهم إلى الشعر بشكل رئيس . إذ أنهم بالشعر كانوا يبررون
عن عواطفهم ومشاعرهم . وليس الحال كذلك في النثر — على العكس من الغربيين ،
الذين يتقنون نثراً ، ويبررون بهذا الغناء عن عواطفهم وانفعالاتهم ، لا بالشعر فقط
ولكن بالنثر كذلك — « وكان الشاعر في الجاهلية ، يقدم على الخطيب ، لشرط حاجتهم
إلى الشعر الذي يقيد قلوبهم ما أزعجهم ، ويذهب شأنهم ، ويحول على عدوهم ومن غرام
ويحب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عدوهم ، ويهابهم شاعر غيرهم » (١) على حد
تعبير أبي عمرو بن العلاء ، فلم يصلنا من النثر العربي القديم ، إلا خطيب ، « وردة » ،
وتنف قليلة من الحكم والأمثال العربية القديمة ، التي انفازت بالإيجاز الناعم ، والعبارة
التيصرة . وذلك لأن التكرار والإحاطة من علامات النثر عندهم ، والإيجاز من علامات
القصيدة والتسكين في اللغة . فهذا الجاحظ يعتقد في بيان باباً فيما قال العرب من الحديث
الحسن الموزون المحدث القليل الفضول (٢)

وهذا ابن سنان الجاحظ يقول في شرح فصاحته مذكور من شروط القصيدة والبلاغة
الإيجاز ، والاختصار ، « وحذف فصول الكلام ، حتى يبرر عن المعاني الكثيرة
بالألفاظ القليلة . وهذا الباب من أشهر دلائل القصيدة والبلاغة الكلام عند
أكثر الناس » (٣) .

- (١) البيان والبيان للجاحظ : ٢٤١/١ (٢) المصدر السابق : ٢٧٦/١ .
(٣) شرح التفاحة لابن سنان الجاحظ : ١٩٧ .

الطبيعة ، والالهياء التي طامنته وفجعة تشده . وكان يقسم بالوطن ، وبالميلاد . وفي كتابه العزيز :

(لا أخس هذا البلد (١)) .

(وهذا البلد الأمين (٢)) .

والحقبة عن الوطن صعبة ، والحزن إليه قوى ، وكان هذا واحداً في القرآن الكريم . فوجد الله المهاجرين عن ديارهم ، وأوطانهم ، في سبيل الله ، نعمة ورحمة . ولما أذكر الموت منهم أجراً كبيراً ، وغزراً عظيماً . قال تعالى :

(ومن يهاجر في سبيل الله ، يجد في الأرض مراعاً (٣) كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ، ثم يدرك الموت ، فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً (٤)) .

ووجد آخر لا يهاجر من — الذين طردوا من أوطانهم ، وأخرجوا من ديارهم ، وأودوا في سبيل الله ، وقاتلوا وقتلوا — من الدنيا . قال تعالى : بأن يكفر عن سيئاتهم ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثواباً من عند . قال تعالى :

(فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأودوا في سبيل الله ، وقاتلوا وقتلوا . لا تكفرون عنهم سيئاتهم ، ولا دخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثواباً من عند الله ، والله عتده حسن الثواب (٥)) .

ووجد آخر من عند الله ، المؤمنين الذين طردوا ، وأخرجوا من ديارهم بغير حق ، لأن الله ناصرهم . فقاتلوا في سبيله . قال تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم شديد . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا : ربنا الله . ولولا دفع الناس بعضهم ببعض ، لطغت صواعق ، وويلات ، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرون الله ونصره . إن الله لقوى عزيز (٦)) .

- (١) البلد : ٦٠ (٢) الذين : ٣ (٣) مراعاً : مهرباً ومتسكلاً .
(٤) النساء : ٩٩ - (٥) آل عمران : ١١٥ (٦) الحج : ٣٩ - ٤٠

ونحن سبحانه عن قتل النفس ، وعن جريمة لا تقبل عن هذه بشاعة ، ألا وهي الخروج عن الدار . حتى أنه سبحانه وتعالى ، أخذ ميثاقه على عباده ، أن لا تشك الدنيا ، ولا يخرج من الديار . قال تعالى : (وإذا أخذنا ميثاقكم لا تعصون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم (١)) .

والإخراج من الديار ، حاقق قوي للقتال في سبيل الله والوطن . قال تعالى : (قالوا : وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) ، وهذا القول ، حكمة من بني إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبي لهم — وهو يوشع ، أو شمعون ، أو أشمويل — أن يعين لهم أميراً ، يتولى قيادتهم ، في حرب الغالطة ، وقد أجدوا الإسرائيليين ، وصعدوا أنولادهم . وكان النبي قال لهم : (نحن عسى أن كسب عليكم القتال أن لا تقاتلوا (٢)) . يقول ذلك ، متوقفاً عنهم عن القتال ، فأجابوه بما في الآية (٣) .

وفي موضع آخر ، بين الله سبحانه وتعالى ، كيف أخرج المؤمنين من بيوتهم بالحق . وفرق عنهم كلهم . قال تعالى : (كما أخرجناك وبك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون (٤)) .

وتجلى قيمة الوطن ، وعظمته عند حالته ، عندما يعاقب الكافرين ، في الحياة الدنيا ، بأن يخرجهم من أوطانهم ، ويشردهم من ديارهم ، ويشقت عليهم . فهو عقاب . وما أشده من عقاب ! أن يشر الإنسان عن وطنه ، مرثلاً ، عقاباً له ، على ما ارتكب من ذنب ، في سبيل الله ، وعلى كل هذا الإخراج ، وهذا التشريد ؟ حينما ظن الكافرون ، أن حصونهم سوف تحسبهم من ذنبا . وقد أكسب سبحانه وتعالى ، أنه لو لا أن كتب عليهم الجلاء عن ديارهم ، لنسبهم في الحياة الدنيا . فكان الخروج عن الدار ، هو العقاب ، وأى عذاب أشد منه ؟ ! . قال تعالى : (هو الذي أخرج الذين كفروا ، من أهل الكتاب ، من ديارهم لأول الحشر (٥)) . ما ظنتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم ، من الله . فذاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقضى في ظنهم الرعب ، يخرجون بهمهم بأفهم وأبدي المؤمنين ، فاعذبوا

- (١) البقرة : ٨٤ (٢) البقرة : ٢٤٦ (٣) البقرة : ٢٢٨ (٤) الأنفال : ٥ (٥) أول الحشر : أي ليوم الحشر .

يا أولي الألبان . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ، لذبحهم في الدنيا ، ولطم في الآخرة عذاب النار ^(١) .

ويؤت الدين ظموا خلاوية ، يرمم مكروا فكان عذابهم أن يخرجوا منها وشردوا بها ولولا حنة وعبرة لقوم يعبدون . قال تعالى : وفذلك يومهم عذابا باظلاما .

إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ^(٢) .

وحينا بقي قارون — من قوم موسى — على قومه ، بعد أن أناء الله مالا وسلطانا ، عاقبه الله سبحانه وتعالى ، بأن خسف به الأرض وبداوه . قال تعالى :

(تخسفنا به وبداهه الأرض ^(٣)) .

ويؤت سبحانه وتعالى ، المؤمنين مرة أخرى ، أرض الذين كفروا وأموالهم

ودياريهم بعد أن أزلهم من صياصيمهم ، وقذف في قلوبهم الرعب . قال تعالى : (وأزحل

الذين ظاهروهم ^(٤) من أهل الكتاب ، من صياصيمهم ^(٥) ، وقذف في قلوبهم الرعب ،

فريقا تقتلون ، وفاسقون فریقا ، وأورثكم أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضا

لم تملكوها . وكان الله على كل شيء قديرا ^(٦)) . فانه سبحانه وتعالى يبين أنه لم يورث

المؤمنين ديار الكافرين وأرضهم — التي هي أوطنهم — وأموالهم . فكانه يبين ،

أنه يورثهم من كل عزيز يملكونه .

ويكون الحافز والمبرز عند الكافرين ، من قوم فرعون ، لحاربة موسى ،

عليه السلام ، هو خنوخهم منه ، لتلايخرجهم من ديارهم ويبدعهم عن أوطنهم . قال

تعالى : (قال الما من قوم فرعون : إن هذا الساحر طيم ، يريد أن يخرجكم من

أوطانكم ، فإنا نأمرونك ^(٧)) .

وفي سورة أخرى يقول سبحانه : (قال اللا حول له ، إن هذا الساحر طيم ، يريد

أن يخرجكم من أوطانكم بسحره فاذا فأمرونك ^(٨)) .

ومرة ثانية ، يخاف قوم فرعون أن يخرجهم موسى وأخوه من أرضهم ، قال تعالى :

(قالوا : إن هذان لساحران ، يريدان أن يخرجاك من أرضك كما يصرهما ^(٩)) .

(١) الخسر : ٢ — ٣ . (٢) القتل : ٥٢ — (٣) القصص : ٨١ .

(٤) ظاهروهم : عادوهم .

(٥) صياص البقرة : قرونها . وصياص هنا : حصون .

(٦) الأحزاب : ٢٦ — ٢٧ . (٧) الاعراف : ١٠٨ — ١٠٩ .

(٨) الشعراء : ٢٤ — ٢٥ . (٩) طه : ٦٣ .

وثالثة ، مع فرعون نفسه . يخاطب موسى عليه السلام ، قائلا : أبعثنا لنخرجنا من أرضنا يا موسى ؟

من أرضنا يا موسى ؟ متسبا إياه ، بالهمة ذاتها ، وهي السحر ١١ . قال تعالى : أبعثنا لنخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ؟ ^(١) .

وبعدهج الله سبحانه وتعالى ، البلاد الطيبة ، ذات الحفلات الجميلة ، داعيا أهلها ،

إلى أن ياكلوا ، ويشربوا من رزق ربهم ، وأن يشكروا نعمته عليهم ، قال تعالى :

(لقد كان لآسيا في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم ،

واشكروا له بلدة طيبة ، ورب غفور ^(٢)) .

ودعا سبحانه وتعالى ، إلى عدم الخروج من الديار ، بطرا ، وثناء للناس .

وقال تعالى : . ولا تكونوا كالأذين خرجوا من ديارهم ، بطرا ورتا ^(٣) . الناس ^(٤) .

ودعا إبراهيم ، عليه السلام ، إلى الوطن ، بالخير والأمن والرزق . قال تعالى :

و قال إبراهيم . رب اجعل هذا البلد آمنا . وارزق أهله من الثمرات ^(٥) . .

وقال جيل شابه ، على لسانه عليه السلام ، في سورة أخرى : . وإن كان إبراهيم

رب اجعل هذا البلد آمنا ^(٦) .

وينهى الله سبحانه وتعالى ، المؤمنين عن الكافرين الظالمين ، الذين قاتلهم ،

وأخرجهم من ديارهم ، أن يقاتلهم ، وين يقاتلهم . فخرج من الظالمين . قال تعالى :

و لا يقاتلوا الذين لم يقاتلواكم في الدين ، ولم يخرجواكم من دياركم ، أن تخرجوهم

من دياركم . قالوا : لا يقاتلوا الذين لم يقاتلواكم في الدين ، ولم يخرجواكم من دياركم . قالوا : لا يقاتلوا

وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، فقد تولوهم . ومن يتولهم فأولئك

هم الظالمون ^(٧) .

(٢) سبأ : ١٥ . (٣) مآ : ٥٧ .

(٤) الأتال : ٤٨ . (٥) الأتال : ٤٨ .

(٦) إبراهيم : ٣٥ . (٧) البقرة : ١٧٣ .

(٨) النجدة : ٨ — ٩ . هذه الآية الشريفة هي التي حذفتها بعض النسخة . من

النصف الذي طمعه في إسرائيل مؤخرآ ، وذلك لما فيها من حث على قتال الكافرين

العديين ، الحثان لأرضنا ، الخرجين لخصنا من دياره .

والرسول الأعظم ، عليه صلاة الله وسلامه ، كان محباً لوطنه ، كثير الخلق إليه في هجرته من مكة إلى المدينة ، فبينا صلى الله عليه وسلم تغرب فإن بالدموع حينئذ إلى مكة وشوقاً إليها
 الغزوي هذا الخبر ، حينئذ قال : وروى أن أبان قدم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المدينة ، فقال له : يا أبان كيف تركت مكة ؟ قال : تركتهم وقد جهلوا ، وتركتم الأذى وقد أشق ، وتركتم الثأم
 الله ، صلى الله عليه وسلم (١) .

يكون حزن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، شديداً ، مرة أخرى ، وفي شهر آخر ، نقل إلينا الأزرقي في كتابه : أخبار مكة : حينئذ يحده أصيل الغفاري عن مكة ، وكيف أصبحت ، ويدعوه عليه السلام ، إلى الكف عن الحديث ، لئلا يزداد حزنه قال الأزرقي : عن شهاب قال : قدم أصيل الغفاري قبل أن يضرب الحجاب على أرواح النبي (ص) ، فدخل على عائشة ، رضي الله عنها ، فقالت له : يا أصيل ، كيف عهدت مكة ؟ قال : عهدتها قد أخصب جنبها (٢) ، وايفضت بطاؤها (٣) ، قالت : أقم حتى يأتيك النبي (ص) ، فلم يلبث أن دخل النبي (ص) . فقال له : يا أصيل ، كيف عهدت مكة ؟ قال : والله عهدتها قد أخصب جنبها ، وايفضت بطاؤها ، وأغلق أذخرها وأما ما ، وأما ما ، فقال : (٤) . فقال : حبسك يا أصيل ، لا تخزننا (٥) ، فكان النبي عليه السلام ، يقبله الشوق والحنين ، فلم يعد يحتمل السماع . فهدم أصيلاً إلى

ويظهر حب النبي (ص) لوطنه مكة ، وحروبه على الأعداء فيها ، لا يبرحها ، لولا أن يخرج منها مضطراً مرعفاً . قال (ص) عن مكة : والله انك خير أرض الله

- (١) سبق أن فُسر في مكان آخر . (٢) مطالع البدر : ٣٩٢/٣ .
- (٣) المطاب ، والجاني : الناحية والثناء وما قرب من ذلك اليوم .
- (٤) المطاب :
- (٥) ألبت : نعم . تمامها : نبت بها .
- (٦) أمشي : مسج . سلمها : شجر من البهاء وهو القروظ الذي يبيع به الأديم .
- (٧) أخبار مكة للأزرقي : ١٥٥/٢ .

إلى الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت (١) .
 وحينئذ هم رسول الله (ص) بالخروج من وطنه ، والهجرة عنه إلى مكان آخر ، بلغت إلى البيت العتيق - مكة حب إليه ، وحزن عليه ، ولوعة من فراقه - فأنابا أن يأتيا في الأرض بشأ أحب إليه منه . مكرراً قوله ، في أنه لو لم يخرج من وطنه ، لا يخرج بروي عن عبد الرحمن بن سابط قال لا أراد النبي صلى الله عليه وسلم ، أن يتطلى إلى المدينة ، واستلم الحجر ، وقام وسط المسطح ، انفضت إلى البيت فقال : إني لأعلم ، ما وضع الله من جبل ، في الأرض بيتاً ، أحب إليه منك ، وما في الأرض بلد ، أحب إلى منك ، وما خرجت منك رغبة ، ولكن الذين كفروا ، ثم

أخرجوني (٢) .
 وفي الغزوة لم يمتس ، ولوعة حرقه ، والوطن حب كبير ، وحنين إليه - في البعاد عنه - شديد . يؤكد هذا رسولنا الأعظم ، ومحبته الكرام . حينئذ هاجروا عن مكة إلى المدينة ، فبلى الرمح من هجرتهم في سبيل الله : إلا أن هذا ، لم يقدّم الشعور بالهجرة ، وعدم الألفة ، واختلاف البيئة ، التي جاءوا إليها . مما أدى إلى إصابهم بالأعراض في هذه البيئة الجديدة . ولم يقدّم كذلك ، حب وطنهم ، وحنينهم إليه شأنهم في ذلك ، شأن القرائن الكريم ، وما سبق أن أوضحتاه قبل قليل . وهو أن للوطن قدسية خاصة ، وحب مقترن في النفوس ، والحنين إليه أمر لا يلب . وروى (٣) عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : لما قدم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المدينة ، طرد (٤) أبو بكر وبلال ، قالت : فدخلت عليهما فقلت : يا أبت ، كيف تجدك وما جلا ، كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر ، إذ أتته ، ألقى يقول :

كل امرئ مصبغ في أهله والموت أدنى من شركاء نصله
 وكان بلال إذا أظلمت عنه النجوم ، يرفع صوته (٥) ويقول :
 ألا ليت شعري هل أبيت إلى الله يوراد وحولي أذخر وجليل (٦)
 وحصل أردن يوماً مياه عجمية وحصل يبدون لي شاة وطنيل

- (١) أخبار مكة : ١٥٥/٢/٣ . وفصل مكالمات البصري ، بحلة كلية الآداب ، ٥٦٦ - ٥٦٧ .
- (٢) المصدران السابقان وصفتها .
- (٣) وعك : أصيب بوعكة . (٤) عميق قال رجل : صوته إذا غنى أو قرأ أو بكى .
- (٥) أذخر وجليل : موضعان بمكة (٦) شاة وطنيل : موضعان بمكة أيضاً

قال عائشة: جئت رسول الله ﷺ، فأخبرته فقال: اللهم جيب إلينا المذبة كيتنا مكة، أو أئد. وصحبها، وبارك لنا في صاعها. وأتقلى حياها فأجما بالخذ (١). وهكذا يدعو النبي صلى الله عليه وسلم. إنه، أن يجب إليهم المذبة كيتنا مكة.

ومرة أخرى، يدعو عليه الصلاة والسلام . وبه أن يوفي أصحابه هجرتهم . وأن لا يردم على أعتابهم . حين قال : اللهم أفض لأصحابي هجرتهم . ولا تردم على أعتابهم . . ويمتليق ابن خلدون على ذلك بقوله : . ومعناه أن يوفقهم للأزمة المديدة وعدم التحويل عنها . فلا يوجههم عن هجرتهم التي ابتدأوها ، وهو من باب الرجوع على القلب ، في السعي إلى وجهه من الرجوع . وقيل أن ذلك كان خافئاً ، بما قيل قبل الفتح ، حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة ، فآله المصابين . وأما بعد الفتح ، وحين استأمرهم بالبقاء ، فكانت الحجة بالفساد في حالهم . فلهذا قال : لا تردم على أعتابهم . . .

وعلمنا كانت شفاعة الله وثوابه للذين حاربوا للجهاد في سبيله ، نرى شيفاعة النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين المهاجرين ، الذين بقوا في المدينة ، وصبروا على شدتها ، بعيداً عن أهلهم ووطنهم . دورى ... علي فطرس بن وهب ، عن يونس : أن مولانا لا يبرح أمره ، فقال له : عليك السلام يا أبا عبد الرحمن . قال : وما شأنك ؟ قال أودت الخروج إلى الريف . فقال لها ، أقمدي ، فإني سمعت رسول الله : صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد ، ألا كنت له شريفاً وشجعماً يوم القيامة (14) .

$\frac{1}{\sqrt{2}} \left(\begin{array}{c} 1 \\ -1 \end{array} \right)$

(٧) أخبار مكة: ١٥٥/٧ — ١٥٦. والسياسة النورية: ١٥٧/٧ — ١٥٨. ١٥٩.

الخطاري : د.ع.ح.

 $\cdot \frac{r_W}{1 + \sqrt{\frac{r_W}{r_B}}} = 0.79$ [illegible]

والخارجون الذين هاجروا ، في سبيل الله ، ومانوا ، وحاجتهم في صدورهم ،
في العودة إلى الوطن ، والذين بين الأهل والاحباب ، هؤلاء يشرع النبي ﷺ
بأنهم سيأتون يوم القيامة ، ونورهم كشو الشمس . قال صلاة الله وسلامه عليه :
وسأني أناس من أمتي يوم القيامة ، ونورهم كشو الشمس . قلنا : من أولئك
يا رسول الله ؟ فقال : فقروا المهاجرين ، الذين اتقوا المكاه . يموت أحدهم حاجته
في صدوره ، يموتون من أقطار الأرض (١) .

ويبينهم عليه السلام ، يدخلون الجنة — في حديث آخر — بتفصيل أكثر ، وإيضاح أبلى ، وتصوير أعظم . — عن رسول الله ، عليه السلام : أنه قال : هل تدرون من يدخل الجنة من خلق الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أول من يدخل الجنة من خلق الله ، الفقراء والمهاجرون ، الذين تسبى بهم العدو ، ويشقى بهم المكاره ، ويعورت أدمهم : ويأبى الله في عسرهم . ولا يستطيع لحاق قضاء ، فيقول الله عز وجل ، لمن شاء من فلائكه ، أتوهم لحريم . فقول الملائكة : نحن نعرف سيئاتك ، ونخبرك من خلقك . أنفكمنا لأن تأخذوا دولاً ، فسلم عليهم ؟ قال : لهم كانوا عباداً يبدونني لا يشركوني شيئاً ، وتسد بهم العدو ، ويثقي بهم المكاره . ويعرت أدمهم وساجته في صدره ، لا يستطيع لحاق قضاء . قال : فأتاهم الملائكة عند ذلك ، فدخلون عليهم من كل باب : (سلام عليكم عاصبرتم ، فنعطيكم الملائكة عند ما للجهاد في سبيل الله ورسوله . والبعد عن الوطن ، والهجرة عن ربوبه . وبالجملة الله في خلقه . وبالجملة في أحسن عملا : تحية من فلائكه ، وبنات من خلقه .

والتزيان. نصيب من الطف والدعام ، من النبي (صل الله عليه وسلم) . قال عليه السلام : طوبى للغريبا (٢) ، وثنا كريد جريد ، على قبة الوطن ومكانته في الفروخ ، ليس عند ذويه حسب ، وإنما عند الله ورسوله . تحفه من الإيمان . قال صاب الله عليه وسلم : وحب الوطن من الإيمان (٣) .

$$\cdot \left| 1 + \frac{1}{\epsilon} - 1 + \frac{1}{\epsilon} \right| / \left| 1 + \frac{1}{\epsilon} - \frac{1}{\epsilon} \right| (1)$$

1. $\frac{1}{2}$
 2. $\frac{1}{4}$
 3. $\frac{1}{8}$
 4. $\frac{1}{16}$
 5. $\frac{1}{32}$
 6. $\frac{1}{64}$
 7. $\frac{1}{128}$
 8. $\frac{1}{256}$
 9. $\frac{1}{512}$
 10. $\frac{1}{1024}$
 11. $\frac{1}{2048}$
 12. $\frac{1}{4096}$
 13. $\frac{1}{8192}$
 14. $\frac{1}{16384}$
 15. $\frac{1}{32768}$
 16. $\frac{1}{65536}$
 17. $\frac{1}{131072}$
 18. $\frac{1}{262144}$
 19. $\frac{1}{524288}$
 20. $\frac{1}{1048576}$
 21. $\frac{1}{2097152}$
 22. $\frac{1}{4194304}$
 23. $\frac{1}{8388608}$
 24. $\frac{1}{16777216}$
 25. $\frac{1}{33554432}$
 26. $\frac{1}{67108864}$
 27. $\frac{1}{134217728}$
 28. $\frac{1}{268435456}$
 29. $\frac{1}{536870912}$
 30. $\frac{1}{1073741824}$
 31. $\frac{1}{2147483648}$
 32. $\frac{1}{4294967296}$
 33. $\frac{1}{8589934592}$
 34. $\frac{1}{17179869184}$
 35. $\frac{1}{34359738368}$
 36. $\frac{1}{68719476736}$
 37. $\frac{1}{137438953472}$
 38. $\frac{1}{274877906944}$
 39. $\frac{1}{549755813888}$
 40. $\frac{1}{1099511627776}$
 41. $\frac{1}{2199023255552}$
 42. $\frac{1}{4398046511104}$
 43. $\frac{1}{8796093022208}$
 44. $\frac{1}{17592186044416}$
 45. $\frac{1}{35184372088832}$
 46. $\frac{1}{70368744177664}$
 47. $\frac{1}{140737488355328}$
 48. $\frac{1}{281474976710656}$
 49. $\frac{1}{562949953421312}$
 50. $\frac{1}{1125899906842624}$
 51. $\frac{1}{2251799813685248}$
 52. $\frac{1}{4503599627370496}$
 53. $\frac{1}{9007199254740992}$
 54. $\frac{1}{18014398509481984}$
 55. $\frac{1}{36028797018963968}$
 56. $\frac{1}{72057594037927936}$
 57. $\frac{1}{144115188075855872}$
 58. $\frac{1}{288230376151711744}$
 59. $\frac{1}{576460752303423488}$
 60. $\frac{1}{1152921504606846976}$
 61. $\frac{1}{2305843009213693952}$
 62. $\frac{1}{4611686018427387904}$
 63. $\frac{1}{9223372036854775808}$
 64. $\frac{1}{18446744073709551616}$
 65. $\frac{1}{36893488147419103232}$
 66. $\frac{1}{73786976294838206464}$
 67. $\frac{1}{147573952589676412928}$
 68. $\frac{1}{295147905179352825856}$
 69. $\frac{1}{590295810358705651712}$
 70. $\frac{1}{1180591620717411303424}$
 71. $\frac{1}{2361183241434822606848}$
 72. $\frac{1}{4722366482869645213696}$
 73. $\frac{1}{9444732965739290427392}$
 74. $\frac{1}{18889465931478580854784}$
 75. $\frac{1}{37778931862957161709568}$
 76. $\frac{1}{75557863725914323419136}$
 77. $\frac{1}{151115727451828646838272}$
 78. $\frac{1}{302231454903657293676544}$
 79. $\frac{1}{604462909807314587353088}$
 80. $\frac{1}{1208925819614629174706176}$
 81. $\frac{1}{2417851639229258349412352}$
 82. $\frac{1}{4835703278458516698824704}$
 83. $\frac{1}{9671406556917033397649408}$
 84. $\frac{1}{19342813113834066795298816}$
 85. $\frac{1}{38685626227668133590597632}$
 86. $\frac{1}{77371252455336267181195264}$
 87. $\frac{1}{154742504910672534362390528}$
 88. $\frac{1}{309485009821345068724781056}$
 89. $\frac{1}{618970019642690137449562112}$
 90. $\frac{1}{1237940039285380274899124224}$
 91. $\frac{1}{2475880078570760549798248448}$
 92. $\frac{1}{4951760157141521099596496896}$
 93. $\frac{1}{9903520314283042199192993792}$
 94. $\frac{1}{19807040628566084398385987584}$
 95. $\frac{1}{39614081257132168796771975168}$
 96. $\frac{1}{79228162514264337593543950336}$
 97. $\frac{1}{158456325028528675187087900672}$
 98. $\frac{1}{316912650057057350374175801344}$
 99. $\frac{1}{633825300114114700748351602688}$
 100. $\frac{1}{1267650600228229401496703205376}$
 101. $\frac{1}{2535301200456458802993406410752}$
 102. $\frac{1}{5070602400912917605986812821504}$
 103. $\frac{1}{10141204801825835211973625643008}$
 104. $\frac{1}{20282409603651670423947251286016}$
 105. $\frac{1}{40564819207303340847894502572032}$
 106. $\frac{1}{81129638414606681695789005144064}$
 107. $\frac{1}{162259276829213363391578010288128}$
 108. $\frac{1}{324518553658426726783156020576256}$
 109. $\frac{1}{649037107316853453566312041152512}$
 110. $\frac{1}{1298074214633706907132624082305024}$
 111. $\frac{1}{2596148429267413814265248164610048}$
 112. $\frac{1}{5192296858534827628530496329220096}$
 113. $\frac{1}{10384593717069655257060992658440192}$
 114. $\frac{1}{20769187434139310514121985316880384}$
 11

Chlorophyll

[illegible]

واللهي خريص على أن ينام كل مسلم في بيته مطمئناً ، وإذا سمع صوتاً ، يرتاح له فيقال له في ذلك ، فيرد عليه السلام قائلاً : ظننت أن ساكناً أزعج من منزله ، والخروج عن الوطن عقوبة ، (١) كما قال رسول الله (ص) : لما فيه من عذاب للنفس ، ولو علة على الأهل ، وحنين إلى الوطن .
وفي القربة ذلة . و من رضى بالذل فليس منا (٢) . عند رسولنا الأعظم ، عليه صلاة الله وسلامه .

وفي السفر وحشة ، وله محاذير ، والعودة منه فرحة وسرور ، وحمد الله على السلامة . لهذا كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إذا سافر قال : اللهم أنت صاحب البحر ، والخليقة في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعاء (٣) السفر ، وكآبة الخلق ، وسوء المنظر في الأهل والمال . اللهم أظرف لنا الأرض ، وبرد علينا السفر ، وإذا رجع فالحسن ، وزاد فيه ، أثبتون ثابتون ، عابدون لربنا حامدون (٤) .
وخبر ما نختتم به حديثنا ، عن حديث رسول الله (ص) في الوطن والحنين إليه . هو قوله عليه السلام : دجنة الرجل داره ، (٥) . أي أن دار الرجل ووطنه حاجته في حياته الدنيا . وصدق رسول الله .

من زاد الله له ، فله من الآخرة ما يشاء . والله أعلم .
الشريف ، وموقفهما من حب الوطن ، والحنين إليه . وهما هم الصحابة والتابعون — رضوان الله عليهم — يسعون على السبيل نفسه ، والمهاج ذاته . فكان تقديرهم للوطن وإجلالهم له ، وحنينهم إليه .

- (١) المستد : ٢٧٩/٨ . (٢) المحاسن والأضداد للجاحظ : ٩٨ .
(٣) الوعاء : من الوعك وهو الدق على الرمال الرقيقة ، والمشي يشتد فيه على صاحبه .
(٤) المستد : ١٥٨/٨ . وصحيح مسلم : ١١٢/٩ . وصحيح الترمذي : ٣/١٣ — ٤ .
وسنن ابن ماجه : ١٢٧٩/٢ . وسنن أبي داود : ٣٢/٢ .
(٥) زهر الآداب للحصري : ١/٢٤ .

هذا أمير المؤمنين ، وحر بن الخطاب — رضى الله عنه . بين لنا ما للوطن من قيمة ، وما له من حب عند أهله على الرغم من السوء في المكان ، والضيق في العيش ، والمضقة في الحياة ، والعسر فيها . وما أكثر بلاد السوء ! وما أشد ثقل أهلها بها ! كالصحارى القاحلة ، والأراضي الجرداء ، التي فيها من حرارة الشمس ، ونزرة المياه ما هو كقيل بأن يجعل الإنسان يدخل عنها بكل بساطة ، ولكنه حب الوطن ، هو الغالب لكل الظروف ، القاهر لكل الصعاب ، الملبق للإنسان في بلدته ، بلد السوء ! ، قال رضى الله عنه : لولا حب الوطن ، لحرب بلد السوء (١) .

وعنده أم المؤمنين — عائشة ، رضى الله عنها ، تجل مكة ، وقد اضطرت إلى الهجرة عنها مع المسلمين . فهي لم تر السماء قط . يمكن أقرب إلى الأرض منها بمكة . ولم يطمئن قلبها ببلد مثلاً أطمان بمكة ولم تر القمر يمكن أحسن منه بمكة . أنه الوطن الذي استحوذ بحبه على تفكيرها فقلبي ! . قالت رضى الله عنها : ولولا الهجرة ، لسكنت مكة . أي لم أر السماء يمكن قط ، أقرب إلى الأرض منها بمكة . ولم يطمئن قلبي ببلد قط ، ما أطمان بمكة . ولم أر القمر يمكن : أحسن منه بمكة (٢) .

والحسن بن علي — رضى الله عنهما — يستعبد بالله من ملل معافاته فيسأل في ذلك فيجيب ، أن يكون الرجل في خفص ، فتدعو نفسه إلى سفره ومفاداة الأهل والوطن . قال رضى الله عنه ، في دعائه : اللهم إنا نعوذ بك أن نمل معافاتك .
فقال في ذلك ، فقال : أن يكون الرجل في خفص فتدعو نفسه إلى سفر ، (٣)

وعبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — يجعل حب الوطن ، والقناعة عقيماً ، وذلك حينما يقول : لو قسم الناس بأرزاقهم ، قناعهم بأوطانهم ، ما اشكى أحد من البرق (٤)

وابن الزبير — رضى الله عنهما يؤكد ما سبق أن ذكره ابن عباس ، حينما يقول : ليس الناس بشيء من أفسامهم ، أقنع منهم بأوطانهم (٥) .

- (١) المحاسن والأضداد : ٩٣ . والمحاسن والمساوي للبيهقي : ٢٢٦/٢ .
(٢) أخبار مكة : ١٥٣/٢ . (٣) محاضرات الأدباء : ١١٤ .
(٤) محاضرات الأدباء : ٢٢٠ . ومطالع البدور : ٢٩٢/٢ .
(٥) رسائل الجاحظ : ٣٨٦/٢ .

في الأمثال والنصص :

قلنا في مطلع هذا الفصل : أن التراث العربي ، وصالحا تنقفا قصيرة ، من العصر الجاهلي . ولم نحل هذه النصف ، من الحنين إلى الوطن . وقد كانت على شكل حكم وأمثال ومواعظ ، تتلى وتقال ، بين الحين والآخر ، أو على شكل قصص وحكايات ، يتناقلها الرواة ، في العصر الجاهلي ، ومابعده من عصور .

ويظهر لنا الحنين إلى الوطن ، في الحكم والأمثال ، بوضوح وجلالة . فإدام الطائر يحن إلى وكرة ، فأول بالإنسان أن يحن إلى وطنه . كقول أحدهم : وإذا كان الطائر يحن إلى أوكاره ، فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه (١) .

والأسد يحن إلى الغاية — وطنه — ولا يستطيع الاستغناء عنها . ومثله في ذلك ، يحن الكريم الآتي إلى وطنه . وما أجل أن يشبه الرجل الكريم ، بسيد الحيوانات وملوكها ، حتى في الحنين إلى الوطن . قال ابن السكيت : كان يحن الأسد إلى غايته (٢) .

وللبائس الذي ولد الإنسان فيه ، وترى في رحابه ، وأكل من خيراته — قدسية وفضل كبير عليه ، وهو أحق بالبلدان بالحب والحنين . قالوا : وأحق البلدان بزادك إليه ، بلد أهلك حليب رضاعة (٣) .

ومن سمات الشرق والأصالة عند الإنسان ، أن يكون ميالا إلى وطنه ، حائما إليه ، قالوا : وميالك إلى بلدك ، من شرفي جنتك (٤) ، وقالوا : ومن اللبيب إلى وطنه . كما يحن النجيب إلى عطية (٥) .

ولولا حب الأوطان ، ما عمرت البلدان . خاصة بلاد السوء منها ، والتي سبق أن أشرنا في حديث أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . قالوا : ويجب

(١) رسائل الجاحظ : ٢٨٦/٢ .

(٢) رسائل الجاحظ : ٢٨٦/٢ . وثمر الآداب : ٦٨١/٢ .

(٣) رسائل الجاحظ : ٢٨٨/٢ .

(٤) نفسه : ٢٨٦/٢ . ومحاضرات الآداب : ٦٢٠/٤ .

(٥) ثمر الآداب : ٦٨١/٢ . وديوان المعاني : ١٩٠/٢ .

الأوطان ، عمرت البلدان (١) ، وبالمعنى نفسه ، يورد الجاحظ في حيوانه قولهم : وعمر الله البلدان بحب الأوطان (٢) .

ووجب الوطن من طيب المولد (٣) . و من إماراته العاقل ، بره لإخوانه ، وحنينه لأوطانه (٤) ، وتربة الصيا تفرس في القلب حرمة وحلاوة ، كنفرس الولادة في القلب ، رقة وحفاوة (٥) .

ماسبق من الأمثال ، أظهرت مالموطن من قيمة . وماله من حب ، وصفات حسنة ، وميزات فريدة . كما أظهرت أوجه الشبه بين الإنسان ، وغيره من المخلوقات ، في حبها جميعاً للوطن ، وحنينها إليه . وما في حب الوطن ، من السمات الحميدة ، والأصل العريق ، والأخلاق الحسنة .

وهناك نموذج آخر من الأمثال ، التي لها تماس بالحنين إلى الوطن ، والثناء معه ، وأمكن بصورة تختلف عن تلك . فهي هنا لا تبين وتظهر طريق الرشاد حبيب ، وإنما تدعو الإنسان ، دعوة صريحة ، إلى التمسك بالوطن ، والحفاظ عليه ، والحنين إليه .

فالوطن فضل كبير على الإنسان ، إذ فيه نما ، ومنه تنقذ ، وفي فناءه نكسأ ، وبين ظهرانية أهله وقبائله ، ومن مياحه شرب ، ومن غذائه أكل . قالوا : ولا تشك بلداً فيه تباينك : ولا تحب أرضاً فيه قوايلك (٦) . وقالوا : وحفظ بلداً ربك (٧) . وقالوا : وإذا وجدت بعض القوت ، فالزم قعر البيوت (٨) .

وقالوا : والنسبة ذلة ، والنسبة ذلة (٩) . وقالوا : ذلة ذلة : فإن ردفتها علة ، وأن أعقبتهما قلة ، فذلك نفس مضحكة (١٠) . وقالوا : وإذا كنت في

(١) الخاسن والاضداد : ٩٣ . والخاسن والمساوي : ٢٢٦/٢ . ومحاضرات

الآداب : ٩٢/٤ . (٢) الحيوان : ٢٢٧/٣ .

(٣) محاضرات الآداب : ٦٢٠/٤ . (٤) رسائل الجاحظ : ٢٨٩/٢ .

(٥) رسائل الجاحظ : ٢٨٦/٢ .

(٦) الخاسن والاضداد : ٩٣ . وديوان المعاني : ١٨٧ .

(٧) محاضرات الآداب : ٦١٤/٤ . (٨) المصدر والصفحة نفسها .

(٩) الخاسن والاضداد : ٩٤ . والخاسن والمساوي : ٢٢٧/٢ . ومحاضرات

الآداب : ٦١٤/٤ . (١٠) الخاسن والمساوي : ٢٢٧/٢ .

غير قومك ، فلا تنسى نصيبك من الغنم (١) وقالوا : الغريب الثاني عن بلده المنحى
عن أهله ، (٢) عن وطنه الذي من أجله رام قبضة (٣) ، وقالوا : وماذا
من يشاق إلى السفر ، بدأ سلاحة (٤) .
وما أشد الفراق ، وما أطول يومه لما فيه من تشتت الشمل وتفرق عن الأهل ،
وبعد عن الوطن ، ونأى عن الحب ، ووداد في القبول ، ورغبة في الإياب . لذلك
قيل : أطول من يوم الفراق (٥) .

ومثلاً حمل إلينا الشعر العربي ، حينئذ إلى الوطن ، في الحسك والأمثال ، فقد حمل
إلينا حينئذ وجباً للوطن ، فيما وصلنا منه ، من القصص والحكايات ، التي رويت في
عصور مختلفة ، وأزمان متباعدة ، من تاريخ أدبنا العربي .

فهذا أعرابي يجيب — حينئذ يسأل : أيشاق إلى وطنه ؟ — قائلاً : كيف لا أشتاق
إلى راحة كنت حينئذ ركامها (٦) ، ورضيع حمامها (٧) .

ويسأل أعرابي — آخر — عن النخلة . فيقول : النخلة في الأهل ، ولزوم
الأوطان ، والجلوس مع الإخوان (٨) . وهل هناك غبطة أعظم من تلك ! لأن
يكون الإنسان أهل كثير — لما لذلك من أهمية بالغة ، فيما مضى من عصور —
واستقرار في الوطن وملازمة له ، وحياة رعدة بين الأهل والأحباب ، كلها سعادة
وسهر مهم .

وإذا شئت — الأعرابي — عن الغنم . فيقول : قد انتقل في البلدان
والمنحى عن الأوطان (٩) . رأيت إذن . فجزه أن يكون في وطنه ، وبين أهله ،
وذلك أن يتعد عن وطنه وأهله ! .

(١) محاضرات الأدباء : ٢٨٥/٢

(٢) نديك ندوداً : شرد وذهب على وسبه .

(٣) رسائل الجاحظ : ٢٨٥/٢ (٤) محاضرات الأدباء : ٦١٤/٤

(٥) جبهة الأمثال في هلال العسكري : ١٣/٢

(٦) ركامها : الركام : السحاب المتراكم . والرمل المتراكم .

(٧) ديوان المعاني : ١٨٧ ومطالع البدور : ٢٩٢/٢

(٨) المحاسن والاضداد : ٩٤ والمحاسن والمساوي : ٣٢٧/٢

(٩) المحاسن والاضداد : ٩٤ والمحاسن والمساوي : ٣٢٧/٢

وقد البعد عن الوطن ، نقصان من السكينة ، ونقص من الوحدة . قالوا : ولا تنسى
عن وطنك ووكرتك ، فتقصصك الغربة ، وتقصصك (١) الوحدة (٢) : أنه الوطن الذي
يملك القلب حباً ، والنفس هدوءاً ، والضمير راحة . والإنسان قناعة على الرغم مما
فيه من شظف العيش ، وقسوة الحياة — وهل هناك أفسى من حياة وسط الصحراء
القاحلة ، ونحت الشمس المحرقة ١٩ — أنظر إلى قول الأعرابي — وهو يجيب عما
يضمنه في البادية ، إذا انصف النهار ، وانتعل كل شيء ظله — : وهل العيش إلا
ذلك ؟ يمشي أحدها ميلاً ، فيرفض عرفاً كأنه الجمان ، ثم ينصب عصاه ، ويلقى عليها
كساءه . وتقبل الرياح من كل جانب ، فكأنه في إيوان كسرى (٣) .

و لولا أن الله — تعالى — أقتنع بعض العباد ، بشر البلاد ، ما وسع خير
البلاد ، جميع العباد (٤) . وهذا ما يجيب به أعرابي ، حينئذ يسأل عن كيفية صبرهم
على جهنم البادية وحديق العيش فيها .

وكانت العرب ، إذا سافرت ، تأخذ معها من تراب بلدها ، فتنشقه عند نزلة
أو صداع (٥) .

وهذا أبو عمرو بن الملاء يقول : مما يدل على كرم الرجل ، وطيب غريزته ،
وحبه إلى أوطانه ، وحبه متقدمي أخوانه ، وبكاؤه على ماضى من زمانه (٦)

والأصحى يقول : دخلت البادية . فقلت على بعض الأعراب ، فقلت : أفتدنى .
فقال : إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل ، وحسن عهده ، وكرم أخلاقه ، وطهارته
مولده ، فانظر إلى حينئذ إلى أوطانه ، ونشوة إلى إخوانه ، وبكاؤه على ما مضى
من زمانه (٧) .

(١) قصصك : قصص الرجل : شكاً إليه فتخرج إليه من شكائيه . والقصصات :
سرعة العطش في الناس والدواب .

(٢) المحاسن والاضداد : ٩٤ . والمحاسن والمساوي : ٣٢٧/٢

(٣) المصدران السابقان وصفتهما . وديوان المعاني : ١٨٩

(٤) محاضرات الأدباء : ٦٢٠/٤

(٥) نفسه : ٦٢١/٤ . ومطالع البدور : ٢٩٢/٢

(٦) محاضرات الأدباء : ٦٢٠/٤ (٧) مطالع البدور : ٢٩٢/٢

فلا يملو^(١) ترابها ، ولا يعمر جنبها^(٢) ، ولا يملو^(٣) ماؤها . ليس بها أدنى ؛
ولا قذى ، ولا موم . شمس فيها بأركف عيش ، وأشمع مبيشة ، وأزغذ غصة . قلت :
فا طردكم ؟ قال : تنج^(٤) عيشنا عيش تملل جنازة ، وطامنا أظيب طعام وأهنا^(٥)
وأمره : الفث ، والجبيد والصليب ، والخسك ، والعلو ، وألذم أئين ، والينبة ؛
والعرايين^(٦) ، والجسلة ، والضباب ، والبراييس ، والتفافذ ، والحليات ، وريثما
— والله — أكلنا القند ؛ واشتونا الجلد . فما نعلم أحداً أنصب منا عيشاً ؛
ولا أروخى بالآ ، ولا أعر حالاً . أوصمت قول شاعر ، وكان — والله — بصيرا
يوقيق العيش واليدف ؛ قلت وما قال : قال : قوله :

إذا ما أصابنا كل يوم مذبة
فمن ملوك الناس خصبا ونعمة
نحن أسود الناس عند الهزاحز
نكم متشن عيشنا لا يتسباله

فأحمد لله على ما بسط من حسن الذمة ، وورق من السمعة ، وإيا ، نسأل تمام
الذمة^(٧) .

وأبو علي القالي ، يحدثنا عن أبي عمرو بن الدلاء ، سدياً قوياً في مناه من
حديث الماحظ ، والبيهقي ، قال أبو علي : وحديثنا أبو بكر ، محمد بن الحسين بن
حريذ ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن الدلاء . قال : لقيت
أعرابياً عك . فقلت له : من أنت ؟ قال : أسدي . قلت : ومن أين ؟ قال : حمدي .
قلت : ومن أين البلاد ؟ قال : من عمان . قلت : فأنى لك هذه النصيحة ؟ قال :
إننا سكا فطرا ، لا نسمع فيه نائحة^(٨) الشيار . قلت : صف لي أركك ؟ قال :

(١) يملو^(١) ترابها : لا يترام ولا يطأ ويدخل بعضه في بعض .
(٢) يعمر جنبها : يصليها الجاني .
(٣) الذم والجلد والصليب والشمك والطور والذم أئين والينبة والعرايين :
هذه من نباتات الصحراء .

(٤) الخاسن والمساوي : ٣٢٦/٢ .
(٥) سيل نايض : شديد الجري ، نايضة الماء ونجيحه : صورته .

وأشد ما يكون الشوق إلى الوطن في الداء والمرض ، فهذا أعرابي يقول — وهو
يحدث عن وطنه — : فليل له ، ما فقهني ؟ قال : حسل فلا^(١) ، وحسي فلا^(٢) ، وأخ
وأخو يمل بالخشر ، فقبأ له : ما فقهني ؟ قال : مخيضاً رويأ^(٣) ، وحسباً مشويأ^(٤) .
وأين حسل يمل أيناً خيرا من بعض بني حاشم ، وهو يسأل أعرابياً عن البادية ،
وأين يسكن منها ، وما طعامه فيها . فيجيبه بجواب ، إن دل على شيء ، فأعما يدل على
ما للوطن في قلب هذا الأعرابي من حب وتقدير . قال الجاحظ : وحديثنا بعض
بني حاشم . قال : قلت لأعرابي : من أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية . قلت :
وأين تسكن منها ؟ قال : مساطل الحلي ، حسي ضرية^(٥) . مأل — لعمر الله — أريد
بها بدلا ، ولا أنفني عنها حولا . حدثنا الطولاني ، فلا يملو^(٦) ماؤها ولا تحمي^(٧) تربتها
ليس فيها أدنى ، ولا قذى ، ولا فوك^(٨) ولا موم^(٩) . ونحن بأركف عيش ،
وأوسع معيشة ، وأسيع نعمة . قلت : من طعامكم ؟ قال : بهج : البهيذ^(١٠) ، والضباب
والبراييس مع التفافذ ، والحليات . ورويأ — والله — أكلنا القند واشتونا الجلد .
فلا نعلم أحداً ، أنصب منا عيشاً . فأحمد لله على ما ورق من السمعة ، وبسط من
حسن الذمة^(١١) .

والبيهقي ي نقل الخبر — نفسه — ولكن بصورة أوضح ، وتقصيل أدق . قال
: وحديث عن بعض بني حاشم ، قال : قلت لأعرابي : من أين أقبلت ؟ قال : من هذه
البادية . قلت : وأين تسكن منها ؟ قال : مساطل الحلي ، حسي ضرية ، لعمر الله ،
ما نريد بها بدلا ، ولا أنفني عنها حولا . فحدثنا الغزالي^(١٢) ، وحديثنا الطولاني

- (١) الحسل : ولد الضب .
- (٢) الحلي : الرمل الترابي .
- (٣) حسي ضرية : موضع .
- (٤) الخاسن والمساوي : ٣٢٦/٢ .
- (٥) حسي ضرية : موضع .
- (٦) الوعاك : الآم .
- (٧) الحلي : المظلل .
- (٨) الخاسن والمساوي : ٩٣ — ٩٤ .
- (٩) الغزالات : جمع غزاة وهي الأرض المعبدة . من الأنهار والبحور ولا
تكون ذات رخابة ولا وباء .

(٣) محاضرات الأدباء ٢٢١/٤

سيف أفيج^(١) ، وفشاء صحصح ، وجبل صردح^(٢) ، ورمل أصبح ، قلت : فما
مالك ؟ قال : النخل . قلت : فأين أنت عن الإبل ؟ قال : أن النخلة جعلها غداة ،
وسعفها ضياء ، وجذعها بناء ، وكرها صلاه^(٣) ، ولينها رشاء^(٤) ، وخوصها وعاء ،
وقروها^(٥) أناء^(٦) .

ففي هذه النصوص ، ظهر لنا مدى تعلق هؤلاء الأعراب بأوطانهم ، وتقديرهم لها .
تجلى ذلك في هذا الوصف الدقيق ، والرضا التام ، عما فيها من حياة ، والإحجاب
اللاحدود بديارهم ، والقناعة الحقة بما قسم لهم من الأوطان ، ورزقوا من المسكن .
والتي تيجت كلها ، عن صدق في الملاحظة ، ورهافة في الحس ، ورقة في الشعور ،
وعمل في الأسلوب ، وحسن في البيان .

* * *

ويكون اشتداد الغربة على المرء بضيقه بالبلد الجديد ، فيزداد حنينه لوطنه .
فهذا عبد الحميد - الشهير بالكاتب - ورسالته المشهورة ، التي بعث بها إلى أهله
وأقاربه ، من فلسطين . والتي يظهر فيها ألمه في العراق ، وشكواه من الدهر ، الذي
أبعده عن الوطن والأهل - في أسلوب تلس ، عذب ، رقيق ، يتم عن عاطفة
صادقة . قال : أما بعد : فإن الله جعل الدنيا محفوفة بالسكر ، والسرور ، وجعل فيها
أقساماً مختلفة بين أهلها . فمن درئت له بحلاوتها ، وساعده الحظ فيها ، سكن
إليها ، ورضى بها ، وأقام عليها . ومن فرسته بأفكارها ، رعدت بأنيابها ، وتوطأت
بشظاياها ، فلامها ، فافرا أعينها . وذهبا ساعطاً عليها . وشكاه مستزيداً منها . وقد

(١) السيف : كل ما كان ملتصقاً بأصول السعف .

(٢) الصردح : المسكن الواسع الأمان .

(٣) السكر بالتحريك : أصول السعف الفلاط العراض .

(٤) الرشاء : شجرة تسمو فوق القامة ورقها كورق الخروع .

(٥) القرو : شبة حوض مسدود مستطيل إلى جنب حوض ضخم يفرغ فيه من

الحوض الضخم ترده لإبل والغنم .

(٦) ذيل الأمال للقال : ١٦ .

كانت الدنيا أذاقتنا من حلاوتها . وأرضعتنا من درهما أفاريق^(١) استمليناها .
ثم شمت^(٢) منا نأفرة وأعرضت عنا متسكرة . ورختنا^(٣) مولية . فلع عذبا .
وأمر حوما . وخشن لينا . فرقتنا^(٤) عن الأوطان . وقطعتنا عن الإخوان .
قدارنا نازحة . وطيرنا بارحة^(٥) . قد أخذت كل ما أعطت ، وتواعدت مثل
ماتقريت . وأعقبت بالراحة نصبا^(٦) ، وبالجذل^(٧) هما ، وبالأمن خوقا ، وبالعز ذلا ،
وبالجدة^(٨) حاججة ، وبالدراء ضراء . وبالحياة موتا . لا ترحم من استرحها ، سالكة
بنا سنيل من لا أوبة له ، متفين عن الأولياء ، مقطوعين عن الأحياء^(٩) .

* * *

في التأليف :

ونظراً لما لادب الحنين إلى الوطن ، من كثرة ، وجودة ، وأهمية في الأدب
العربي بصورة خاصة ، والآداب الإنسانية بصورة عامة ، فقد وجدنا كثيراً من
المؤلفين والكتاب ، ألفوا كتباً في الحنين إلى الوطن أو أفردوا فصولاً ضمنها كتبهم ،
تختص بالحنين إلى الوطن .

فالجاحظ يكتب رسالة في الحنين إلى الأوطان ، ويدكر السبب الذي حدها إلى
تأليف هذه الرسالة ، فقال : « وأن السبب الذي بعث على جمع تنف من أخبار العرب
في حنينها إلى أوطانها ، وشوقها إلى تربها وبلادها ، ووصفها في أشعارها ، توقد النار
في أكبادها - أني فلوضت بعض من انتقل من لثلك ، في ذكر الديار ، والنزاع

(١) الأفاريق : ما يتجمع في الضرع من اللبن بعد الحلب .

(٢) شمت : نفرت .

(٣) رختنا : الرخ : ضرب الناقة برجلها ، كارتقن بالنسبة للفرس .

(٤) فرقتنا : أخرجتنا .

(٥) بارحة : البارحة : الريح الحارة في الصيف .

(٦) نصبا : الأعياء والتعب .

(٧) الجذل : الفرج .

(٨) الجدة : المسيرة .

(٩) التوزاء والكتاب الجشيارى : ٧٢ - ٧٣ . ورسائل البلاء : ٢٢١ .

على الاوطان : فسمعت يذكر : أنه اغترب من بلده إلى بلد آخر ، أهدى من وطنه ؛ وأخر من مكانه ؛ وأخصب من جنابه ، ولم يزل عظيم الدين ، جليل السلطان ، قد بين له من حشائر العرب ساداتها وقضاياها ؛ ومن شعوب العجم أجنادها وشجائيا ، بقود الجيوش ؛ ويسوس الحروب (١) ، وليس يباه إلا بأعقاب إليه ؛ أوراها من من فكان إذا ذكر الزفة والوطن ، حزن إليه ؛ حنين الإبل إلى أعظامها (٢) ، فيها له من سيب قوى ومعنى ١ .

ولم يكف الملاحظ برسالته — ^{١٢٢} ^{١٢٣} ^{١٢٤} ^{١٢٥} ^{١٢٦} ^{١٢٧} ^{١٢٨} ^{١٢٩} ^{١٣٠} ^{١٣١} ^{١٣٢} ^{١٣٣} ^{١٣٤} ^{١٣٥} ^{١٣٦} ^{١٣٧} ^{١٣٨} ^{١٣٩} ^{١٤٠} ^{١٤١} ^{١٤٢} ^{١٤٣} ^{١٤٤} ^{١٤٥} ^{١٤٦} ^{١٤٧} ^{١٤٨} ^{١٤٩} ^{١٥٠} ^{١٥١} ^{١٥٢} ^{١٥٣} ^{١٥٤} ^{١٥٥} ^{١٥٦} ^{١٥٧} ^{١٥٨} ^{١٥٩} ^{١٦٠} ^{١٦١} ^{١٦٢} ^{١٦٣} ^{١٦٤} ^{١٦٥} ^{١٦٦} ^{١٦٧} ^{١٦٨} ^{١٦٩} ^{١٧٠} ^{١٧١} ^{١٧٢} ^{١٧٣} ^{١٧٤} ^{١٧٥} ^{١٧٦} ^{١٧٧} ^{١٧٨} ^{١٧٩} ^{١٨٠} ^{١٨١} ^{١٨٢} ^{١٨٣} ^{١٨٤} ^{١٨٥} ^{١٨٦} ^{١٨٧} ^{١٨٨} ^{١٨٩} ^{١٩٠} ^{١٩١} ^{١٩٢} ^{١٩٣} ^{١٩٤} ^{١٩٥} ^{١٩٦} ^{١٩٧} ^{١٩٨} ^{١٩٩} ^{٢٠٠} ^{٢٠١} ^{٢٠٢} ^{٢٠٣} ^{٢٠٤} ^{٢٠٥} ^{٢٠٦} ^{٢٠٧} ^{٢٠٨} ^{٢٠٩} ^{٢١٠} ^{٢١١} ^{٢١٢} ^{٢١٣} ^{٢١٤} ^{٢١٥} ^{٢١٦} ^{٢١٧} ^{٢١٨} ^{٢١٩} ^{٢٢٠} ^{٢٢١} ^{٢٢٢} ^{٢٢٣} ^{٢٢٤} ^{٢٢٥} ^{٢٢٦} ^{٢٢٧} ^{٢٢٨} ^{٢٢٩} ^{٢٣٠} ^{٢٣١} ^{٢٣٢} ^{٢٣٣} ^{٢٣٤} ^{٢٣٥} ^{٢٣٦} ^{٢٣٧} ^{٢٣٨} ^{٢٣٩} ^{٢٤٠} ^{٢٤١} ^{٢٤٢} ^{٢٤٣} ^{٢٤٤} ^{٢٤٥} ^{٢٤٦} ^{٢٤٧} ^{٢٤٨} ^{٢٤٩} ^{٢٥٠} ^{٢٥١} ^{٢٥٢} ^{٢٥٣} ^{٢٥٤} ^{٢٥٥} ^{٢٥٦} ^{٢٥٧} ^{٢٥٨} ^{٢٥٩} ^{٢٦٠} ^{٢٦١} ^{٢٦٢} ^{٢٦٣} ^{٢٦٤} ^{٢٦٥} ^{٢٦٦} ^{٢٦٧} ^{٢٦٨} ^{٢٦٩} ^{٢٧٠} ^{٢٧١} ^{٢٧٢} ^{٢٧٣} ^{٢٧٤} ^{٢٧٥} ^{٢٧٦} ^{٢٧٧} ^{٢٧٨} ^{٢٧٩} ^{٢٨٠} ^{٢٨١} ^{٢٨٢} ^{٢٨٣} ^{٢٨٤} ^{٢٨٥} ^{٢٨٦} ^{٢٨٧} ^{٢٨٨} ^{٢٨٩} ^{٢٩٠} ^{٢٩١} ^{٢٩٢} ^{٢٩٣} ^{٢٩٤} ^{٢٩٥} ^{٢٩٦} ^{٢٩٧} ^{٢٩٨} ^{٢٩٩} ^{٣٠٠} ^{٣٠١} ^{٣٠٢} ^{٣٠٣} ^{٣٠٤} ^{٣٠٥} ^{٣٠٦} ^{٣٠٧} ^{٣٠٨} ^{٣٠٩} ^{٣١٠} ^{٣١١} ^{٣١٢} ^{٣١٣} ^{٣١٤} ^{٣١٥} ^{٣١٦} ^{٣١٧} ^{٣١٨} ^{٣١٩} ^{٣٢٠} ^{٣٢١} ^{٣٢٢} ^{٣٢٣} ^{٣٢٤} ^{٣٢٥} ^{٣٢٦} ^{٣٢٧} ^{٣٢٨} ^{٣٢٩} ^{٣٣٠} ^{٣٣١} ^{٣٣٢} ^{٣٣٣} ^{٣٣٤} ^{٣٣٥} ^{٣٣٦} ^{٣٣٧} ^{٣٣٨} ^{٣٣٩} ^{٣٤٠} ^{٣٤١} ^{٣٤٢} ^{٣٤٣} ^{٣٤٤} ^{٣٤٥} ^{٣٤٦} ^{٣٤٧} ^{٣٤٨} ^{٣٤٩} ^{٣٥٠} ^{٣٥١} ^{٣٥٢} ^{٣٥٣} ^{٣٥٤} ^{٣٥٥} ^{٣٥٦} ^{٣٥٧} ^{٣٥٨} ^{٣٥٩} ^{٣٦٠} ^{٣٦١} ^{٣٦٢} ^{٣٦٣} ^{٣٦٤} ^{٣٦٥} ^{٣٦٦} ^{٣٦٧} ^{٣٦٨} ^{٣٦٩} ^{٣٧٠} ^{٣٧١} ^{٣٧٢} ^{٣٧٣} ^{٣٧٤} ^{٣٧٥} ^{٣٧٦} ^{٣٧٧} ^{٣٧٨} ^{٣٧٩} ^{٣٨٠} ^{٣٨١} ^{٣٨٢} ^{٣٨٣} ^{٣٨٤} ^{٣٨٥} ^{٣٨٦} ^{٣٨٧} ^{٣٨٨} ^{٣٨٩} ^{٣٩٠} ^{٣٩١} ^{٣٩٢} ^{٣٩٣} ^{٣٩٤} ^{٣٩٥} ^{٣٩٦} ^{٣٩٧} ^{٣٩٨} ^{٣٩٩} ^{٤٠٠} ^{٤٠١} ^{٤٠٢} ^{٤٠٣} ^{٤٠٤} ^{٤٠٥} ^{٤٠٦} ^{٤٠٧} ^{٤٠٨} ^{٤٠٩} ^{٤١٠} ^{٤١١} ^{٤١٢} ^{٤١٣} ^{٤١٤} ^{٤١٥} ^{٤١٦} ^{٤١٧} ^{٤١٨} ^{٤١٩} ^{٤٢٠} ^{٤٢١} ^{٤٢٢} ^{٤٢٣} ^{٤٢٤} ^{٤٢٥} ^{٤٢٦} ^{٤٢٧} ^{٤٢٨} ^{٤٢٩} ^{٤٣٠} ^{٤٣١} ^{٤٣٢} ^{٤٣٣} ^{٤٣٤} ^{٤٣٥} ^{٤٣٦} ^{٤٣٧} ^{٤٣٨} ^{٤٣٩} ^{٤٤٠} ^{٤٤١} ^{٤٤٢} ^{٤٤٣} ^{٤٤٤} ^{٤٤٥} ^{٤٤٦} ^{٤٤٧} ^{٤٤٨} ^{٤٤٩} ^{٤٥٠} ^{٤٥١} ^{٤٥٢} ^{٤٥٣} ^{٤٥٤} ^{٤٥٥} ^{٤٥٦} ^{٤٥٧} ^{٤٥٨} ^{٤٥٩} ^{٤٦٠} ^{٤٦١} ^{٤٦٢} ^{٤٦٣} ^{٤٦٤} ^{٤٦٥} ^{٤٦٦} ^{٤٦٧} ^{٤٦٨} ^{٤٦٩} ^{٤٧٠} ^{٤٧١} ^{٤٧٢} ^{٤٧٣} ^{٤٧٤} ^{٤٧٥} ^{٤٧٦} ^{٤٧٧} ^{٤٧٨} ^{٤٧٩} ^{٤٨٠} ^{٤٨١} ^{٤٨٢} ^{٤٨٣} ^{٤٨٤} ^{٤٨٥} ^{٤٨٦} ^{٤٨٧} ^{٤٨٨} ^{٤٨٩} ^{٤٩٠} ^{٤٩١} ^{٤٩٢} ^{٤٩٣} ^{٤٩٤} ^{٤٩٥} ^{٤٩٦} ^{٤٩٧} ^{٤٩٨} ^{٤٩٩} ^{٥٠٠} ^{٥٠١} ^{٥٠٢} ^{٥٠٣} ^{٥٠٤} ^{٥٠٥} ^{٥٠٦} ^{٥٠٧} ^{٥٠٨} ^{٥٠٩} ^{٥١٠} ^{٥١١} ^{٥١٢} ^{٥١٣} ^{٥١٤} ^{٥١٥} ^{٥١٦} ^{٥١٧} ^{٥١٨} ^{٥١٩} ^{٥٢٠} ^{٥٢١} ^{٥٢٢} ^{٥٢٣} ^{٥٢٤} ^{٥٢٥} ^{٥٢٦} ^{٥٢٧} ^{٥٢٨} ^{٥٢٩} ^{٥٣٠} ^{٥٣١} ^{٥٣٢} ^{٥٣٣} ^{٥٣٤} ^{٥٣٥} ^{٥٣٦} ^{٥٣٧} ^{٥٣٨} ^{٥٣٩} ^{٥٤٠} ^{٥٤١} ^{٥٤٢} ^{٥٤٣} ^{٥٤٤} ^{٥٤٥} ^{٥٤٦} ^{٥٤٧} ^{٥٤٨} ^{٥٤٩} ^{٥٥٠} ^{٥٥١} ^{٥٥٢} ^{٥٥٣} ^{٥٥٤} ^{٥٥٥} ^{٥٥٦} ^{٥٥٧} ^{٥٥٨} ^{٥٥٩} ^{٥٦٠} ^{٥٦١} ^{٥٦٢} ^{٥٦٣} ^{٥٦٤} ^{٥٦٥} ^{٥٦٦} ^{٥٦٧} ^{٥٦٨} ^{٥٦٩} ^{٥٧٠} ^{٥٧١} ^{٥٧٢} ^{٥٧٣} ^{٥٧٤} ^{٥٧٥} ^{٥٧٦} ^{٥٧٧} ^{٥٧٨} ^{٥٧٩} ^{٥٨٠} ^{٥٨١} ^{٥٨٢} ^{٥٨٣} ^{٥٨٤} ^{٥٨٥} ^{٥٨٦} ^{٥٨٧} ^{٥٨٨} ^{٥٨٩} ^{٥٩٠} ^{٥٩١} ^{٥٩٢} ^{٥٩٣} ^{٥٩٤} ^{٥٩٥} ^{٥٩٦} ^{٥٩٧} ^{٥٩٨} ^{٥٩٩} ^{٦٠٠} ^{٦٠١} ^{٦٠٢} ^{٦٠٣} ^{٦٠٤} ^{٦٠٥} ^{٦٠٦} ^{٦٠٧} ^{٦٠٨} ^{٦٠٩} ^{٦١٠} ^{٦١١} ^{٦١٢} ^{٦١٣} ^{٦١٤} ^{٦١٥} ^{٦١٦} ^{٦١٧} ^{٦١٨} ^{٦١٩} ^{٦٢٠} ^{٦٢١} ^{٦٢٢} ^{٦٢٣} ^{٦٢٤} ^{٦٢٥} ^{٦٢٦} ^{٦٢٧} ^{٦٢٨} ^{٦٢٩} ^{٦٣٠} ^{٦٣١} ^{٦٣٢} ^{٦٣٣} ^{٦٣٤} ^{٦٣٥} ^{٦٣٦} ^{٦٣٧} ^{٦٣٨} ^{٦٣٩} ^{٦٤٠} ^{٦٤١} ^{٦٤٢} ^{٦٤٣} ^{٦٤٤} ^{٦٤٥} ^{٦٤٦} ^{٦٤٧} ^{٦٤٨} ^{٦٤٩} ^{٦٥٠} ^{٦٥١} ^{٦٥٢} ^{٦٥٣} ^{٦٥٤} ^{٦٥٥} ^{٦٥٦} ^{٦٥٧} ^{٦٥٨} ^{٦٥٩} ^{٦٦٠} ^{٦٦١} ^{٦٦٢} ^{٦٦٣} ^{٦٦٤} ^{٦٦٥} ^{٦٦٦} ^{٦٦٧} ^{٦٦٨} ^{٦٦٩} ^{٦٧٠} ^{٦٧١} ^{٦٧٢} ^{٦٧٣} ^{٦٧٤} ^{٦٧٥} ^{٦٧٦} ^{٦٧٧} ^{٦٧٨} ^{٦٧٩} ^{٦٨٠} ^{٦٨١} ^{٦٨٢} ^{٦٨٣} ^{٦٨٤} ^{٦٨٥} ^{٦٨٦} ^{٦٨٧} ^{٦٨٨} ^{٦٨٩} ^{٦٩٠} ^{٦٩١} ^{٦٩٢} ^{٦٩٣} ^{٦٩٤} ^{٦٩٥} ^{٦٩٦} ^{٦٩٧} ^{٦٩٨} ^{٦٩٩} ^{٧٠٠} ^{٧٠١} ^{٧٠٢} ^{٧٠٣} ^{٧٠٤} ^{٧٠٥} ^{٧٠٦} ^{٧٠٧} ^{٧٠٨} ^{٧٠٩} ^{٧١٠} ^{٧١١} ^{٧١٢} ^{٧١٣} ^{٧١٤} ^{٧١٥} ^{٧١٦} ^{٧١٧} ^{٧١٨} ^{٧١٩} ^{٧٢٠} ^{٧٢١} ^{٧٢٢} ^{٧٢٣} ^{٧٢٤} ^{٧٢٥} ^{٧٢٦} ^{٧٢٧} ^{٧٢٨} ^{٧٢٩} ^{٧٣٠} ^{٧٣١} ^{٧٣٢} ^{٧٣٣} ^{٧٣٤} ^{٧٣٥} ^{٧٣٦} ^{٧٣٧} ^{٧٣٨} ^{٧٣٩} ^{٧٤٠} ^{٧٤١} ^{٧٤٢} ^{٧٤٣} ^{٧٤٤} ^{٧٤٥} ^{٧٤٦} ^{٧٤٧} ^{٧٤٨} ^{٧٤٩} ^{٧٥٠} ^{٧٥١} ^{٧٥٢} ^{٧٥٣} ^{٧٥٤} ^{٧٥٥} ^{٧٥٦} ^{٧٥٧} ^{٧٥٨} ^{٧٥٩} ^{٧٦٠} ^{٧٦١} ^{٧٦٢} ^{٧٦٣} ^{٧٦٤} ^{٧٦٥} ^{٧٦٦} ^{٧٦٧} ^{٧٦٨} ^{٧٦٩} ^{٧٧٠} ^{٧٧١} ^{٧٧٢} ^{٧٧٣} ^{٧٧٤} ^{٧٧٥} ^{٧٧٦} ^{٧٧٧} ^{٧٧٨} ^{٧٧٩} ^{٧٨٠} ^{٧٨١} ^{٧٨٢} ^{٧٨٣} ^{٧٨٤} ^{٧٨٥} ^{٧٨٦} ^{٧٨٧} ^{٧٨٨} ^{٧٨٩} ^{٧٩٠} ^{٧٩١} ^{٧٩٢} ^{٧٩٣} ^{٧٩٤} ^{٧٩٥} ^{٧٩٦} ^{٧٩٧} ^{٧٩٨} ^{٧٩٩} ^{٨٠٠} ^{٨٠١} ^{٨٠٢} ^{٨٠٣} ^{٨٠٤} ^{٨٠٥} ^{٨٠٦} ^{٨٠٧} ^{٨٠٨} ^{٨٠٩} ^{٨١٠} ^{٨١١} ^{٨١٢} ^{٨١٣} ^{٨١٤} ^{٨١٥} ^{٨١٦} ^{٨١٧} ^{٨١٨} ^{٨١٩} ^{٨٢٠} ^{٨٢١} ^{٨٢٢} ^{٨٢٣} ^{٨٢٤} ^{٨٢٥} ^{٨٢٦} ^{٨٢٧} ^{٨٢٨} ^{٨٢٩} ^{٨٣٠} ^{٨٣١} ^{٨٣٢} ^{٨٣٣} ^{٨٣٤} ^{٨٣٥} ^{٨٣٦} ^{٨٣٧} ^{٨٣٨} ^{٨٣٩} ^{٨٤٠} ^{٨٤١} ^{٨٤٢} ^{٨٤٣} ^{٨٤٤} ^{٨٤٥} ^{٨٤٦} ^{٨٤٧} ^{٨٤٨} ^{٨٤٩} ^{٨٥٠} ^{٨٥١} ^{٨٥٢} ^{٨٥٣} ^{٨٥٤} ^{٨٥٥} ^{٨٥٦} ^{٨٥٧} ^{٨٥٨} ^{٨٥٩} ^{٨٦٠} ^{٨٦١} ^{٨٦٢} ^{٨٦٣} ^{٨٦٤} ^{٨٦٥} ^{٨٦٦} ^{٨٦٧} ^{٨٦٨} ^{٨٦٩} ^{٨٧٠} ^{٨٧١} ^{٨٧٢} ^{٨٧٣} ^{٨٧٤} ^{٨٧٥} ^{٨٧٦} ^{٨٧٧} ^{٨٧٨} ^{٨٧٩} ^{٨٨٠} ^{٨٨١} ^{٨٨٢} ^{٨٨٣} ^{٨٨٤} ^{٨٨٥} ^{٨٨٦} ^{٨٨٧} ^{٨٨٨} ^{٨٨٩} ^{٨٩٠} ^{٨٩١} ^{٨٩٢} ^{٨٩٣} ^{٨٩٤} ^{٨٩٥} ^{٨٩٦} ^{٨٩٧} ^{٨٩٨} ^{٨٩٩} ^{٩٠٠} ^{٩٠١} ^{٩٠٢} ^{٩٠٣} ^{٩٠٤} ^{٩٠٥} ^{٩٠٦} ^{٩٠٧} ^{٩٠٨} ^{٩٠٩} ^{٩١٠} ^{٩١١} ^{٩١٢} ^{٩١٣} ^{٩١٤} ^{٩١٥} ^{٩١٦} ^{٩١٧} ^{٩١٨} ^{٩١٩} ^{٩٢٠} ^{٩٢١} ^{٩٢٢} ^{٩٢٣} ^{٩٢٤} ^{٩٢٥} ^{٩٢٦} ^{٩٢٧} ^{٩٢٨} ^{٩٢٩} ^{٩٣٠} ^{٩٣١} ^{٩٣٢} ^{٩٣٣} ^{٩٣٤} ^{٩٣٥} ^{٩٣٦} ^{٩٣٧} ^{٩٣٨} ^{٩٣٩} ^{٩٤٠} ^{٩٤١} ^{٩٤٢} ^{٩٤٣} ^{٩٤٤} ^{٩٤٥} ^{٩٤٦} ^{٩٤٧} ^{٩٤٨} ^{٩٤٩} ^{٩٥٠} ^{٩٥١} ^{٩٥٢} ^{٩٥٣} ^{٩٥٤} ^{٩٥٥} ^{٩٥٦} ^{٩٥٧} ^{٩٥٨} ^{٩٥٩} ^{٩٦٠} ^{٩٦١} ^{٩٦٢} ^{٩٦٣} ^{٩٦٤} ^{٩٦٥} ^{٩٦٦} ^{٩٦٧} ^{٩٦٨} ^{٩٦٩} ^{٩٧٠} ^{٩٧١} ^{٩٧٢} ^{٩٧٣} ^{٩٧٤} ^{٩٧٥} ^{٩٧٦} ^{٩٧٧} ^{٩٧٨} ^{٩٧٩} ^{٩٨٠} ^{٩٨١} ^{٩٨٢} ^{٩٨٣} ^{٩٨٤} ^{٩٨٥} ^{٩٨٦} ^{٩٨٧} ^{٩٨٨} ^{٩٨٩} ^{٩٩٠} ^{٩٩١} ^{٩٩٢} ^{٩٩٣} ^{٩٩٤} ^{٩٩٥} ^{٩٩٦} ^{٩٩٧} ^{٩٩٨} ^{٩٩٩} ^{١٠٠٠} ^{١٠٠١} ^{١٠٠٢} ^{١٠٠٣} ^{١٠٠٤} ^{١٠٠٥} ^{١٠٠٦} ^{١٠٠٧} ^{١٠٠٨} ^{١٠٠٩} ^{١٠١٠} ^{١٠١١} ^{١٠١٢} ^{١٠١٣} ^{١٠١٤} ^{١٠١٥} ^{١٠١٦} ^{١٠١٧} ^{١٠١٨} ^{١٠١٩} ^{١٠٢٠} ^{١٠٢١} ^{١٠٢٢} ^{١٠٢٣} ^{١٠٢٤} ^{١٠٢٥} ^{١٠٢٦} ^{١٠٢٧} ^{١٠٢٨} ^{١٠٢٩} ^{١٠٣٠} ^{١٠٣١} ^{١٠٣٢} ^{١٠٣٣} ^{١٠٣٤} ^{١٠٣٥} ^{١٠٣٦} ^{١٠٣٧} ^{١٠٣٨} ^{١٠٣٩} ^{١٠٤٠} ^{١٠٤١} ^{١٠٤٢} ^{١٠٤٣} ^{١٠٤٤} ^{١٠٤٥} ^{١٠٤٦} ^{١٠٤٧} ^{١٠٤٨} ^{١٠٤٩} ^{١٠٥٠} ^{١٠٥١} ^{١٠٥٢} ^{١٠٥٣} ^{١٠٥٤} ^{١٠٥٥} ^{١٠٥٦} ^{١٠٥٧} ^{١٠٥٨} ^{١٠٥٩} ^{١٠٦٠} ^{١٠٦١} ^{١٠٦٢} ^{١٠٦٣} ^{١٠٦٤} ^{١٠٦٥} ^{١٠٦٦} ^{١٠٦٧} ^{١٠٦٨} ^{١٠٦٩} ^{١٠٧٠} ^{١٠٧١} ^{١٠٧٢} ^{١٠٧٣} ^{١٠٧٤} ^{١٠٧٥} ^{١٠٧٦} ^{١٠٧٧} ^{١٠٧٨} ^{١٠٧٩} ^{١٠٨٠} ^{١٠٨١} ^{١٠٨٢} ^{١٠٨٣} ^{١٠٨٤} ^{١٠٨٥} ^{١٠٨٦} ^{١٠٨٧} ^{١٠٨٨} ^{١٠٨٩} ^{١٠٩٠} ^{١٠٩١} ^{١٠٩٢} ^{١٠٩٣} ^{١٠٩٤} ^{١٠٩٥} ^{١٠٩٦} ^{١٠٩٧} ^{١٠٩٨} ^{١٠٩٩} ^{١١٠٠} ^{١١٠١} ^{١١٠٢} ^{١١٠٣} ^{١١٠٤} ^{١١٠٥} ^{١١٠٦} ^{١١٠٧} ^{١١٠٨} ^{١١٠٩} ^{١١١٠} ^{١١١١} ^{١١١٢</}

الحرب ، وكما كتبه أنشبه بجملة إسلامية ، وقد يكون تاريخ دمشق : أوسع تواريخ المدن (١) .

فكل هذه الكتب والنصوص ، لم يكن الدافع إلى تأليفها ، أو تضمينها في الكتب — فيما نرى — إلا حب الوطن ، والحنين إليه ، أو الشعور بها على أقل تقدير .

ولم تكن كتابتنا لهذه الرسالة ، إلا بدافع الحنين إلى الوطن السليب ، فلسطين ، الذي شردت عنه ، منذ الطفولة المبكرة وغلبت للشوقي والحنين إليه ! .

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١ / ٥ .

الخاتمة

لكل بحسب نتائج ، ولكل دراسة جديدة ، تضيفه إلى ما هو موجود من البحوث والنرايات . وألا فلا قيمة لهذا البحث ، أو تلك الدراسة ، إن لم تضيف شيئا جديداً على ما هو سابق وحاصل .

وفي بحثنا هذا ، لا نجدنا متابعين إنا قلنا : إنما أضفنا شيئاً به . فالحنين إلى الوطن في الأدب العربي موضوع جدير بالدراسة ؛ منذ أقدم عصور الأدب العربي حتى يومنا هذا . ولم يحظ هذا الموضوع ، بالدراسة الجادة ، لاني الشعر ؛ وهو فن دقيق — فربأنا — جسر فيه الشعراء عن صدق عواطفهم ؛ ورواق مشاعرهم ؛ وبعيد خيالهم . ولاني الشعر ؛ وقد عبر فيه الأدباء ، والحكام ، والفلاسفة ، عما يجتليج في نفوسهم ؛ وأتبعه قرائحهم بأقوال أو كتب تجناه وطنهم .

وقد تبين لنا ، من خلال البحث والدراسة ، أن الحنين إلى الوطن ، ظاهرة إنسانية عامة ، وجدت في جميع آداب الأمم ، قديمها وحديثها . وقد تجلى لنا هذا الشعور عند العرب ، بدوهم وحضرهم ، رجالهم ونسائهم ، شعرائهم وأديبائهم ، قدامهم ومحدثهم .

والبدو ، على الرغم من حياة الزحالك والتقل ، وعدم الاستقرار في مكان ، كانوا يحتزن إلى كل بقعة حلوا فيها — فهي وطنهم ، في مفهوم معين . في طرف معين ، كحضرهم آنذاك . وما شعر الأطلال إلا دليل على شوقهم إلى ديارهم ، وحنينهم إليها ، على ما فيه من عوامل للتخليد ، ليس في رأينا حسب ، وإنما في رأي من سبقنا من النقاد والباحثين .

والحضر ، كانوا على ارتباط وثيق بأوطانهم ، وقد تجلى لنا هذا في شعرهم . وأما أدباء أشد عاطفة . وأكثر لوعة في حنينها إلى وطنها من الرجل ، وذلك لا تتألفا عن أوطانها ووطنها ، مرغمة ، خاصة عند زواجها من غريب . أحسب إلى ذلك ، ما نحتاج به من رقيق الشعور ، ورعاية الحس .

وفي الشعر العربي ، حيث الله سبحانه وتعالى ، في مواضع عديدة ، من كتابه العزيز ،

المصادر والمراجع

- (١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . لابي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي تحقيق رشدي الصالح ملخص . مطابع دار الثقافة ، بمكة المكرمة . ط ٢ . ١٩٦٥ هـ ١٣٨٥ م .
- (٢) الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة : لسليم حسن . ط ١ . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .
- (٣) الأدب العربي القديم للدكتور محمد غلاب . مطبعة الحلبي ، بعباس ، ط ١ ، ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م .
- (٤) أدباء السجون لمحمد العزير الحلاني . دار الكتاب العربي ، بيروت ، .
- (٥) آراء وأحاديث في الوطنية والقومية لمطبع المصري . ط ٢ . دار العلم للطباعة ، بيروت ، ١٩٥٧ م .
- (٦) أسس البلاغة لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م .
- (٧) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م .
- (٨) أقران المراد في فصح العربية والشوارد لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني . مطبعة فرسلي اليسوعية ، بيروت ، ١٨٨٩ م .
- (٩) الألفاظ هو ميرويس تلم سليمان البستاني . مطبعة الهلال ، بعباس ، ١٩٠٤ م .
- (١٠) أمالي المرتضى للشيخ المرتضى علي بن الحسين الموسوي النوري . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة الحلبي . ط ١ ، ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .
- (١١) أندلسيات شوقي الدكتور صالح الأشقر . ط ١ . مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م .
- (١٢) أوديسة ميرويس . ترجمة أمين سلامة . بنك الأدياب ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- (١٣) إبييه مسيرير لبيان كيستلوت . ترجمة أنطوان حمصي . وزارة الثقافة ودمشق ، ١٩٧٠ م .

على التسك بالوطن ، وعدم الرحيل عنه . وكان ذلك عند رسول الله ﷺ ، وصحابته الكرام . كما كان في أمثال العرب وتقصصهم ، وفي تناسلهم وكتبهم .

والوطن هو وطن عظيم عند الإنسان ، وكل إنسان . ومن هنا كانت الأهمية في دراسة هذا الموضوع ، ليس في الحقبة التي درسناها حسب ، بل في العصور كافة . ولنا وطيد الأمل . أن يصفنا الله ، على استكمال الدراسة ، فتكون بها قد أخرجنا [دراسة كاملة متكاملة ، في موضوع شيق رقيق ، يعنى باهتمام كبير ، من رجال هذا العصر خاصة ، لما له من أثر مباشر بالوطن ، وغير الشغل الشاغل الأمم والشعوب ، في كل زمان ومكان ، وربما كانوا أكثر استغناء به في أيامنا هذه لأنهم يشعرون أنهم يزاحمون في أوطانهم أو في بعضها على الأقل ، فبدعهم هذا إلى شدة التعلق بالوطن وإلى الدفاع عنه ، وإلى الحزن إليه حين يبعد بينهم وبينه .

- (١٤) بابلويرو دا لجان مرستيال، ترجمة أحمد سويد، دار المجمع العربي وبيروت،
- (١٥) البيان والبيان للباحث، تحقيق عبد السلام حارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- (١٦) البيعة والخضج الدكتور محمد السيد غلاب، ط ١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩.
- (١٧) بين الكتب والناس اعيان محمود القنادر، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٢م.
- (١٨) تاج العروس في جواهر القاموس، لمحمد مرفتني الزينبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت،
- (١٩) تاريخ ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب السنائي للطباعة والنشر، ط ٢، بيروت، ١٩٦١م.
- (٢٠) تاريخ الأدب السرياني للدكتور مراد كامل، والدكتور محمد حمدي البكري، مطبعة المخطوط والمخطوط، مصر، ١٩٤٩.
- (٢١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، مكتبة المانجي، القاهرة، ١٣٤٩هـ - ١٩٢١م.
- (٢٢) تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق صلاح الدين، المبدع، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، .
- (٢٣) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الجزء الرابع تحقيق، عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر.
- (٢٤) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- (٢٥) جمهرة النثاء لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، مكتبة المثنى، بغداد، .
- (٢٦) جمهرة الأشكال لأبي حلال المسكري، حققه وعلق على حواشيه عماد أبو الفضل ابراهيم، وعدد الجيد قطاش المأتمنة العربية الحديثة، ط ١، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- (٢٧) الحلال الهندسية في الآثار والأخبار الأدبية الأمير شبيب أرميلان، المطبعة الرجالية ط ١، مصر، - ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.
- (٢٨) الحاشية الشجرية لابن الشجري هبة الله علي بن حمزة العلوي الحنفي، تحقيق عبد المصنح المالح، وأحمد حمص، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠.
- (٢٩) الحنين والفرقة في الشعر العربي الحديث للدكتور ماهر حسن فهمي، معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية، ١٩٧٠م.
- (٣٠) الحيون للباحث، تحقيق وشرح عبد السلام حارون، مكتبة الخلي، ط ١، مصر، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م.
- (٣١) دراسات في الشعر العربي المعاصر للدكتور شوقي ضيف، ط ٣، دار المعارف، مصر،
- (٣٢) ديوان ابن الفارض، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٩.
- (٣٣) ديوان بن مقبل تحقيق د. عزت حنين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٣٨١ - ١٩٦٢.
- (٣٤) ديوان أبي بكر الأزهري تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- (٣٥) ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.
- (٣٦) ديوان ابن فواس، حققه وضيحه وشرحه أحمد عبد الجيد العزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، .
- (٣٧) ديوان أسامة بن منقذ حققه وقدم له د. أحمد أهد بدوي، وحلله عبد الجيد، لبلانة الأميرية، بالقاهرة، ١٩٥٣م.
- (٣٨) ديوان الأعشى الكبير (يسون بن قيس) تحقيق د. محمد محمد حسين، المطبعة القومية، القاهرة، .
- (٣٩) ديوان امرئ القيس تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨م.

- (٤٠) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي تحقيق د. عزت حسن .
وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دمشق ، ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م
- (٤١) ديوان جرير . دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر .
بيروت ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .
- (٤٢) ديوان جميل جمع وتحقيق د. حسين نصار . ط ٢ ،
مكتبة مصر . القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- (٤٣) ديوان حاتم الطائي . دار صادر . بيروت ، ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .
- (٤٤) ديوان حميد بن ثور الحلبي . تحقيق عبد العزيز الميني . دار الكتب
المصرية . القاهرة ، ١٣٧١ هـ — ١٩٥١ م .
- (٤٥) ديوان الحائل لإيليا أبو ماضي . ط ٢ ، مكتبة صادر . بيروت .
- (٤٦) ديوان ذي الرمة . تحقيق وطبع ببلي . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .
دمشق ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .
- (٤٧) ديوان سحيم حيد بني الجسحاس تحقيق عبد العزيز الميني . دار الكتب المصرية
والنشر . ط ١ . القاهرة ، ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م .
- (٤٨) ديوان سراقه البارق . تحقيق وشرح حسين نصار . لجنة التأليف والترجمة
والنشر . ط ١ . القاهرة ، ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م .
- (٤٩) ديوان الشماخ بن ضرار . حققه وقدم له صلاح الدين الهادي . دار المعارف
وبغداد ، ١٩٦٨ م .
- (٥٠) ديوان طرفه بن العبد . مطبعة برطند بشالون ، ١٩٠٠ م ودار صادر
ودار بيروت للطباعة والنشر . بيروت ، ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م .
- (٥١) ديوان الطرماح . حققه د. عزت حسن . وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد
القومي . دمشق ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م .
- (٥٢) ديوان الطفيل الغنوي تحقيق محمد عبد القادر أحمد . ط ١ ، دار الكتاب
الجديد . بيروت ، ١٩٦٨ م .
- (٥٣) ديوان العباس بن الأحنف تحقيق وشرح د. عائكة الخرجي .
دار الكتب المصرية . القاهرة ، ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .

- (٥٤) ديوان العباس بن مرداس السلي ، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري ، دار
الجمهورية . بغداد ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م .
- (٥٥) ديوان عبد الله بن الدببة تحقيق أحمد راتب النفاخ . مكتبة دار العروبة .
القاهرة ، ١٣٧٩ هـ .
- (٥٦) ديوان عبد الله بن المعتز . قام على طبعه وحمل غريبه المرحوم الشيخ محي الدين
الحياط . المكتبة العربية ودمشق .
- (٥٧) ديوان عبد الله بن قيس الرقيات تحقيق د. محمد يوسف نجم . دار بيروت
ودار صادر للطباعة والنشر . بيروت ، ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م .
- (٥٨) ديوان عبيد بن الأبرص تحقيق وشرح د. حسين نصار . ط ١ ، مطبعة الحلبي
وبغداد ، ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م .
- (٥٩) ديوان العرجي . شرحه وحققه خضر الطائي ورشيد الميسدي . الشركة
الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة ، بغداد ، ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .
- (٦٠) ديوان عمر بن أبي ربيعة . تحقيق إبراهيم الأحرابي . مكتبة صادر وبيروت .
١٩٥٢ م .
- (٦١) ديوان عترة . دار بيروت ودار صادر . بيروت ، ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م .
- (٦٢) ديوان الفرزدق تحقيق كرم البستاني . دار صادر ودار بيروت للطباعة
والنشر . بيروت ، ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .
- (٦٣) ديوان القناني . طبع لندن ١٩٠٢ م برلين . تحقيق وبيروت .
- (٦٤) ديوان مجنون لبلى . شرح عبد المتعال الصعيدي . مطبعة حجازي والقاهرة .
- (٦٥) ديوان المزد بن ضرار . تحقيق خليل إبراهيم العظيمة . مطبعة أسعد
وبغداد ، ١٩٦٢ م .
- (٦٦) ديوان النابغة الذبياني . صنعه ابن الكلب . تحقيق د. شكري فيصل .
مطابع دار الحاشم . بيروت ، ١٩٦٨ م .
- (٦٧) ديوان الحامسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي علاني عليه وراجعه محمد عبد
المنعم خفاجي . مطبعة محمد علي صبيح . مصر ، ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

- (٦٨) ديوان الحامدة لأبي عبادة البحرى . تحقيق كمال مصطفى . ط ١ المطبعة الحارثية . بمصر ، ١٩٢٥ م .
- (٦٩) ديوان سقط الزند لأبي العلام المرقى . شرح وتعليق د . ن . رضا . منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت . .
- (٧٠) ديوان المعاني لأبي حلال العسكري . مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ .
- (٧١) ديوان المفاتيح عن بطيخه كارلوس بقوب لابل . مطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت ، ١٩٢٠ م .
- (٧٢) ديوان المفاتيح تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام حارون ط ٣ دار المعارف ، بمصر . .
- (٧٣) ذيل الأمل والنوادر . لأبي على اسماعيل بن القاسم الغالى البغدادى . ط ٣ . دار الكتب المصرية . القاهرة . .
- (٧٤) رسائل البلنا . لمحمد كرد علي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ط ٤ ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- (٧٥) رسائل الجاحظ تحقيق وشرح عبد السلام حارون . مطبعة السنية الحمدية . القاهرة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .
- (٧٦) رسالة الغفران لأبي العلام المرقى . تحقيق د . بكت الشاطي . دار المعارف ، بمصر ، ١٩٥٠ م .
- (٧٧) زهر الآداب لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصرى القيروانى . تحقيق علي محمد الجارى . ط ١ ، مطبعة الحلبي وبمصر ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
- (٧٨) الزهرة لأبي بكر محمد بن سليمان الأصفهاني . اعتنى بغيره د . لويس فيكل اليوسمى ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
- (٧٩) سر النضاح لأبي سنان الحفاجي . شرح وتصحيح عبد التعال الصعدي . مكتبة محمد علي صبيح . القاهرة ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- (٨٠) سنن ابن ماجه للمعتمد أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . مطبعة الحلبي . القاهرة ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

- (٨١) سنن أبي داود لأبي داود بن الأشعث بن اسحاق الأزدي السجستاني . حقق عليه أحمد سعد علي . ط ١ ، مطبعة الحلبي وبمصر ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- (٨٢) السيرة النبوية لأبي هشام . تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الايباري وعبد الحفيظ شلي . ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- (٨٣) شاعرات العرب . جمع وتحقيق عبد البديع صقر . منشورات المكتب الإسلامي . دمشق ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- (٨٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- (٨٥) شرح ديوان عنتره بن شداد تحقيق وشرح عبد النعم عبد الرؤوف شلي . المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ،
- (٨٦) شرح ديوان ليد بن ربيعة المامري . حققه وقدم له د . احسان عباس . وزارة الارشاد والانباء في الكويت ، ١٩٦٢ م .
- (٨٧) شعر ابن مفرغ الحميري . جمع وتقديم د . داود سلوم . مطبعة الايمان . وبغداد ، ١٩٦٨ م .
- (٨٨) شعر أبي زيد الطائي . جمع وتحقيق د . نوري حمودي القيسي . مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧ م .
- (٨٩) شعر الأصوص الانصاري . جمعه وحققه عادل سليمان جمال . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- (٩٠) شعر الراعي التبري . جمعه وقدم له وعلق عليه ناصر الحافي . مطبوعات الجمع العلمي العربي ودمشق ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- (٩١) شعر عروة بن سزام تحقيق د . ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب . نشر في مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الرابع حزيران ١٩٦١ م .
- (٩٢) شعر الفروع الإسلامية في صدر الإسلام . للشيخ عبد التعال الناصبي . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- (٩٣) شعر المثنى العبدى تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين . مطبعة المعارف . وبغداد ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

- (١٠٧) فنانل مكي والسكن فيها . الحسن البصري ، تحقيق د . سامي مكي العاني
نشر بمجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، عدد ١٤ ، الجهاد الأول ،
١٩٧٠ — ١٩٧١ م .
- (١٠٨) القرآن الكريم .
- (١٠٩) قصائد مختارة من الشعر العالمي . ترجمة بدر شاكر السياب .
- (١١٠) قصة الأدب في العالم تصنيف أحمد أمين وزي نجيب محمود ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م ، ٧ ، ومكتبة
النخبة ، القاهرة ، ١٩٥٥ ج ١ .
- (١١١) قيس ولبنى شعر ودراسة جمع وتحقيق د . حسين نصار . دار مصر للطباعة
و القاهرة ، ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م .
- (١١٢) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرنجي
المصري . دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر . وبيروت ، ١٣٧٤ هـ —
١٩٥٥ م .
- (١١٣) اللغة الشاعرة لعباس محمود العقاد . مطبعة خيبر . والقاهرة ، ١٩٦٠ .
- (١١٤) الخناس والأضداد للباحظ . مطبعة الساحل الجنوبي . لبنان ، ومكتبة
الحناحي ، بصرى ١٣٢٤ هـ .
- (١١٥) الخناس والمساوي ، للشيخ إبراهيم بن محمد البيهقي . مطبعة فريدريك
شوالى ١٣١٩ هـ .
- (١١٦) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب
الاصمغاني مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١ م .
- (١١٧) التخصص لأبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأدلسي المعروف
بأبي سيده ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت . .
- (١١٨) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها . لعبد الله عفيفي . مطبعة الاستقامة .
القاهرة . . .
- (١١٩) المرأة في الشعر الجاهلي للدكتور أحمد محمد الحوفي ، ط ٢ مطبعة المدني ، القاهرة .

- (٩٤) الشعر والإشعاد للدكتور جميل سعيد . مقال بمجلة المجمع العلمي العراقي
الجلد الرابع عشر ١٩٦٧ م .
- (٩٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . ط ٢ ، دار المعارف
وبصرى ، ١٩٦٨ م .
- (٩٦) شعراء النصرانية ج ١ آبي لويس شيخو اليسوعي . مطبعة الآباء المرسلين
اليسوعيين في بيروت ، ١٨٩٠ م .
- (٩٧) الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق أحمد عبد الفتور عطار .
مطابع دار الكتاب العربي وبصرى .
- (٩٨) صحيح البخارى لأبي محمد بن اسماعيل الجعفي البخارى . مطبعة الحلبي
وبصرى ، ١٣٧٧ هـ .
- (٩٩) صحيح الرمضى بشرح الإمام ابن العربي المالكي . المطبعة المصرية بالأزهر .
١٢٥٠ هـ — ١٩٣١ م .
- (١٠٠) صحيح مسلم بشرح النووي ومصر ، ١٢٤٩ هـ .
- (١٠١) طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج .
دار المعارف وبصرى .
- (١٠٢) الطبيعة في الشعر الجاهلي للدكتور نوري حمودي القيسى . دار الإرشاد
للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .
- (١٠٣) العرب والشعر . محاضرات ألقاها الدكتور جميل سعيد على طلبة قسم
الماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد ، ١٩٦٨ هـ — ١٩٦٩ م .
- (١٠٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه . لابن رشيق الفيراني . تحقيق محمد عيسى الدين
عبد الحميد . مطبعة حجازي ، بالقاهرة ، ط ١ ، ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م .
- (١٠٥) غرر الحكم ودرر الكلم جمعه عبد الواحد الأمدني السبيعي . أنشرف على
تصحيحه أحمد شوقي الأمين . مطبعة النمان . النجف الأشرف .
- (١٠٦) فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين . ط ٧ لجنة التأليف والترجمة والنشر .
القاهرة ، ١٩٥٩ م .

(١٢٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لعل بن الحسين بن علي المسعودي .

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ط ٣ ، مطبعة السعادة ، بمصر .

١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

(١٢١) المسند لأحمد بن محمد بن حنبل . شرح أحمد محمد شاكر ط ٤ ، دار

المعارف ، بمصر ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

(١٢٢) مطالع البدر في منازل السور ، لعلاء الدين الغزولي . مطبعة الوفاء

١٣٠٠ هـ .

(١٢٣) معجم البلدان لياقوت الحموي . دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر .

بيروت ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

(١٢٤) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق

عبد السلام هارون ط ١ ، مطبعة الحلبي ، بمصر ، ١٣٦٦ هـ .

(١٢٥) المعجم الوسيط قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحدث حسن الزيات وزملاؤهما

مطبعة مصر ١٣٨١ هـ - ١٦١

(١٢٦) من حديث الماء في الأدب العربي للدكتور جميل سعيد . مقال نشر بمجلة

المجمع العلمي العراقي المجلد الثالث عشر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

(١٢٧) المنازل والديار لاسامة بن منقذ . تحقيق مصطفى حجازي . المجلس الأعلى

للتشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .

(١٢٨) الموازنة بين أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى البصري

الأمدي حققه محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة التجارية الكبرى .

ط ٣ ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

(١٢٩) هدية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . لاسماعيل باشا البغدادي .

ط ٣ ، المكتبة الإسلامية بطنان . ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

(١٣٠) الوزراء والكتاب . لمحمد بن عبدوس الجهشيارى . حققه مصطفى السقا .

إبراهيم الاياري . وعبد الحفيظ شلي . مطبعة الحلبي ، بمصر .

١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

(١٣١) الوصف في شعر العراق . للدكتور جميل سعيد . وبغداد ، ١٩٤٨ م .

(١٣٢) الوطن في الأدب العربي لإبراهيم الاياري . المؤسسة العامة للتأليف

والطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٦٢ .

(١٣٣) يا حياة المنى من مهنة شاقة . لناظم حكمت . ترجمة د . أكرم فاضل .

مطبعة النجوم ، بغداد .

(١٣٤) The Oxford English Dictionary. Printed in Great Britain. 1961.

(١٣٥) Stedman's Medical Dictionary Printed in U.S.A. 1966.

(١٣٦) Webster's New International Dictionary Printed in U.S.A. 1953.